مَوسُوعَة المدينة المنوّرة ال

(٤)

المسجد النبوي عبر التاريخ

الدكتور محمد السيد الوكيل

جميع الحقوق محفوظة

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م
الطبعة الأولى

تصريح الاعلام رقم ١٠١٧/م/٣
بتاريخ ٢٤/٨/١٤٠٦هـ

الناشر
دار المجتمع للنشر والتوزيع
جدة : ميدان الجامعة ص.ب ٤٠٨٤٥ جدة ٢١٥١١ ت الإدارة ٦٨٩١٤١٧ المكتبة ٦٨٩٤٤٦١
الخبر : شارع الأمير نايف ص.ب ٢٣٢١ الخبر ٣١٩٥٢ ت ٨٩٤١١٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمدوعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد حرص رسول الله ﷺ - منذ أن وطئت قدماه الشريفتان أرض المدينة المنورة على أن يؤسس مسجدا يقيم فيه المسلمون شعائر دينهم ، ويخلون فيه لعبادة ربهم ، فلم يكد يصل إلى قباء حتى وضع أساس مسجد قباء ، فلما انطلق إلى المدينة لم يدخل بيتا ، ولم ينزل مكانا حتى حدد موضع مسجده الشريف فكان ذلك إيذانا باهتمام الإسلام بعمارة المساجد .

ولم يزل هذا المسجد منذ أسس على التقوى من أول يوم[1] منهلا عذبا ، ومصدرا ثرًّا للهدى والرشاد ومحط آمال تهفو إليه قلوب المسلمين ، وتتجه إليه أفئدتهم من كل صوب ، ويشدون إليه الرحال ويقصدونه على كل حال ، يروون ظمأهم بالصلاة فيه ، ويعيشون فى رحاب الجنة جالسين فى روضته الشريفة ويطفئون لهبهم بالمثول إلى جوار الحضرة المنيفة .

وقد مر هذا المسجد المبارك بأطوار تستحق من المؤرخين الاهتمام به ، والتأريخ له ، وزيادة العناية بالكتابة عنه ، ولقد كتب كثير من المؤرخين عن المدينة المنورة ، وأفردوا لها كتبا ، ولكن حظ المسجد منها كان نزرا ، ونصيبه كان يسيرا ، فكان ذلك أحد الدوافع لتخصيص المسجد الشريف ببحث خاص ، أجمع فيه كل ما يتصل بالمسجد من بطون الكتب ، وحنايا المكتبات ، وإنك لا تكاد تجد بين دفتى الكتاب الضخم سوى نتف لا تنقع غلة ، ولا تبل صدى ، ونكاد نتوه بين روايات لا نكاد نأتلف حتى نختلف ، ولا توشك أن تتألق حتى نتفرق .

---

(١) روى مسلم - رحمه الله - فى صحيحه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : مر بى عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنهم - قال : قلت له : كيف سمعت أباك يذكر فى المسجد الذى أسس على التقوى ؟

قال : قال أبى : دخلت على رسول الله ﷺ فى بيت بعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله ، أى المسجدين الذى أسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض ، ثم قال : هو مسجدكم هذا ، لمسجد المدينة قال : فقلت : أشهد بأنى سمعت أباك هكذا يذكر .

وأما الدافع الثانى فهو مجاورتى للمسجد الشريف ، وإقامتى فى مدينة رسول الله ﷺ - فكان حقا علي بذل الجهد ، ومضاعفة الطاقة لأؤدى واجبا لـزمنى بهذه المجاورة وتلك الإقامة .

وأما ثالث الدوافع فإنى قد عزمت على كتابة تاريخ المدينة منذ نشأتها وحتى عصرها الحاضر ، وخشينا أن يكون حظ المسجد عندى كحظه عند غيرى ، جزءا من كتاب ، أو فصلا من مؤلَّف .

اجتمعت هذه الدوافع لدى فأحسست برغبة جامحة فى تخصيص جزء من الموسوعة للمسجد العظيم الذى خرَّج فطاحل العلماء ، وعباقرة القواد ، ورواد الحضارة ، فى وقت كان العالم كله بغير استثناء يتطلع إلى منقذ يمد له يد العون ليخلصه مما تردى فيه من الفساد والتدهور والانحطاط .

والتزمت خطة أثناء الكتابة تتلخص فيما يلي :-

١ - إذا اجتمعت الروايات على رأى واحد ، ولم يكن بينها وبين واقع المسجد خلاف كان لزاما علي أن آخذ بها ، ولا أخرج عن مضمونها .

٢ - إذا اجتمعت الروايات على رأى واحد ، ولكنها اختلفت مع واقع المسجد - كما ذكرت الروايات أن عرض المسجد فى عهد عثمان - رضى الله عنه - بلغ مائة وخمسين ذراعا ، ووجدت أن ذرعة المسجد حتى يومنا هذا لم تبلغ تلك الذرعة - كان لزاما علي أن أسلك السبل التى تؤدى إلى الواقع مستندا إلى تقديرات الفنيين المطابقة لواقع المسجد .

وسيلاحظ القارىء الكريم أنى قد اعتمدت فى القياس روايات صحت عند كثير من المؤرخين وإن لم يأخذ بها بعض المؤرخين ، وتسبب عن ذلك اختلاف بينى وبين بعض المؤرخين القدامى منهم والمحدثين فى قياسات المسجد ، ولكنى التقيت معهم فى النهاية ، فيكاد المؤرخون يجمعون على أن مساحة المسجد قبل التوسعة السعودية ١٠٣٠٣ م٢ عشرة آلاف وثلاثمائة متر وثلاثة أمتار ، وكانت مساحة المسجد حسب القياسات التى قدمتها ١٠٣٤٢ م٢ عشرة آلاف وثلاثمائة متر واثنين وأربعين مترا مربعا ، وهكذا يكون الفرق بين قياسات المؤرخين والقياسات التى وصلت إليها لا تزيد عن ٣٩ م٢ تسعة وثلاثين مترا مربعا ، وهى زيادة طفيفة بالنسبة لمساحة المسجد الضخمة ، والتى اعتمد فيها المؤرخون على القياس بالذراع ، ويختلفون بعد ذلك فى الذرعة وفى طول الذراع .

ونحن إذا قارنا هذا الفرق الذى هو ٣٩ م٢ بالفرق بين قياسات المكتب الفنى للتوسعة السعودية وبين قياس إبراهيم رفعت فى كتابه مرآة الحرمين لوجدنا أن هذا الفرق ضئيل جدا ، فالمكتب الفنى للتوسعة السعودية يقدر مساحة المسجد قبل التوسعة بـ ١٠٣٠٣ م٢ ، وأما إبراهيم رفعت فالمساحة عنده ١٠٠٣٢ م٢ [١] ، ومن هذا يتضح أن الفرق بين المساحتين يساوى ٢٧١ م٢ وهو فرق يعتبر كبيرا جدا بالنسبة للفرق بين مساحة المسجد التى أثبتها ، والمساحة التى قال بها المكتب الفنى للتوسعة السعودية ، لأنه يساوى سبعة أمثال الفرق بين قياسى وقياس المكتب الفنى .

٣ ـ وإذا اختلفت الروايات وأمكن التوفيق بينها التزمت ذلك ، ولا أهمل شيئا منها إلا ما يثبت ضعفه .

٤ ـ أما إذا اختلفت الروايات ولم يكن التوفيق بينها ممكنا التزمت الترجيح . فأقدم ما يتفق مع الواقع ، وبخاصة إذا كانت أكثر الروايات تؤيده وتقول به ، ثم صاحب السند القوى الوارد فى الكتب الصحيحة ، ثم صاحب السند القوى الوارد فى الكتب المشهورة بالجمع دون تحر ، وأستبعد بعد ذلك الرأى الضعيف إلا إذا أيدته روايات قوية يقوى بها .

وقدمت البحث فى أربعة أبواب ، كل باب يشتمل على فصول ، يسبق ذلك كله تمهيد عن دور المسجد ، واهتمام الإسلام بعمارة المساجد ؛ وكيف أدى المسجد رسالته .

هذا وأرجو الله ـ عز وجل ـ أن ينفع به ، وأن يكون هذا البحث مقدمة لبحوث تليه فى الموضوع نفسه يستدركون فيها ما وقع من نقص ، وما حدث من تقصير حتى تتحقق الغاية ، ويتم المقصود ، والله ولي التوفيق .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المدينة المنورة ١٤٠٦/٦/٢٨هـ ١٩٨٦/٣/٩م

د . محمد السيد الوكيل

---

(١) مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٤٧ ـ ٤٥١ .

الباب الأول

اهتمام الإسلام بعمارة المسجد

اهتمام الإسلام بعمارة المساجد

تمهيد

اهتم الإسلام بالمساجد لأنها المحاضن التى تترعرع فيها مبادئه وتزدهر من جانب ، ولأنها من جانب آخر هى المصانع التى صنعت الأبطال ، وأنجبت العظماء ، ومن أجل هذا حث الإسلام على عمارتها فقد روى البخارى ومسلم عن عثمان ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : (من بنى لله مسجدا ، بنى الله له بيتا فى الجنة) وفى المطالب العالية عن أبى هريرة رفعه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : (من بنى بيتا ليعبد الله فيه من حلال ، بنى الله له بيتا فى الجنة من در وياقوت)[1] رواه أبو يعلى .

ثم بين ﷺ أن المساجد أحب الأمكنة إلى الله عز وجل فقال : (أحب البلاد الى الله تعالى مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله ـ تعالى ـ أسواقها)[2] .

ويقول تعالى فى القرآن الكريم : (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه)[3] .

وزيادة فى توضيح مكانة المساجد وتعظيمها نهى ﷺ عن البيع والشراء فيها وعن نشدان الضالة بها ، كما نهى من آكل البصل عن أن يأتى المساجد أو يصلى مع الناس وكذلك نهى عن غشيان الصبيان والمجانين المساجد ، وعن سل الأسلحة بها وعن البصاق فيها ، روى صاحب مشكاة المصابيح عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا : لا أربح الله تجارتك ، وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا : لا رد الله عليك)[4] .

روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : (من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا ، أو يعتزل مسجدنا ، وليقعد فى بيته)[5] .

---

(١) المطالب العالية الجزء الأول ص ١٠٠

(٢) مختصر صحيح مسلم الجزء الأول ص ٧١ .

(٣) سورة النور الآية « ٣٦ » .

(٤) مشكاة المصابيح الجزء الأول ص ٢٢٨ .

(٥) مختصر صحيح مسلم الجزء الأول ص ٧٣ .

وروى عن ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال فى غزوة خيبر : **(من أكل من هذه الشجرة ـ يعنى الثوم ـ فلا يأتين المساجد .) (البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها)** وجاء فى الترغيب والترهيب عن وائلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال : **(جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم ، وخصوماتكم ، ورفع أصواتكم ، وإقامة حدودكم ، وسل سيوفكم واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها فى الجمع)**[1] .

وكان ﷺ يحث على بناء المساجد ، وتنظيفها وتطييبها ، وإخراج القمامة منها ، روى صاحب الترغيب والترهيب عن أبى قرصافة ، أنه سمع النبى ﷺ يقول : **(ابنوا المساجد وأخرجوا القمامة منها ، فمن بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة** فقال رجل يا رسول الله ، وهذه المساجد التى تبنى فى الطريق . قال : نعم ، وإخراج القمامة منها مهور الحور العين)[2] .

وفى مشكاة المصابيح عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد فى الدور وأن تنظّف وتطيب[3] .

وكان من اهتمامه ﷺ بالمسجد أنه كان إذا حضر من سفر يبدأ بالمسجد ، فيقصده قبل أن يدخل بيته ويصلى ركعتين ، ثم يجلس فيه ، وكأنه يريد بذلك أن يعلم أصحابه فضل المساجد ، وأن يربط قلوبهم بها . ليعيشوا حياتهم من أجلها معلقة قلوبهم بحبها .

فعن كعب بن مالك ، قال : (كان النبي ﷺ لا يقدم من سفر إلا نهارا فى الضحى ، فإذا قدم بدأ بالمسجد ، فصلى فيه ركعتين ، ثم جلس فيه)[4] وليؤكد ﷺ هذا المعنى فى نفوسهم عَدَّ الذين تتعلق قلوبهم بالمساجد حبا لها وانتظارا للصلاة بعد الصلاة ، عدهم من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله ، جاء فى مشكاة المصابيح عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود اليه . . . .)**[5] .

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذر الجزء الأول ص ٨٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٨٨
(٣) الجزء الأول ص ٢٢٣ .
(٤) مشكاة المصابيح الجزء الأول ص ٢٢١ .
(٥) المرجع نفسه ص ٢٢٠ .

رسالة المسجد

لم يهتم الإسلام ببناء المساجد لتكون محلا لاقامة الصلاة فقط ، فالأرض كلها مسجد للمسلمين ، ولم تبن لتكون محلا للرهبنة والتبتل ، فلا رهبانية فى الإسلام ، ولم تنشأ لتكون أماكن للعبادة وحلقات العلم فقط فالبيوت أماكن للعبادة والمدارس أمكنة لحلقات العلم ولكن المساجد تبنى لكل هذا ولأكثر منه .

فالمساجد بيوت الله فى الأرض ، والجالسون فيها ضيوفه ، ومن واجب الضيف أن يتأدب فى بيت مضيفه ، فإذا كان المسلم معلق القلب بالمساجد فهو دائما يستشعر حق الله عليه فيظل ملتزما للأدب من جانبه ـ سبحانه ـ وهذا هو أرقى أنواع المراقبة التى تكتسب من التزامها درجة رفيعة من التربية والتهذيب وتلك هى الوظيفة الأولى للمساجد .

١ ـ فالمسجد هو المدرسة التى تكتسب فيها النفوس تربية روحية باتصالها بالله ـ عز وجل ـ وعقلية بتأملها فى مخلوقاته ـ وجسمية فى المحافظة على الصلوات وتأدية حركاتها تامة متقنة ، وتلك هى التربية الحقيقية ، لأنها لم تهمل شيئا من جوانب الإنسان المختلفة .

ولقد كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه أمور دينهم فى المسجد وكان ينزل عليه جبريل ـ عليه السلام ـ فيوجه إليه أسئلة توضح لهم جوانب مختلفة من أصل عقيدتهم .

عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ـ إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثوب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، فسلم على رسول الله ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع يديه على فخذيه ، وقال يا محمد ، ما الإسلام ؟ قال : **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج بيت الله الحرام** . قال : صدقت ، فما الإيمان ؟ قال : **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره** . قال : صدقت فما الإحسان ؟ قال : **أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** ، قال :

صدقت ، فمتى الساعة ؟ قال : **ما المسئول عنها باعلم من السائل ولكن أخبرك عن أشراطها ، أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان** ، قال : صدقت ثم انصرف » .

قال الراوى : فعجبنا له يسأله ويصدقه ، فلما انصرف قال ﷺ : أتدرون من السائل ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال ﷺ هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم .

٢ ـ والمسجد مأوى الغريب ونزل الضيف ومجلس الضعفاء ، يجد فيه كل صنف من هؤلاء حاجته وطمأنينة نفسه ، قد يقدم الانسان على قرية ليس فيها ما يأوى اليه الغريب من الفنادق أو نحوها فيجد المسجد وقد يقدم الضيف إلى محل لا مطاعم فيه فينزل فى المسجد وعلى المسلمين ضيافته شرعا لمدة ثلاثة ايام .

٣ ـ المسجد مقر لقيادة الجيش حيث كانت تجتمع فيه الجيوش وتعقد الألوية ، وتسند القيادات ، وتصدر الأوامر ، ثم تنطلق الجيوش على اسم الله تعالى غازية فاتحة .

٤ ـ والمسجد معبد الناسك هناك يجتمع عليه شتات قلبه المتناثر ، ويجد روحه التائهة وتسكن نفسه الشاردة ، هناك الى جوار الله يفرغ قلبه من هموم الدنيا ومشاغلها ، وتشحن روحه شحنة ربانية تغسل أدران نفسه وتمحو خطايا جوارحه ، فيقبل على الله بقلب سليم .

٥ ـ وكان المسجد دارا للقضاء ، تعرض فيه الدعاوى ، وينظر فيها القضاة ويقبلون الأمر على وجوهه المختلفة ، وينصت الخصمان خاشعين لأمر الله ، ثم يصدر الحكم فتذعن له القلوب بالرضا والتسليم .

٦ ـ وكان المسجد دارا للحكم ، يجلس فيه رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده فيستقبلون الوفود ، ويستمعون منهم ، ويعرضون عليهم الإسلام ، ويناقشونهم فيما عندهم من الآراء .

٧ ـ وكان المسجد دارا لمجلس الشورى تعرض فيه شئون الأمة ، وما يعن لها من المشكلات وتناقش على ضوء الكتاب والسنة الأمور التى لم يرد فيها نص ، ثم يجمع فيها المسلمون على رأى ويكون ذلك حكما ماضيا فى الناس .

تلك هى رسالة المسجد فى عمومها وشمولها ، لا تدع شيئا من شئون الدين إلا أحصته ولا أمرا من أمور الدنيا إلا وضحته وقررته .

يقول الدكتور محمد الطيب النجار فى مذكراته (محمد رسول الله) (ولم يكن المسجد على عهد رسول الله ﷺ مكانا للصلوات الخمس وصلاة الجمعة فحسب ، ولكنه كان مدرسة للتعليم والتهذيب أستاذها ومعلمها رسول الله ﷺ وطلابها هم أصحابه الأبرار ـ رضوان الله عليهم ـ وكان محكمة للقضاء بما أنزل الله يفصل فيها رسول الله ﷺ أو من ينيبه بين المتخاصمين ، وكان دارا للشورى يتداول فيها الرسول والمسلمون فى أخص شئونهم وأمورهم ، وكان مركزا لقيادة الجيش تعقد فيه الألوية للرؤساء والقواد ويزودون بالنصائح والتعليمات ، وكان نزلا لاستقبال الوفود والرسل الذين توجههم الدول للقاء الرسول ﷺ وهكذا كانت رسالة المسجد فى ذلك الوقت رسالة خير وتهذيب وإصلاح)[1] .

هل أدى المسجد رسالته ؟

يمتاز الإسلام بأنه دين يبرز نظرياته دائما إلى حيز التطبيق العملى ، فليس فى الإسلام نظريات تبقى فلسفة فى العقول ، أو تعيش قابعة فى زوايا النفس وحنايا الأضلع ، بل إن النظريات التى أتى بها الإسلام ، لا يمكن أن يطلق عليها اسم الإسلام إلا اذا برزت إلى حيز العمل وطبقت عمليا فى حياة الناس .

فنظرية الصلاة هى الخشوع لله تعالى وإظهار الانقياد له ، وصلة القلب به ، وتعلق النفس بجلاله ويمكن أن تظل هذه الفلسفة ترتع فيها العقول ، وتهيم فيها القلوب ، ولكنها حينئذ لا تكون الصلاة الاسلامية إلا اذا طبقت عمليا بالاتيان بها فى أوقاتها وبهيئتها المعروفة التى قررها الإسلام .

ونظرية الصيام قائمة على أساس المراقبة لله تعالى ـ وترويض النفس على الصبر وتحمل المشاق حتى تتولد فى النفس التقوى والخضوع لله عز وجل ـ ويمكن أن تظل هذه أيضا ـ فلسفة لا تتجاوز نطاق العقل ، ولا تخرج عن حيز الفكر ولكنه لا يكون الصوم الذى فرضه الإسلام إلا إذا كانت المراقبة مكتسبة من ترك الطعام والشراب والشهوة لله ـ تعالى ـ وترويض النفس على الصبر والتحمل ناشىء عن ذلك حيث تكون التقوى نتيجة طبيعية للمراقبة .

وهكذا جميع الفرائض التى فرضها الله على المسلمين لا بد أن تطبق عمليا فى حياة

(١) مذكرات فى التاريخ الاسلامى ص ٧٣ .

كل مسلم حتى تكون هى العبادات الإسلامية التى يريدها الله ورسوله . وتتأثر بها القلوب والنفوس ، وتؤتى ثمارها فى واقع المسلمين .

وعندما يريد الإسلام للمسجد أن يكون مدرسة يتخرج فيها العلماء ، ومقر قيادة تنجب عظماء القواد ، ومعبدا يتحنث فيه الأتقياء ، ودار قضاء تحكم بين الناس بما أنزل الله تعالى ومقرا للحاكم يستقبل فيه الضيوف والنزلاء ، ودارا لمجلس الشورى يتناول فيه ما يهم المسلمين بالمناقشة والتمحيص ، عندما يريد الإسلام للمسجد أن يكون كذلك ، فلا بد أن يكون كذلك ، وإلا فلن يكون هو مسجد المسلمين ومن أجل هذا حرص المسلمون على أن يؤدى المسجد رسالته ، وأن يكون كما أراده الإسلام فكان مدرسة تلامذتها أصحاب رسول الله ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ وأستاذها رسول الله ﷺ فكان يجلس إليهم بعد الصلاة يعلمهم ويزكيهم ويناقشهم ويربيهم . عن صفوان بن عسال المرادى ـ رضى الله عنه ـ قال : أتيت إلى النبى ﷺ وهو فى المسجد متكىء على برد له أحمر ، فقلت له : يا رسول الله ، إنى جئت أطلب العلم ، فقال : (**مرحبا بطالب العلم ، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب.**)[1] .

ولئن كان حضور هذه الدروس تطوعا من القوم فإن هناك درسا إجباريا يلقى عليهم فى كل يوم جمعة، على كل مسلم أن يسعى اليه ، وان يبكر فى الحضور ليكتب مع السابقين وذلك الدرس هو خطبة الجمعة قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ، وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**)[2] .

وكان المسجد مأوى الغريب ونزل الضيف ومجلس الضعفاء روى صاحب مختصر السيرة قال : (وكان فى مؤخر المسجد موضع مظلل يأوى إليه المساكين يسمّى (الصفّة) وكان عليه السلام يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه ، وتتعشى طائفة معه)[3] .

وفى سمط النجوم العوالى ، قال الحافظ بن حجر : (الصفّة مكان مؤخر المسجد مظلل أعد لنزول الغرباء ، ومن لا مأوى له فكانوا يكثرون فيه تارة ،

---

(١) الترغيب والترهيب الجزء الأول ص ٤٢ مطبعة صبيح . (٢) سورة الجمعة الآية « ٩ » .
(٣) مختصر السيرة ص ١٧٨ المطبعة السلفية .

ويقلون فيه أخرى بحسب من يتزوج منهم ، أو يموت ، أو يسافر)[1] .

وكان المسجد مقرا لقيادة الجيش تصدر منه الأوامر ، وتعبأ فيه القوات ، ويحرسه الجنود بالسلاح ، يقول صاحب السيرة الحلبية وهو يتكلم عن غزوة احد :

(وحرست المدينة ، وبات سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن عبادة وعليهم السلاح فى المسجد بباب رسول الله ﷺ حتى أصبحوا)[2] ويقول فى مكان آخر : (فلم يزالوا برسول الله ﷺ حتى وافق على ذلك ، فصلّى الجمعة بالناس ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا - أى اجتمعوا - وقد حضر أهل العوالى ثم دخل رسول الله ﷺ - بيته ومعه أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - فعمماه ولبساه وصف الناس ينتظرون خروجه)[3]

والمسجد معبد الناسك ، يجد فيه راحة نفسه وطمأنينة قلبه ، وكان ﷺ «إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة »[4] .

وكان يقول : **(أرحنا بالصلاة يا بلال ويقول فى حديث آخر : (وجعل قرة عينى فى الصلاة)**[5] .

وكان دارا للقضاء يحضر فيه الخصمان ، وتسمع شكواهما ويفصل بينهما ، وفى القرآن الكريم : **(وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك)**[6] .

روى الأشعث بن قيس قال : كان بينى وبين رجل من اليهود أرض ، فجحدنى ، فقدمته إلى النبى ﷺ فقال : (ألك بينة ؟ قلت : لا . . قال لليهودى : احلف ، قلت : يا رسول الله إذن يحلف ويذهب بمالى ، فأنزل الله تعالى : **(إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) الآية**[7] .

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ **(لا يحلف أحد عند منبرى هذا على يمين آثمة ، ولو على سواك أخضر ، إلا تبوأ مقعده من النار أو وجبت له النار)**[8] .

---

(١) سمط النجوم العوالى الجزء الأول ص ٣١٥ .
(٢) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٢٣٠ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٣١ .
(٤) فتح القدير الجزء الأول ص ٨١ مطبعة الحلبى .
(٥) مجمع الفوائد الجزء الأول ص ٥٢ .
(٦) المائدة الآية ٤٩ .
(٧) مشكاة المصابيح الجزء الثانى ص ٣٤٤ المكتب الاسلامى . (٨) المصدر السابق ص ٣٤٥ .

وعن أبى الزناد قال : كنت مع عبد الحميد بالكوفة ، وكان يقضى باليمين مع الشاهد فأنكر عليه ناس من أهل الكوفة ، فكتب إلى عمر بن العزيز فكتب عمر بن عبد العزيز أن اقضى باليمين مع الشاهد فقام شيخ من كبرائهم فقال : شهدت شريحا يقضى باليمين مع الشاهد فى هذا المسجد)[1] .

وكذلك كان المسجد دارا للحاكم يستقبل فيه الوفود القادمين إلى المدينة ، قال ابن اسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس فى وفد كندة ، فحدثنى الزهرى بن شهاب أنه قدم على رسول الله ﷺ فى ثمانين راكبا من كنده فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده ، وقد رجلوا جميعهم وتكحلوا عليهم جبب الحيرة ، وقد كففوها بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال : **(ألم تسلموا ؟ قالوا بلى ، قال : فما بال هذا الحرير فى أعناقكم قال : فشقوه منه ، فألقوه)**[2] .

وكذلك كان المسجد مقرا لمجلس الشورى . يتشاور فيه الخليفة مع مجلس الشورى فى أمر المسلمين عملا بقوله تعالى : **(وشاورهم فى الأمر)**[3] .

روى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال على منبر رسول الله ﷺ ـ : أما بعد أيها الناس ، إنه نزل تحريم الخمر ، وهى من خمسة ، من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير .[4] .

كما روى أنه ـ رضى الله عنه ـ استشار الناس فى حد الخمر ، فقال عبد الرحمن ابن عوف ـ رضى الله عنه ـ (اجعله كأخف الحدود ثمانين) وقال على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ (إنه اذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى ، فحده حد المفترى)[5] .

بهذا العرض السريع وبذكر هذه الأمثلة يتضح لنا أن المسجد فى الإسلام قد أدى رسالته كاملة ، وقام بالدور الذى نيط به على أحسن وجه فكان المسجد مركز إشعاع سعد الناس فى ظله بحياة هنيئة هادئة ونعموا بالأمن فى مجتمعاتهم ، والرخاء فى عيشهم ، وأضاء لهم سبل الحياة ، فبدد ظلامها ، وأزاح عنهم ضلال العقيدة وخرافات الجاهلية تحقيقا لقوله ـ عز من قائل ـ : **(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)**[6] .

---

(١) المطالب العلية الجزء الثانى ص ٢٥٢ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام الجزء الرابع ص ٢٣٢ مطبعة مصطفى الحلبى .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٥٩ المكتب الاسلامى

(٤) مطالب أولى النهى الجزء السادس ص ٢١١ المكتب الاسلامى .

(٥) المصدر السابق ص ٢١٢ .

(٦) سورة الجن الآية ١٨ .

الفصل الأول

خلو سبيلها فإنها مأمورة

المسجد النبوى هو المسجد الثانى الذى بناه رسول الله ﷺ فى السنة الأولى من الهجرة ، والأول هو مسجد ـ قباء ـ الواحة التى نزل فيها الرسول بعد الهجرة وأقام فيها الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، ثم توجه إلى المدينة ضحى الجمعة والصحابة رضوان الله عليهم ـ كل يريد أن يأخذ بزمام ناقته ليكون ضيفه ونزيله ، وهو ﷺ يقول : (خلوا سبيلها فإنها مأمورة) والناقة تتلفت يمينا وشمالا ، وتدير رأسها خلفها كأنها تبحث عن شىء حتى وصلت دار أبى أيوب الأنصارى ، وهناك بركت فقال ﷺ (هنا المنزل إن شاء الله تعالى) .

جاء فى مختصر السيرة : (بركت ناقة رسول الله ﷺ عند موضع مسجده ، وهو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين ، وكان مربدا لسهيل وسهل غلامين يتيمين من الأنصار ، وكانا فى حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله ﷺ : (هذا إن شاء الله المنزل)[٢] .

وفى سمط النجوم العوالى : (ثم ركب ﷺ ناقته القصواء ، والناس عن يمينه وشماله وخلفه منهم الراكب ومنهم الماشى ، فاعترضه الأنصار ، فلا يمر بدار إلا قالوا : هلم إلى العز والمنعة والثروة ، فيقول لهم خيرا ، ويدعو لهم ، ويقول : (إنها مأمورة خلوا سبيلها)[٣] . ويقول : ثم مر ببنى عدى بن النجار أخوال جده عبد المطلب ، فقام إليه أبو سليط وصرمة بن أبى أنيس فقالا : يا رسول الله نحن أخوالك هلمّ إلى العدد والمنعة والقوة والقرابة ، لا تجاوزنا إلى غيرنا ، ليس أحد من قومنا أولى بك منا لقرابتنا لك ، فقال : (خلوا سبيلها فإنها مأمورة) فسارت حتى استناخت فى موضع المسجد ، فلم ينزل عن ظهرها ، فقامت ومشت قليلا وهو ﷺ لا يهيجها ، ثم التفتت فكرت راجعة إلى مكانها الأول ، وبركت به ووضعت جرانها على الأرض فنزل عنها)[٤] وهمّ ﷺ ببناء مسجده الشريف ، واختار المكان الذى بركت فيه

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٨ .
(٢) مختصر سيرة الرسول ص ١٧٦ المطبعة السلفية .
(٣) سمط النجوم العوالى الجزء الأول ص ٣١٠ المطبعة السلفية .
(٤) المرجع نفسه ص ٣١١ .

القصواء ليكون مسجدا ومصلى ، وطلب بنى النجار اوصياء اليتيمين ، وثامنهم فى ارضهم يشتريها منهم ليقيم عليها المسجد ، ورفض الغلامان البيع ، وقالا : نهبها لك يا رسول الله ، وأبى ﷺ أن يقبلها هبة حتى ابتاعها ودفع قيمتها عشرة دنانير من مال أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ قال صاحب المواهب : ولما اراد ﷺ بناء مسجده الشريف قال : يا بنى النجار ثامنونى بحائطكم ؛ قالوا : لا نطلب ثمنه الا الى الله ، فأبى ذلك ﷺ وابتاعها بعشرة دنانير أداها من مال ابى بكر ـ رضى الله عنه ـ[1] .

وأخذ ﷺ يستعد للبناء ، فأمر بتسوية الأرض ، فنبش ما بها من قبور وقطع النخيل ، وعجن الطين ، وضرب اللبن ، وأحضر جذوع النخيل ليتخذ منها عمدا وأمر بالجريد ليسقف به .

قال أنس : وكان أى المسجد ـ فى مواضع نخل وخرب ومقابر مشركين ، فأمر بالقبور فنبشت واخرج منها العظام ، وبالخرب فسويت ، وبالنخيل فقطعت[2] .

وعن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت : بنى رسول الله ﷺ مسجده ، فضرب اللبن ، وعجن الطين ، وقرب ما يحتاجون اليه[3] .

قدم رجل من اهل اليمامة عند الشروع فى بناء المسجد ، يقال له طلق ، من بنى حنيفة فَعَنه ـ رضى الله عنه ـ قال : (قدمت على النبي ﷺ وهو يبنى مسجده والمسلمون يعملون معه فيه ، وكنت صاحب علاج الطين ، فأخذت المسحاة ، وخلطت بها الطين ، فقال لى ـ يعنى رسول الله ﷺ ـ : رحم الله امرءا أحسن صنعته ، قال لى : الزم أنت هذا الشغل فإنى أراك تحسنه وفى لفظ ، إن هذا الحنفى لصاحب طين ، وفى لفظ ، قربوا اليمانى من الطين فانه أحسنكم له مسكا ، وأشدكم منكبا)[4] .

(١) المواهب اللدنية الجزء الأول ص ٦٩ .
(٢) سمط النجوم العوالى الجزء الأول ص ٣١٢ .
(٣) المصدر نفسه ص ٢١٣ المطبعة السلفية .
(٤) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٧٤ مطبعة مصطفى محمد .

فضائل المسجد النبوي الشريف و آداب الزيارة

المسجد النبوى الشريف هو المسجد الثانى فى الإسلام فى الفضل وفى المنزلة عند الله ـ عز وجل ـ وفى الأجر للمصلين فيه والقاصدين له ، فقد جاء فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : **(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى)**[1] .

وفى فضل الصلاة فيه قال ﷺ (صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام)[2] .

ومن آداب زيارة المسجد النبوى الشريف أن يبدأ الزائر به للصلاة فيه قبل أن ينشغل بأمور الدنيا ، فإذا توجه إليه فليمش وعليه السكينة والوقار ، ولا يخل بشىء من آداب السير ولا يقصر فى واجب من الواجبات .

وعند وصوله إلى المسجد ، يدخل مقدما رجله اليمنى ويدعو بما ورد عند دخول بيوت الله : (أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم ، باسم الله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، اللهم اغفر لي ذنوبى ، وافتح لى ابواب رحمتك) وليس لدخول الحرم دعاء خاص .

فإن وجد فى الروضة الشريفة محلا يمكنه الصلاة فيه صلى فيه ركعتين تحية المسجد فإذا لم يجد بها محلا فليصل فى أي مكان من المسجد .

فإذا انتهى من تحية المسجد فليتوجه إلى الحجرة الشريفة ويقف مواجها لقبره عليه أفضل الصلاة والسلام مستدبرا القبلة ويسلم على رسول الله ﷺ فيقول : (السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا خير خلق الله) ، أو يقول مثل ذلك القول ثم يتحرك إلى اليمين قليلا بقدر خطوة ، ويسلم على أبي بكر الصديق ، ثم يتحرك خطوة أخرى إلى اليمين كذلك ويسلم على عمر الفاروق ، رضى الله عنهما ـ وإن سلم على رسول الله ﷺ وصاحبيه رضى الله عنهما من أي مكان جاز ، وبعد السلام يتوجه إلى القبلة فيجعل ظهره إلى الحجرة الشريفة أو يترك المكان لغيره من الزوار ويتجه إلى القبلة فى أى مكان من المسجد ويدعو الله بما شاء من امور الدنيا والآخرة .

---

(١) صحيح مسلم .

ومن آداب زيارة المسجد النبوى الشريف ألا يرفع صوته فيه لأي سبب من الأسباب لأن ذلك منهي عنه ـ يقول الله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**) وذلك لأن حرمة الرسول ﷺ بعد مماته كحرمته فى حياته .

وقد رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلين يتلاحيان فى مسجد النبى ﷺ فأشار إليهما أن ائتيا ، فحضرا فسألهما : من أين أنتما ؟ قالا : من الطائف ـ قال رضى الله عنه : لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا ، إن مسجدنا هذا لا ترفع فيه الأصوات .

وليحرص الزائر على أن يؤدى الصلوات المكتوبة فى الحرم النبوى ما دام فى المدينة المنورة وليكثر من صلاة النوافل فيه وقراءة القرآن الكريم وذكر الله عز وجل .

وعلى المسلم أن يكون حسن الأخلاق على كل حال ، وبخاصة مع رفقة السفر ، وكل من يعاملهم بالبيع والشراء وغير ذلك ، ومن المعلوم أن مشقات السفر ، ومفارقة الأهل والوطن من أسباب ضيق الأخلاق ، ولهذا ينبغى أن يتحلى الإنسان بالصبر ويعود نفسه رقة المعاملة وتحمّل الصعاب حتى لا يقع فى شىء مما يكرهه الإسلام .

وليعلم الزائر الكريم أن الزيارة لا ترتبط بشىء من أعمال الحج ، بل هى أمر مستقل بنفسه ، ويمكن أن يقوم بها الإنسان فى غير موسم الحج ، إنه ليس من متطلبات الزائر لبس الإحرام لدخول المدينة بل يدخلها بملابسه العادية التى يلبسها على كل حال .

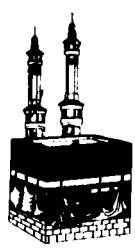

تخطيط المسجد ومساحته

وخطط ـ ﷺ ـ الأرض فجعل طول المسجد مما يلى قبلته إلى مؤخره مائة ذراع ، وجعل عرضه مائة ذراع أو تقل قليلا ، وجعل القبلة إلى بيت المقدس ، وحفر أساسه ثلاثة أذرع تقريبا ، وصف النخيل إلى القبلة ، وجعل له ثلاثة أبواب ، باب فى مؤخرة المسجد وباب الرحمة ، والباب الذى كان يدخل منه ﷺ وجعل عَضادتى أبوابه من الحجارة .

قال صاحب سمط النجوم : (ثم أمر باتخاذ اللبن ، فاتخذه وبنى المسجد ، وسقفه بالجريد ، وجعلت عُمُدَه خشب النخل ـ صف النخل فنصب قبلة المسجد ـ أى جعل سوارى فى جهة القبلة ليسقف عليها ـ وجعل عضادتيه حجارة، وجعل قبلة المسجد القدس ، وجعل له ثلاثة أبواب ، باب فى آخره ، وباب يقال له باب الرحمة ، والباب الذى يدخل منه ﷺ وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وفى الجانبين مثل ذلك أو دونه ، وجعل أساسه قريبا من ثلاثة أذرع)[1] .

وفى السيرة الحلبية (وجعل ثلاثة أبواب : باب فى مؤخره ، الباب الذى كان يقال له باب عاتكة ، وكان يقال له باب الرحمة والباب الذى يقال له الآن باب جبريل أى وهو الذى كان يدخل منه ﷺ ويقال له باب عثمان لأنه كان يلى دار عثمان)[2] .

وفى مختصر السيرة : وجعلت قبلته إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب : ـ باب فى مؤخره وباب يقال له باب الرحمة ، والباب الذى يدخل منه ﷺ وجعل طوله مما يلى القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وفى الجانبين مثل ذلك أو دونه وجعل أساسه قريبا من ثلاثة أذرع ، وجعل عمده الجذوع ، وسقفه بالجريد وجعل عضادتيه الحجارة ، وقيل له : ألا تسقفه ؟ فقال : لا ، عريش كعريش موسى[3]

---

(١) المصدر السابق ص ٣١٢ .

(٢) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٧٩ مطبعة مصطفى محمد .

(٣) مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ١٧٧ المطبعة السلفية .

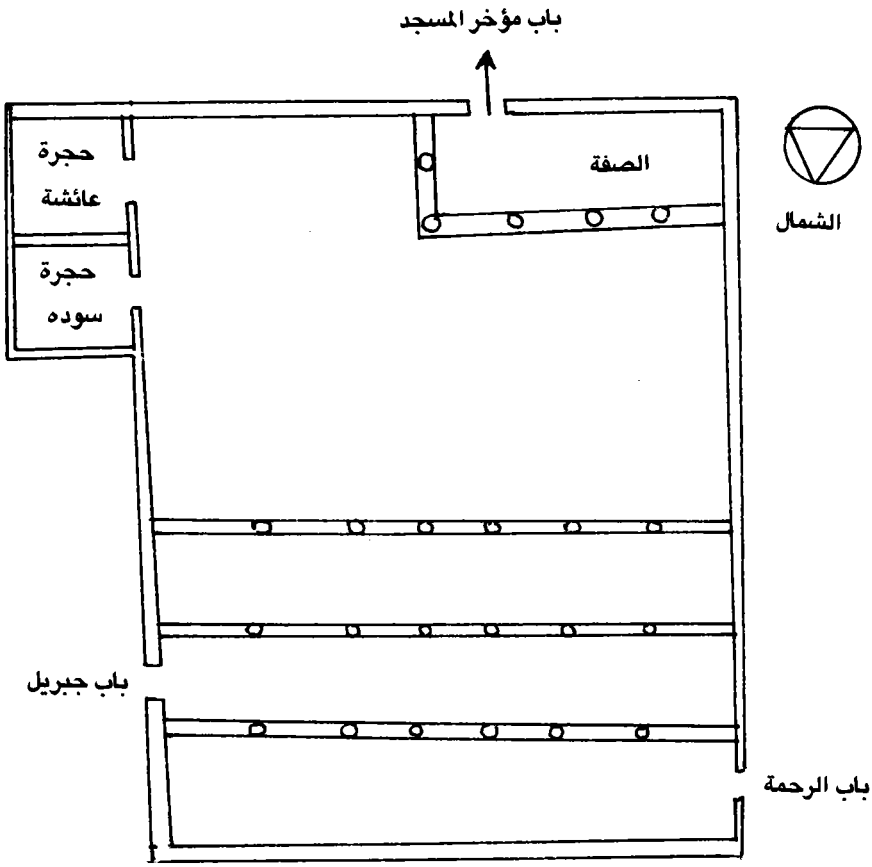

● المسجد في عهد الرسول والقبلة إلى بيت المقدس عام (١) هـ

وجعل ﷺ ارتفاع أساسه بالحجارة ثلاثة أذرع ، وارتفاع جداره قامة رجل بحيث لو وقف الرجل أصاب رأسه السقف ، وفى رواية لو رفع الرجل يده أصابت السقف ، قال فى السيرة الحلبية : (ورفع بالحجارة أى قريبا من ثلاثة أذرع وبنى باللبن ؛ وجعل عضادتيه أى جانبيه بالحجارة ، وسقفه بالجريد ، وجعلت عمده وفى رواية سواريه من جذوع النخل ، وطول جداره قامة رجل أى كان ارتفاعه قدر قامة)[1] .

وروى أنه ﷺ جعل ارتفاعه سبعة أذرع قال : (لما أراد رسول الله ﷺ بناء المسجد قال : قيل لى : ـ أى قال له جبريل عريش كعريش أخيك موسى سبعة أذرع طولا فى السماء)[2] .

وذكر صاحب آثار المدينة المنورة أن مساحة المسجد بالأمتار خمسة وثلاثون مترا طولا أى من الجنوب إلى الشمال ـ وثلاثون مترا عرضا ـ أى من الشرق إلى الغرب ـ ومعنى ذلك أن المسجد كان مستطيل الشكل عند بنائه الأول .

قال صاحب الآثار : (وكان طوله ٣٥ مترا من الجنوب الى الشمال ، و٣٠ مترا من الشرق إلى الغرب)[3].

وأن مساحته كانت = ٣٥ × ٣٠ = ١٠٥٠ مترا مربعا .

وهذا التقدير لمساحة المسجد النبوى الشريف يبدو أنه غير صحيح لسببين : الأول أن كل المراجع القديمة ذكرت أن مساحة المسجد كانت مائة ذراع طولا فى مائة أو تقل قليلا عرضا ومن المعلوم أن الذراع نصف متر فيكون الطول خمسين مترا والعرض ٤٩ مترا مثلا ، وعلى هذا تكون مساحة المسجد هى : ٥٠ × ٤٩ = ٢٤٥٠ مترا مربعا .

الثانى أن صاحب الآثار نفسه ذكر فى صفحة ١١٠ أن مساحة المسجد فى عهد الرسول ﷺ كانت ٢٤٧٥ مترا مربعا وهذا التقدير قريب جدا من التقدير السابق ، ويتضح من هذا أن تقدير صاحب الآثار الأول فيه بعد عن الحقيقة وجب التنبيه عليه ، حيث تكون مساحة المسجد : ٣٥ × ٣٠ = ١٠٥٠ مترا مربعا والفرق واضح .

---

(١) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٧١ مطبعة مصطفى محمد .

(٢) نفس المرجع والصفحة السابقين .

(٣) آثار المدينة المنورة لعبد القدوس الانصارى ص ١٠٤ دار العلم للملايين ببيروت الطبعة الثالثة .

الشروع في بناء المسجد

وبدأ ﷺ يحمل بنفسه اللبن فى ثيابه ، فوضع رداءه ، ورآه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فوضعوا أرديتهم ، وحملوا فيها اللبن والحجارة وأخذوا فى بناء المسجد .

قال صاحب المواهب : (وروينا أنه ﷺ كان ينقل معهم اللبن فى بنائه ويقول وهو ينقل :

هـذا الحـمـال لا حمـال خيـبـر هـذا أبـر ربـنـا وأطـهـر
الـلـهـم إن الأجـر أجـر الآخـرة فـارحـم الأنـصـار والمـهـاجـرة

قال ابن شهاب : (ولم يبلغنا أنه ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذا)[1] .

قال صاحب السيرة الحلبية : (وعمل فيه رسول الله ﷺ بنفسه ليرغب المسلمين فى العمل فيه فقد جاء أنه ﷺ صار ينقل اللبن فى ثيابه ، وفى رواية فى ردائه ، حتى اغبر صدره الشريف ، وصار يقول :

هـذا الحـمـال لا حمـال خيـبـر هـذا أبـر ربـنـا وأطـهـر

أى هذا المحمول من اللبن أبر وأطهر يا ربنا مما يحمل من خيبر من نحو التمر والزبيب)[2] . (ووضع عليه السلام رداءه فوضع الناس اردیتهم وهم يقولون :

لئـن قـعـدنـا والـنـبـى يـعـمـل ذاك إذًا لَـلـعـمـل المـضـلل)[3]

وفى سمط النجوم (فقام عليه الصلاة والسلام ـ فوضع رداءه ، فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أرديتهم ، وجعلوا يرتجزون فيقولون :

لئـن قـعـدنـا والـنـبـى يـعـمـل ذاك إذًا لـعـمـل مـضـلل[4]

---

(١) المواهب اللدنية الجزء الأول ص ٧٠ المطبعة الشرقية .
(٢) انسان العيون المعروفة بالسيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٧٢ مطبعة مصطفى محمد .
(٣) المواهب اللدنية الجزء الأول ص ٧٠ المطبعة الشرقية .
(٤) سمط النجوم العوالى الجزء الأول ص ٣١٣ المطبعة السلفية .

وعن الزهرى : (وكان عثمان بن مظعون رجلا متنظفا ، فكان يحمل اللبنة فى ثوبه فإذا وضعها نظف كمه ، ونظر إلى ثوبه ، فان أصابه شيء من التراب نفضه ، فنظر إليه على بن أبى طالب فأنشأ يقول :

لا يستوى من يعمر المساجد يدأب فيها قائما وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا)[1]

ويروى أن عمار بن ياسر رضى الله عنه سمع هذه الأبيات فأخذ يرددها وهو لا يدرى من المقصود بها ، فمر بعثمان بن مظعون ، فغضب عثمان ظانا أن ياسرا يعرض به ، فقال له : يا ابن سمية بمن تعرّض وتشتمه ، لتكفنّ أو لأعترضنّ بها وجهك ـ لحديدة كانت بيده ـ فسمع النبي ﷺ عثمان وهو جالس فى ظل بيت أم سلمة ، فغضب ، فقال الصحابة لعمار : إن النبى ﷺ قد غضب فيك ، ونخاف أن ينزل فينا قرآن ، فقال عمار : أنا أرضيه كما غضب ، فقال : يا رسول الله ، مالى ولأصحابك ؟ فقال : مالك ولهم ؟ قال : يريدون قتلى يحملون لبنة لبنة ، ويحملون على اللبنتين والثلاث ، فأخذ بيده فطاف به فى المسجد وجعل يمسح ذفرته بيده من التراب ، ويقول : يا ابن سمية ، لا يقتلك أصحابى ، ولكن تقتلك الفئة الباغية)[2] .

وفى السيرة الحلبية (فسمع ذلك الرجز عمار بن ياسر ، فصار يرتجز بذلك وهو لا يدرى من يعنى بذلك ، فمر يرتجز بذلك على عثمان ، فظن عثمان أن عمار يقصد التعريض به ، فقال له عثمان : يا ابن سمية ، ما أعرفنى بمن تعرض به ، لتكفن أو لأعترضنّ بهذه الحديدة ـ لحديدة كانت معه ـ وجهك ، وفى لفظ والله إني أرانى سأعرض هذه العصا بأنفك ـ لعصا كانت فى يده ـ فسمعه رسول الله ﷺ فغضب وقال : إن عمار بن ياسر جلدة ما بي عينى ووضع يده الشريفة بين عينيه الشريفتين فقال الناس لعمار : قد غضب رسول الله ﷺ أي ونخاف أن ينزل فينا قرآن ، فقال : أنا أرضيه فقال : يا رسول الله ، مالى ولأصحابك ؟ قال : مالك ولهم ؟ قال : يريدون قتلى ، فيحملون لبنة لبنة ويحملون على لبنتين لبنتين وفى لفظ اللبنتين والثلاث ، فأخذ بيده ، وطاف به المسجد ، وجعل يمسح ذفرتيه من التراب

---

(١) المصدر السابق ص ٣١٤ وفى المراجع الأخرى « إن الذى كان يفعل ذلك عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ » .
(٢) سمط النجوم العوالى الجزء الأول ص ٣١٤ المطبعة السلفية .

ـ والذفرة بالذال المعجمة الشعر الذى جهة القفا ـ ويقول : يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة الباغية ، ويقول : ويح عمار ، تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار)[1] .

وظل الصحابة ينقلون اللبن والحجارة حتى تم البناء ، واكتمل المسجد ، وأخذ يؤدى رسالته فى المجتمع الذى كان ينظر إليه فيرى فيه منارة هدى ، ومشعل رشد ، ومعقل حق وخير .

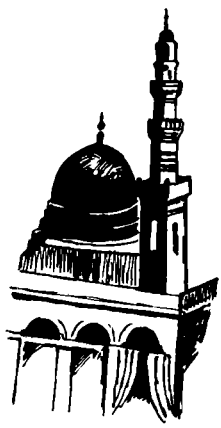

(١) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٧٧ مطبعة مصطفى محمد .

الصُّفَّة

وجعل رسول الله ﷺ فى مؤخرة المسجد مكانا مظللا ، يعرف بالصفَّة وكان الغرباء والمساكين يأوون إلى هذا المكان ، ويجلسون فيه ، حتى إذا كان المساء فرقهم رسول الله على أصحابه ويأخذ طائفة منهم فتتعشى معه .

(وكان فى المسجد موضع مظلل يأوى إليه المساكين ، يسمى بالصفّة ، وكان أهله يسمون أهل الصفة ، وكان ﷺ يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه ، وتتعشى طائفة منهم معه عليه الصلاة والسلام)[1] .

وفى السيرة الحلبية (ولما بنى المسجد جعل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم محلا مظللا يأوى إليه المساكين ، يسمى الصفّة ، وكان أهله يسمون أهل الصفّة ، وكان ﷺ فى وقت العشاء يفرقهم على أصحابه ويتعشى معه منهم طائفة ، وظاهر السياق أن هذا المحل فعل فى زمن بناء المسجد وآوى إليه المساكين من حينئذ ، لكن روى البيهقى عن عثمان بن اليمامة قال : لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم زاد ولا مأوى ، أنزلهم رسول الله ﷺ المسجد ، وسماهم أصحاب الصفة ، وكان يجالسهم ، ويأنس بهم)[2] .

وعلى رواية البيهقى لم يكن أهل الصفة معروفين منذ بنى المسجد ، ولكنهم وجدوا بعد ذلك بعد أن هاجر المسلمون من مكة وتركوا وراءهم أموالهم حين منعهم المشركون من اصطحابها معهم إلى المدينة عند الهجرة ، فالصفّة وإن بنيت مع المسجد ، إلا أن أهلها لم يعرفوا إلا بعد تتابع المهاجرين ، وازدياد الفقراء منهم فى المدينة .

ولم يكن سقف المسجد محكم التطبيق ، فكان إذا نزل المطر يسيل الماء مختلطا بطين السقف على المصلين حتى يمتلىء المسجد طينا فسألوا رسول الله ﷺ أن يزيد الطين على السقف فرفض .

---

(١) المصدر السابق ص ٧٢ (٢) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٨٦ مطبعة مصطفى محمد .

(ولم يكن على المسجد كبير طين إذ كان المطرْ يكف ـ أى ينزل منه ماء المطر المخالط للطين عليه ـ بحيث يمتلىء ـ أى المسجد ـ طينا ، فقالوا : يا رسول الله ، لو أمرت بطين ـ أى اجعل عليه طينا كثيرا بحيث لا ينزل عليه المطر فقال : لا ، عريش كعريش موسى)[1] .

قال صاحب سمط النجوم : (رفعوا أساسه قريبا من ثلاثة أذرع بالحجارة ، ولم يسطح ، فشكوا الحر ، فجعلوا سواريه جذوعا ، وظللوا بالجريد ثم بالخصف ، فلما وكف عليهم المطر طينوا عليه بالطين وكان جداره قبل أن يظلل قامة وشيئا ، وجعل وسطه رحبة)[2] .

ويفيد هذا النص أنه لما نزل عليهم المطر طينوا السقف حتى لا ينزل عليهم الماء ، فى حين أن النص الأول يدل على أن الرسول ﷺ رفض تطيينه ، وقال : (لا . . عريش كعريش موسى) وليس التوفيق بين النصين ممتنعا ولا عسيرا ذلك لأنه يجوز أن سقف المسجد لم يطين فى عهده ﷺ ثم طين فى عهد الخلفاء الراشدين من بعده .

ويفيد النص شيئا جديدا لعمارة المسجد ، وهو أن المسجد لم يسقف كله ، وإنما جعلت له رحبة ، وهى الصحن الذى يكون فى المساجد كثيرا اليوم ، ويتخذ للتهوية صيفا ، ولإدخال الشمس شتاء ، وبذلك تكون المساجد مكانا صحيا صالحا ، لا يتضرر بالإقامة فيه المعتكفون ولا يمل الجلوس فيه المتعلقة قلوبهم به .

مدة البناء

استغرق بناء المسجد فترة اختلفِ فيها المؤرخون ، فقال بعضهم : سبعة أشهر وقال بعضهم : قرابة عام وقال بعضهم شهرا واحدا .

قال صاحب المواهب : (وأقام ﷺ عند أبى أيوب سبعة أشهر وقيل إلى صفر من السنة الثانية وقال الدولابى : شهرا)[3] .

---

(١) المصدر السابق ص ٧٢ .

(٢) سمط النجوم العوالى الجزء الأول ص ٣١٥ المطبعة السلفية .

(٣) المواهب اللدنية الجزء الأول ص ٦٩ المطبعة الشرقية .

وفى سمط النجوم (وأقام ﷺ فى دار أبى أيوب سبعة أشهر)[1] والمعلوم أنه ﷺ لم يترك بيت أبى أيوب إلا بعد أن انتهى من بناء المسجد ، وبنى بيتين لزوجته عائشة وسودة ـ رضى الله عنهما ـ وأنه بعد أن بنى هذين البيتين تحول من بيت أبى أيوب ـ رضى الله عنه ـ إلى بيوته وفى سمط النجوم (فلم يزل ساكنا عند أبى أيوب حتى بنى مسجده وحجرة فى المربد)[2] .

وقول من قال إن مدة البناء سبعة أشهر أقرب إلى الصواب ، وذلك لأنه ﷺ بدأ البناء بعد وصوله المدينة مباشرة ـ أى فى شهر ربيع ـ وقد بنى ـ أى تزوج ـ على السيدة عائشة فى شوال من السنة نفسها ، وبين ربيع وشوال سبعة أشهر .

قال محمد بن عبدالوهاب فى مختصر سيرة الرسول ﷺ :

(فلما فرغ من البناء ـ أى بناء المسجد ـ بنى بعائشة فى البيت الذى بناه لها شرقى المسجد ، وكان بناؤه بها فى شوال من السنة الأولى)[3] .

وقال صاحب السيرة الحلبية : (وفى السنة الأولى من الهجرة أعرس ﷺ بعائشة ـ رضى الله عنها ـ)[4] .

وجاء فيها عن عائشة أن أبا بكر ـ رضى الله عنهما ـ قال : (يارسول الله ، ما يمنعك أن تبنى بأهلك ؟ قال : الصداق فأعطاه أبوبكر اثنتى عشرة أوقية ونشاء فبعث بها إلينا وبنى بى رسول الله ﷺ فى بيتى هذا الذى أنا فيه ، وهو الذى توفى به ودفن فيه رسول الله ﷺ)[5] .

وفى سمط النجوم (فلما فرغ من بنائه ـ بنى بعائشة فى البيت الذى يليه شارع إلى المسجد ، وجعل سودة بنت ذمعة فى البيت الآخر الذى يليه ، إلى الباب الذى يلى آل عثمان ، ثم تحول من دار أبى أيوب إلى مساكنه التى بناها)[6]

ويتضح من هذا أن الرسول ﷺ أقام فى بيت أبى أيوب حتى تم بناء المسجد والدارين إلى جواره فلما أتم بناء المسجد وبيتى عائشة وسودة ـ رضى الله عنهما ـ تحول إلى بيوته وتزوج عائشة ودخل بها وكان ذلك فى شوال من السنة الأولى فتكون مدة

---

(١) سمط النجوم العوالى الجزء الأول ص ٣١٢ . المطبعة السلفية .

(٢) المصدر السابق والصفحة ٣١٢ .

(٣) مختصر سيرة الرسول للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ١٤٨ الطبعة الثانية مؤسسة دار السلام .

(٤) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ١٢٩ مطبعة مصطفى محمد .

(٥) المصدر والصفحة السابقان .

(٦) سمط النجوم العوالى الجزء الأول ص ٣١٣ المطبعة السلفية .

إقامته فى بيت أبى أيوب ـ رضى الله عنه ـ سبعة أشهر ويواجهنا هنا نصوص تدل على أن بناء المسجد استغرق فترة أطول من ذلك يقول صاحب السيرة الحلبية (ومكث ـ ﷺ ـ يصلى فى المسجد بعد تمامه إلى بيت المقدس خمسة أشهر)[1] .

ولما كانت القبلة قد تحولت بعد ستة عشر أو سبعة عشر شهرا فإن ذلك يدل على أن البناء قد استغرق عاما تقريبا ، ويمكن الرد على هذا بأن بناء المسجد قد تم بغير تسقيف وكذلك بناء بيتى زوجيه ﷺ بعد سبعة أشهر وتحول بعد ذلك عن بيت أبى أيوب ، فلما شكوا الحر وطلبوا تظليله ظلله الرسول فاستغرق ذلك بقية العام ويدل على ذلك قول صاحب السيرة أنه صلى فى المسجد بعد تمامه إلى بيت المقدس خمسة أشهر .

وَهَمَّ الأنصار بتشييد المسجد وزخرفته ، وجمعوا الأموال من أجل ذلك ، وذهبوا إلى الرسول ﷺ وكلموه فى الأمر فرفض ﷺ وقال (ما أمرت بتشييد المساجد)[2] .

جاء فى السيرة الحلبية (ولعل قوله ذلك لما جمع الأنصار مالا ، وجاءوا به الى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه ، إلى متى نصلى تحت هذا الجريد ؟ قال وجاء ، لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد وجاء : من أشراط الساعة أن يتباهى الناس فى المساجد ـ أى تزخرفها كما تزخرف اليهود والنصارى كنائسهم وبيعهم)[3] .

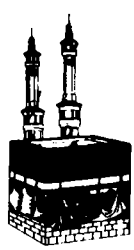

(١) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٨٠ مطبعة مصطفى محمد .
(٢) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٧٢ مطبعة مصطفى محمد .
(٣) المصدر والصفحة السابقان .

فرش المسجد

ولم يكن المسجد مفروشا فى بداية أمره ، بل انتهى الرسول ﷺ من بنائه ، وظل المسلمون يصلون فيه على الأرض التى كانت مربدا ولم يزد ﷺ على أنه سوى الأرض ومهدها مما كان فيها من الخرب وأثر النخيل والقبور .

وظل الأمر على ذلك حتى أمطرت السماء مطرا شديدا ، فأصبحت الأرض مبتلة بحيث لا يستطيع الرجل أن يصلى من البلل الذى أصاب الأرض ، فجعل الرجل يملأ حجر ثوبه من الحصى ، ويفرشه فى مكانه الذى يريد الصلاة فيه ، وتصادف أن رأى رسول الله ﷺ ذلك فأعجبه واستحسنه ، ومنذ ذلك الحين فرش المسجد بالحصباء .

قال صاحب السيرة الحلبية : (وسبب وضع الحصى فى المسجد أن المطر جاء ذات ليلة ، وأصبحت الأرض مبتلة ، فجعل الرجل يأتى بالحصى فى ثوبه ويبسطه تحته ليصلى عليه ، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال : ما أحسن هذا ، وفى رواية : ما أحسن هذا البساط)[1] .

جاء فى بعض الروايات أن الرسول ﷺ أمر أن يحصب المسجد ، وأنه مات قبل أن يحصب فحصبه عمر رضى الله عنه .

قال صاحب السيرة الحلبية : (وقد يعارض هذا ما قيل : إن رسول الله ﷺ أمر أن يحصب المسجد فمات قبل ذلك فحصبه عمر رضى الله عنه)[2] .

والواقع أنه لا تعارض بين الروايتين ويكون أمر الرسول ﷺ أن يحصب المسجد بعد أن رأى الصحابة يبسطون الحصى فأمر بأن يفرش كل المسجد بالحصباء .

وأما فرش الحصر ونحوها فلم يكن معروفا فى عهده ﷺ بل عرف ذلك فى عهد عمر رضى الله عنه كما سيأتى .

---

(١) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٨٠ مطبعة مصطفى محمد .

(٢) المصدر والصفحة السابقان .

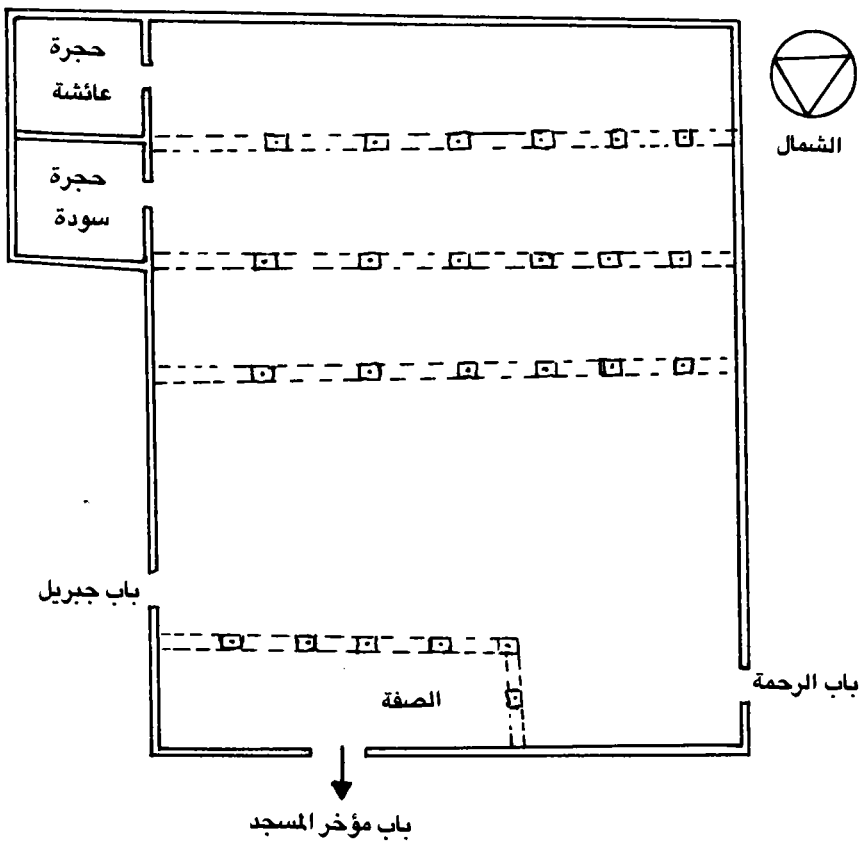

● المسجد في عهد الرسول بعد تحويل القبلة إلى الكعبة عام (٢) هـ

تحويل القبلة

عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : (صليت مع النبى ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا حتى نزلت الآية التى فى البقرة (**وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**) فنزلت بعدما صلى النبى ﷺ فانطلق رجل من القوم ، فمر بناس من الأنصار وهم يصلون ، فحدثهم بالحديث فولوا وجوههم قبل البيت)[1] .

والبراء بن عازب رضى الله عنه صحابى أنصارى ، ومعنى هذا أن الستة عشر شهرا هذه كانت فى مسجد المدينة المنورة ، ولهذا قال بعض أصحاب السير إن القبلة تحولت عن القدس إلى الكعبة فى شعبان من السنة الثانية للهجرة ، وقال بعضهم : تحولت فى رجب من السنة الثانية .

وفى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله تعالى (**قد نرى تقلب وجهك فى السماء**) فتوجه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس ـ وهم اليهود ـ (**ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ قل : لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم**) فصلى مع النبى ﷺ رجل ثم خرج بعدما صلى فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة)[2] .

وليس يعنينا هنا تحول القبلة ولا وقت تحولها ، لأن ذلك بحث آخر له محله ولكن الذى يعنينا هو ، ماذا حدث فى المسجد بعد تحول القبلة ؟ وما التغيرات التى أدخلت عليه بعد ذلك التحول ؟

لابد أنه حدث تغيير فى المسجد حيث أصبحت القبلة إلى الجنوب بعد أن كانت إلى الشمال ، فأين أصبحت الصفّة وكانت فى آخر المسجد من الجنوب ؟

وماذا حدث للأبواب بعد ذلك التحول ؟

---

(١) مختصر صحيح مسلم الجزء الأول ص ٧٦ المكتب الاسلامى .

(٢) صحيح البخارى الجزء الأول ص ١٠٤ مطبوعات محمد على صبيح .

لقد تحولت الصُّفَّةُ من الجنوب إلى شمال المسجد ، وأغلق البابُ الذى فى مؤخرة المسجد ، وأُخّر باب عاتكة وهو باب الرحمة عن محله ، وفتح باب جديد فى شمال المسجد بدلا من الذى كان فى جنوبه .

كان لابد أن يفعل رسول الله ﷺ ذلك ليواجه الحدث الجديد ، ويتجه الى الكعبة المشرفة بعد أن كان يولى وجهه شطر بيت المقدس ، ويقلب وجهه فى السماء آملا أن يحوله الله ـ عز وجل ـ إلى بيته الحرام فى مكة المكرمة ـ حرسها الله تعالى ـ وقد حقق الله أمنيته ، وأصبح يتجه إلى الجنوب بدلا من الشمال .

وقال صاحب السيرة الحلبية : (ولما حولت القبلة سد ﷺ الباب الذى كان فى مؤخر المسجد)[1] .

وقال : (لما حولت القبلة لم يبق من الأبواب التى كان يدخل منها ﷺ إلا الباب الذى يقال له باب جبريل ـ عليه السلام ـ أى أنه بقى فى محله وأما باب الرحمة الذى كان يقال له أيضا باب عاتكة فأُخّر عن محله)[2] .

ويقول السمهودى : (ولما صرفت القبلة سد الباب الذى كان خلفه وفتح باباً حذاءه)[3] .

وروى صاحب سمط النجوم عن الحافظ الذهبى قوله : (إن القبلة قبل أن يحول استقبال بيت المقدس إلى الكعبة كانت فى شمال المسجد ، فلما حولت القبلة إلى الكعبة بقى حائط المسجد الأول مكان أهل الصفّة)[4] .

ويذكر السمهودى أن باب عاتكة والباب الذى كان يدخل منه الرسول لم يغيرا فيقول : (وجعل لها ثلاثة أبواب : باب فى مؤخره ـ أى وهو فى جهة القبلة اليوم ـ وباب عاتكة الذى يدعى باب عاتكة ويقال باب الرحمة ، والباب الذى كان يدخل منه رسول الله ﷺ ـ وهو باب آل عثمان اليوم ، وهذان البابان لم يغيرا بعد أن صرفت القبلة)[5] .

ولعل المقصود بعدم التغيير عدم السد ، ولا يتعارض ذلك مع ما ذكر من تأخر باب الرحمة عن مكانه قليلا بعد تحول القبلة عن موضعه الأصلى كما ذكر صاحب السيرة الحلبية .

---

(١) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٨٠ مطبعة مصطفى محمد . (٢) المصدر والصفحة السابقان .

(٣) وفاء الوفاء الجزء الأول ص ٣٣٧ تحقيق محيى الدين عبدالحميد دار احياء التراث العربى لبنان .

(٤) سمط النجوم العوالى الجزء الأول ص ٣١٥ المطبعة السلفية .

(٥) وفاء الوفا الجزء الأول ص ٣٣٧ تحقيق محيى الدين عبدالحميد دار احياء التراث العربى لبنان .

الفصل الثانى

توسعة المسجد

وفى السنة السابعة من الهجرة ، وبعد عودته ﷺ من غزوة خيبر كثر عدد المسلمين وضاق المسجد بهم ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يوسع المسجد ، حتى يسع المصلين فأجابهم إلى ما طلبوا ، وكان فى جوار المسجد أرض فضاء لأحد الأنصار ، اشتراها عثمان بن عفان رضى الله عنه ـ وأدخلها فى المسجد فزادت بذلك مساحة المسجد ، وكان البناء الثانى ، الذى بنى فيه رسول الله ﷺ ـ بالذكر والأنثى ـ أى بلبنتين مختلفتين احداهما بطولها والأخرى بعرضها ـ وكان من قبل ـ أى فى البناء الأول ـ بناه بالسميط لبنة لبنة ، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخرى قال السمهودى : (كان بناء مسجد رسول الله ﷺ وبالسميط لبنة على لبنة ، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخرى ، ثم كثروا فقالوا : يارسول الله لو زيد فيه ، ففعل فبنى بالذكر والأنثى وهما لبنتان مختلفتان)[1] .

ويقول العصامى : (وعن أسامة عن أبيه قال : كان الذين أسسوا المسجد جعلوا طوله مائة ذراع والعرض مثله أو دونه كما تقدم ذكر ذلك . . ثم كثروا فقالوا يا رسول الله لو زيد فيه ففعل ، فبنى بالذكر والأنثى ، وهما لبنتان مختلفتان)[2] .

ورواية العصامى هذه تؤكد أن مساحة المسجد فى حالته الأولى مائة ذراع فى مثلها أو تقل قليلا ، وأن الزيادة التى طرأت على المسجد بعد غزوة خيبر كانت فوق هذه المساحة ، وحديث أسامة بن زيد هذا يضعف الرواية القائلة بان مساحته أولا كانت سبعين ذراعا فى ستين ذراعا ، وهى رواية النووى عن خارجة بن زيد ، ومما يجعلنا نرجح الرواية الأولى أنها هى الرواية الشائعة والتى وردت فى أكثر الكتب

---

(١) وفاء الوفا الجزء الأول ص ٣٣٥ تحقيق محيى الدين عبدالحميد .

(٢) سمط النجوم العوالى الجزء الأول ص ٣١٤ المطبعة السلفية .

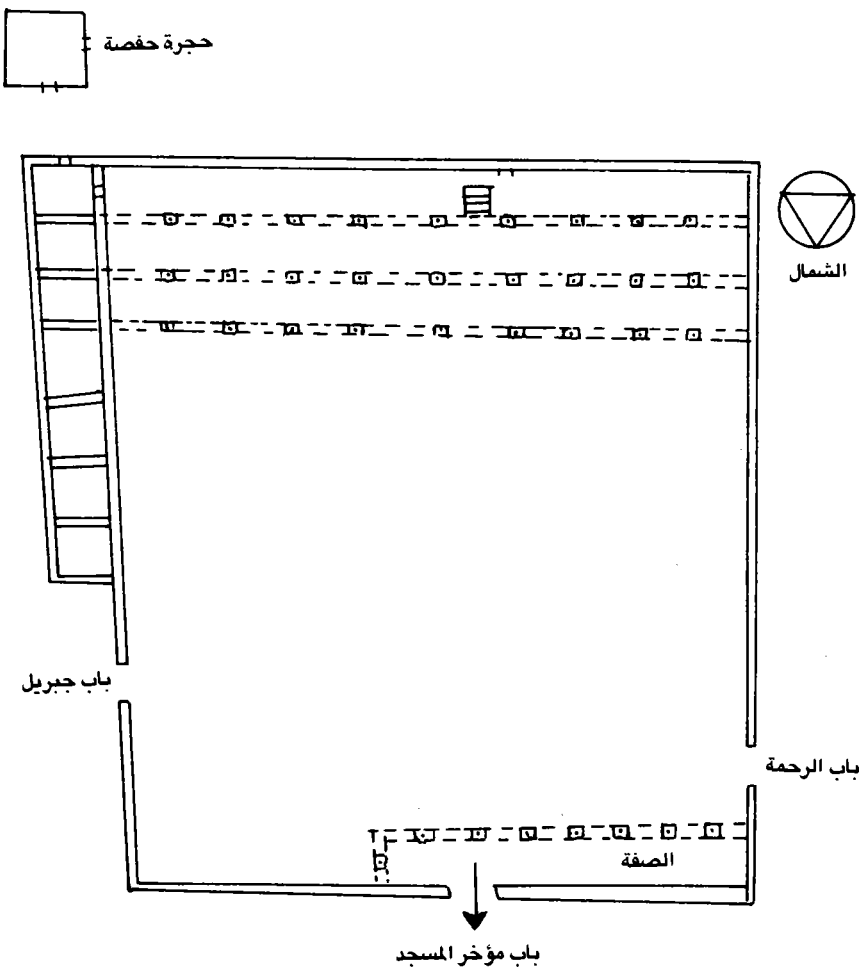

● المسجد في عهد الرسول بعد توسعته بعد غزوة خيبر (٧) هـ

الموثوقة والأرض التى زاد بها رسول الله ﷺ مساحة المسجد كانت لرجل من الأنصار ، اشتراها منه عثمان بن عفان رضى الله عنه لما سمع رسول الله يقول : (من يشترى هذه الأرض ويدخلها فى مسجدنا فله مثلها فى الجنة) فذهب عثمان إلى الأنصارى ، واشتراها منه بعشرة آلاف درهم ثم باعها عثمان لرسول الله ﷺ ببيت فى الجنة .

قال السمهودى : (أخرج خيثمة بن سليمان ، فى فضائل عثمان عن قتادة رضى الله عنهما قال : كانت بقعة إلى جنب المسجد فقال النبى ﷺ من يشتريها ويوسعها فى المسجد له مثلها فى الجنة ، فاشتراها عثمان ، فوسعها فى المسجد)[1] .

وقال الحلبى : (ولما كثر الناس قالوا : يارسول الله ، لو زيد فيه ، ففعل ، ولعلها هى التى أدخل فيها الأرض التى اشتراها عثمان رضى الله عنه من بعض الأنصار بعشرة آلاف درهم ، ثم جاء عثمان إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله أتشترى منى البقعة التى اشتريتها من الأنصارى ؟ ـ أى التى كانت مجاورة للمسجد ـ فاشتراها منه ببيت فى الجنة)[2] .

ومفهوم هذين النصين يدل على أن هذه الأرض التى زيدت فى المسجد غير المربد الذى أقام عليه رسول الله ﷺ مسجده فالمربد كان للغلامين اليتيمين ـ سهل وسهيل ـ وأما هذه الأرض فكانت لرجل أنصارى لم يذكر أحد من الذين أرخوا للمسجد الشريف اسمه .

وهذه الزيادة أيضا كانت فوق مساحة المسجد الأولى التى هى مائة ذراع فى مائة أو تقل قليلا ولم يذكر أحد ممن أشار إلى هذه الزيادة مساحة تلك الزيادة غير أن عبارة وردت فى وفاء الوفا تشير إلى مقدار تلك الزيادة قال السمهودى : (وأسند ابن زبالة من طريق ابن جريج عن جعفر بن عمرو قال : وبناه ـ أى المسجد ـ النبى ﷺ مرتين : بناه حين قدم أقل من مائة فى مائة ، فلما فتح الله عليه خيبر بناه وزاد عليه مثله فى الدور)[3] .

---

(١) وفاء الوفا الجزء الأول تحقيق محيى الدين عبدالحميد ص ٣٣٩ .

(٢) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٨٠ مطبعة مصطفى محمد .

(٣) وفاء الوفا الجزء الأول ص ٣٣٨ تحقيق محيى الدين عبدالحميد .

وهذا النص يدل على أن الزيادة التى حدثت بعد خيبر كانت مثل المساحة الأولى ، يستفاد ذلك من قوله : (وزاد عليه مثله فى الدور) .

ويستبعد السمهودى أن تكون هذه المساحة بالأذرع فيقول بعد أن يورد عبارة جعفر بن عمرو : (ولا يصح أن يراد بذلك الأذرع قطعا ، لأنها تقتضى أنه بعد البناء الثانى صار أحد امتداديه إما الطول أو العرض نحو مائتى ذراع ، والامتداد الآخر نحوها ، ولاشك أن حد مسجده ﷺ من جهة المشرق غايته الحجرة الشريفة فعرضه من جدارها إلى جدار المسجد الغربى ، وذرع هذا القدر اليوم بعد الزيادات المجمع عليها لا تبلغ مائة وخمسين ذراعا كما اختبرته ، بل تنقص أزيد من ستة أذرع)[1] .

واستبعاد السمهودى إنما يتأتى لو كانت عبارة جعفر بن عمرو تفيد أن كل هذه الزيادة كانت فى المسجد ، ولما كانت العبارة لا تفيد ذلك بل تفيد أن الزيادة المذكورة كانت فى المسجد وفى الدور التى أنشأها رسول الله ﷺ حول المسجد ، وكانت تحيط به من كل الجهات ماعدا الجهة الغربية ، فإن الاستبعاد يكون غير وارد حينئذ ، ويستفاد ذلك من قوله : (وزاد عليه مثله فى الدور) .

أى فى الدور التى اتخذها رسول الله ﷺ لزوجاته حول المسجد ويروى السمهودى عن ابن النجار قوله : (وكان لبيت عائشة مصراع واحد من عرعر أو ساج ، قال : ولما تزوج رسول الله ﷺ نساءه بنى لهن حجرا ، وهى تسعة أبيات ، وهى ما بين بيت عائشة رضى الله عنها إلى الباب الذى يلى باب النبى ﷺ)[2] .

ويروى عن ابن زبالة عن محمد بن هلال قوله : (أدركت بيوت أزواج النبى ﷺ كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر ، مستطيرة فى القبلة (الجنوب) وفى المشرق والشام (الشمال) وليس فى غربى المسجد شىء منها ، وكان باب عائشة مواجه الشام ، وكان بمصراع واحد من عرعر أو ساج)[3] .

والمفهوم من هذا أن بيوت زوجات النبى ﷺ كانت منتشرة حول المسجد فى الجنوب والشرق والشمال وليس فى الغرب منها شىء ، وكانت دار السيدة

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤٠ .

(٢) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٥٨ تحقيق محيى الدين عبدالحميد .

(٣) المصدر السابق ص ٤٥٩ .

حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فى جهة الجنوب ، يفصل بينها وبين بيت السيدة عائشة طريق لا يحول بينهما إذا أرادتا الكلام مع بعضهما ، يقول الاستاذ على حافظ وهو يذكر حدود بيت السيدة عائشة رضى الله عنها : (من قبله « الجنوب » طريق يفصل بين بيت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وبين الحجرة الشريفة ، وكانت السيدة عائشة تتهادى وإياها الكلام وهما فى منزليهما ، وتقع دار السيدة حفصة فى موقف زائر النبى ﷺ الآن داخل مقصورة الحجرة وخارجها)[1] .

ذكر الاستاذ على حافظ نقلا عن السمهودى حيث يقول : (ذرع السيد السمهودى رحمه الله الحجرة المطهرة فبلغت طولا من الشرق إلى الغرب جهة القبلة « الجنوب » عشرة أذرع وثلثى ذراع ، وجهة الشام « الشمال » عشرة أذرع وربع ذراع وسدس ذراع ، وعرضا من الشمال للجنوب جهة الشرق والغرب سبعة أذرع ونصف وثمن ذراع بذراع اليد)[2] .

وحسب هذه الذرعة تكون مساحة بيت السيدة عائشة بالأمتار المربعة (الذراع نصف متر) تساوى عشرين مترا مربعا تقريبا .

ولو فرضنا أن الرسول ﷺ زاد فى المسجد من جهته الغربية ثمانية أمتار وبذلك يبلغ عرضه ٤٩ + ٨ = ٥٧م وزاد فيه من جهة الشمال ١٨م وبذلك يبلغ طوله ٥٠ + ١٨ = ٦٨ م وضرب الطول فى العرض تكون مساحة المسجد بعد الزيادة تساوى ٦٨ × ٥٧ = ٣٨٧٦ مترا مربعا ولو طرحنا مساحة المسجد الأصلية ومقدارها (٢٤٥٠) مترا مربعا ـ كما حققناه سابقا من مساحة المسجد بعد الزيادة يكون مقدار الزيادة يساوى ٣٨٧٦ - ٢٤٥٠ = ١٤٢٦ مترا مربعا ، ويكون الباقى ومقداره = ٢٤٥٠ - ١٤٢٦ = ١٠٢٤ مترا مربعا قد وزع على الحجرات الشريفة والشوارع التى بينها ، حيث يكون طول الأضلاع الثلاثة (الجنوبى والشمالى والشرقى) هو ٦٢ + ٦٢ + ٦٨ =١٩٢ مترا ولو ضربنا هذا المقدار × ٥,٣٣ مترا الذى هو عرض كل حجرة من الحجرات المطهرات المنتشرات حول الأضلاع الثلاثة السابقة يكون الناتج هو ١٩٢ × ٥,٣٣ = ١٠٢٣,٣٦م^2 وبهذا يفهم النص الذى استبعده السمهورى .

---

(١) فصول من تاريخ المدينة المنورة ص ١٠٥ شركة المدينة للطباعة .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٣ .

وعلى هذا يكون المسجد الشريف مستطيل الشكل يبلغ طوله من الجنوب إلى الشمال ٦٨م تقريبا أى مائة وستة وثلاثين ذراعا ، ويكون عرضه من الشرق الى الغرب ٥٧م تقريبا أى مائة وأربعة عشر ذراعا وتكون مساحة المسجد النهائية بعد التوسعة الأخيرة فى عهده ﷺ هى : ٣٨٧٦ مترا مربعا أى سبعة آلاف وسبعمائة واثنين وخمسين ذراعا مربعا .

ولا يمكن أن يراد بالذراع الشبر كما فهم السمهودى ، ونص عليه حيث يقول : (فالظاهر أن المراد من هذه الرواية الأشبار لا الأذرع)[١] .

لأن العرب كانوا يعرفون الشبر والذراع ويفرقون بينهما ويغايرون فقد جاء فى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع**)[٢] .

فالرسول هنا ذكر الشبر والذراع وضربهما مثلا لدقة التقليد وذلك لا يكون إلا إذا كانا معروفين عند العرب ، وعطف الذراع على الشبر يقتضى المغايرة بينهما كما يقول النحويون .

وفى الحديث القدسى (**أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وإن تقرب منى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلىّ ذراعا تقربت منه باعا**)[٣] .

ويذكر أبو هلال العسكرى أن عبدالله بن الزبير رضى الله عنه كان من البخلاء ويروى عنه قوله : (إنما بطنى شبر فما عسى أن يكفينى) ؟ ويذكر قول أبى وجرة الشاعر فيه :

لو كان بطنك شبرا كان قد شبعت وكنت أفضلت فضلا للمساكين[٤]

من هذا نعلم أن الشبر كان معروفا عند العرب ، وأن الذراع كان معروفا عندهم كذلك ، ولم يرد فى كلام العرب التعبير بالذراع عن الشبر دون قرينة تدل على ذلك فتعين أن يكون الذراع هو الذراع المعروف وتعين كذلك المصير إلى هذا الذى فسرنا به رواية ابن زبالة التى استبعدها السمهودى وتزول الشبهة ، ويتحقق المقصود .

---

(١) وفاء الوفا الجزء الأول ص ٣٤١ تحقيق محيى الدين عبدالحميد .

(٢) صحيح البخارى الجزء الرابع ص ١٣٥ .

(٣) مختصر صحيح مسلم الجزء الثانى ص ٢٥٨ منشورات وزارة الأوقاف بالكويت .

(٤) الأوائل لأبى هلال العسكرى ص ١٧٩ تحقيق وتعليق محمد السيد الوكيل .

إضاءة المسجد

كان المسجد فى بداية أمره إذا جاءت العتمة يضاء بايقاد سعف النخل فيه وظل على ذلك تسع سنين تقريبا ، حتى قدم تميم الدارى إلى المدينة المنورة فى سنة تسع من الهجرة فوجد المسجد يضاء بسعف النخل ، وكان قد أحضر معه قناديل وحبالا وزيتا ، فعلق تلك القناديل بسوارى المسجد ، وأوقدها فأضاءت المسجد ، فقال له رسول الله ﷺ : (**نوّرت مسجدنا نور الله عليك**)[1] يقول بعض المؤرخين : إن أول من جعل فى المسجد المصابيح عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ وأقول لا تعارض بين القولين ، لأنه يحتمل أن يكون تميم الدارى هو أول من علق القناديل فى المسجد ، وأن عمر بن الخطاب قد زاد فيها وأكثر منها .

روى صاحب الاستيعاب عن سراج غلام تميم الدارى قال : (قدمنا على رسول الله ﷺ ونحن خمسة غلمان لتميم الدارى ، فأمرنى ـ يعنى سيده ـ فأسرجت المسجد بقنديل فيه زيت ، وكانوا لا يسرجون إلا بسعف النخل ، فقال رسول الله ﷺ من أوقد مسجدنا ؟ فقال تميم : غلامى هذا ، فقال : ما اسمه ؟ فقال : فتح ، فقال رسول الله ﷺ ـ بل اسمه سراج ، فسمانى رسول الله ﷺ ـ سراجا)[2] .

وهكذا أضىء المسجد فى عهده الأول بإيقاد سعف النخل فيه ، ثم بالمصابيح التى جلبها تميم الدارى معه ، وكان قدوم تميم فى العام التاسع من الهجرة كما ذكر صاحب المواهب اللدنية[3] .

المنبر :

وكان لا بد ان يتخذ ﷺ منبرا يخطب عليه ، فقد اتسع المسجد ، وكثر المسلمون ، واقبلت الوفود تترى . متسابقة الى رسول الله ﷺ لتسمع منه فتدخل فى الإسلام .

---

(١) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٨٧ مطبعة مصطفى محمد .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر الجزء الثانى ص ٦٨٣ مطبعة نهضة مصر .

(٣) المواهب اللدنية الجزء الأول ص ٧١ المطبعة الشرقية .

نقل السمهودى عن طبقات ابن سعد أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ قالوا : (يا رسول الله ، إن الناس قد كثروا ، فلو اتخذت شيئا تقوم عليه إذا خطبت ، قال ﷺ : ما شئتم)[1]

وفى بعض الروايات : (كان رسول الله ﷺ يجلس بين أصحابه فيجىء الغريب ، فلا يدرى أيهم هو ، فطلبنا إليه ان نجعل له مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه ، فبنينا له دكانا من طين كان يجلس عليه)[2] .

وهذه الرواية تدل على أن المنبر كان أول ما صنع دكة من طين ، كان ﷺ يجلس عليها ليعرفه الغريب ، ويخطب عليها يوم الجمعة ، وفى المناسبات ، ويؤيد ذلك ما جاء فى حديث الإفك ، فقد روى البخارى فى صحيحه قالت عائشة : (فقام رسول الله ﷺ ـ فاستعذر عبدالله بن أبيّ وهو على المنبر . وجاء فى آخر الحديث ، قالت : فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر)[3] .

والمعلوم أن حديث الإفك كان بعد غزوة بنى المصطلق ـ أى سنة خمس من الهجرة ـ والمنبر الخشب لم يتخذ إلا بعد سنة سبع كما حققته كتب السيرة والتاريخ ، وقال صاحب المواهب اللدنية : (وجزم بن سعد بأن عمل المنبر كان فى السنة السابعة ، وقال : وعن بعض أهل السير أنه ﷺ كان يخطب على منبر من طين قبل أن يتخذ المنبر الذى من خشب)[4] .

وقد عارض ابن حجر هذه الرواية بعد أن ذكرها حيث قال : (حكى بعض أهل السير أنه ﷺ كان يخطب على منبر من طين قبل ان يتخذ المنبر الذى من خشب ويعكر عليه ما تقدم فى الأحاديث الصحيحة من أنه كان يستند إلى الجذع إذا خطب)[5] .

وكأن السمهودى لم يرض بهذا الاعتراض ، ولم يقره ، فراح يلتمس التوفيق ، ويزيل التعكير ويصفى الروايات محاولا الجمع بينها : (يحتمل ان ذلك المنبر المتخذ

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٣٩٦ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .
(٢) المرجع السابق ص ٣٩٨ .
(٣) مختصر سيرة الرسول ص ٢٧٠ المطبعة السلفية .
(٤) المواهب اللدنية الجزء الأول ص ٧١ المطبعة الشرقية .
(٥) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٣٩٧ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

من الطين كان الى جانب الجذع وكأنه كان بناء مرتفعا فقط ، وليس له درج ومقعده بحيث يكمل الإرتفاق به ، فلا ينفى ما تقدم فى سبب اتخاذ المنبر من خشب ، ويؤيد ذلك ما ورد فى حديث الإفك فى الصحيحين عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : (فثار الحيان الأوس والخزرج حتى كادوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر الحديث ، وهذه القصة متقدمة على اتخاذ المنبر من الخشب)[1] .

وبهذه المحاولة الجيدة من السمهودى استطاع التوفيق بين ما جاء فى الصحاح من أنه ﷺ كان يستند إلى الجذع إذا خطب ، وبين ما ذكر بعض أهل السيرة من أنه كان يخطب على منبر من طين قبل أن يتخذ المنبر الذى من الخشب ، حيث جعل منبر الطين إلى جوار الجذع فلا ينافى أن يكون ﷺ واقفا على المنبر ومستندا إلى الجذع فى آن واحد ، وبهذا تتوافق الروايات الصحيحة مع ما ذكر بعض أهل السير .

وروى السمهودى عن الدرامى من حديث بريدة : (كان النبى ﷺ إذا خطب قام فأطال القيام . فكان يشق عليه قيامه ، فأتى بجذع نخلة ، فحفر له ، وأقيم الى جنبه قائما للنبى ﷺ فكان النبى ﷺ إذا خطب فطال القيام عليه استند فاتكأ عليه ، فبصر به رجل كان ورد المدينة ، فرآه قائما الى جنب ذلك الجذع ، فقال لمن يليه من الناس : لو أعلم أن محمدا يحمدنى فى شىء يرفق به لصنعت له مجلسا يقوم عليه ، فان شاء جلس ما شاء ، وإن شاء قام ، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : ائتونى به ، فأتوه به ، فأمر أن يصنع له هذه المراقى الثلاث أو الأربع ، وهى الآن فى مسجد المدينة ، فوجد النبى ﷺ فى ذلك راحته)[2] .

وهذه الرواية تفيد أنه ﷺ استند إلى الجذع لما شق عليه القيام ، ويفهم منها أنه كان قبل ذلك يخطب غير مستند إلى الجذع ولما كان الجذع لا يمكن الجلوس عليه بشكل يريح الجالس ظلت المشكلة قائمة وظل ﷺ يشكو مشقة القيام بسبب مرض كان فى فخذه سبّبَ له ضعفا فى رجليه .

قال السمهودى : (وفى كتاب ابن زبالة عن خالد بن سعيد مرسلا ، أن تميما الدارى كان يرى رسول الله ﷺ يشتد عليه وجع كان يجده فى فخذيه يقال له الزجر ، فقال له تميم : يا رسول الله ألا أصنع لك منبرا تقوم عليه ، فإنه أهون عليك إذا قمت وإذا قعدت ؟)[3].

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩٧ .
(٢) وفاء الوفاء الجزء الثانى ص ٣٨٩ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .
(٣) المصدر السابق ص ٣٩٣ .

وروى السمهودى أيضا أن النبى ﷺ قال : (إن القيام قد شق علي ، وشكا ﷺ ضعفا فى رجليه ، قالوا : ـ فقال تميم الدارى ـ وكان رجلا من لخم من أهل فلسطين ـ يا رسول الله ، أنا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام)[1] .

وتفيد الروايتان أن المنبر صنع سنة تسع من الهجرة ـ أى فى آخر حياة الرسول ﷺ لأن تميما الدارى لم يأت إلى المدينة إلا سنة تسع من الهجرة وذكر العباس ـ رضى الله عنه ـ فى حديث المنبر لا ينافى ذلك حيث كان قدوم العباس فى آخر سنة ثمان وعرض تميم صنع المنبر على الرسول كان سنة تسع بعد قدومه وكان العباس موجودا فى المدينة حين ذاك ، وعلى هذا يكون قول القائلين بأن المنبر صنع سنة ثمان بناء على ذكر العباس فى روايته وَهْمٌ لا مبرر للتمسك به .

على أن صاحب المواهب يروى بأن صنع المنبر وحنين الجذع كان سنة ثمان من الهجرة يقول : (وكان ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذع فى المسجد قائما فقال : ان القيام قد شق علي ، فصنع له المنبر وكان عمله وحنين الجذع فى السنة الثامنة من الهجرة ، وبه جذم ابن النجار)[2] .

وإذا استطعنا أن نحدد صانع المنبر نستطيع أن نحدد السنة التى صنع فيها المنبر ، وإذا تصفحنا الكتب التى تناولت الموضوع نرى اختلافا كبيرا فى اسم صانع المنبر فابن زبالة يروى عن خالد بن سعيد مرسلا أن الذى صنع المنبر تميم الدارى ، ويروى ابن زبالة أيضا أنه غلام لسعيد بن العاص اسمه باقول (بموحدة وقاف مضمومة) أو هو غلام للعباس اسمه كلاب أو صباح (بضم الصاد) ، وينقل المراغى عن بعض شيوخه أن الذى عمل المنبر باقوم (بالميم) بانى الكعبة لقريش ،وفى الطبرانى باسناد فيه متروك أن اسم صانع المنبر إبراهيم ، وفى أسماء الصحابة لابن شبة مرسلا : اسمه قصيبة أو قبيصة .

ويروى ابن سعد فى الطبقات من حديث أبى هريرة أن الذى أشار بعمل المنبر هو تميم الدارى وأن الذى عمله هو كلاب غلام العباس ، وعند قاسم بن أصبغ من رواية سهل أن الذى صنعه ميمون ، وعند أبى داود بإسناد جيد أن تميما هو الذى عرض فكرة المنبر .

ويتلخص من ذلك أن الأسماء التى وردت عند ذكر صانع المنبر هى : « ١ » ابراهيم « ٢ » قبيصة أو قصيبة « ٣ » باقول « ٤ » باقوم « ٥ » كلاب أو صباح « ٦ »

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩٣ .

(٢) المواهب اللدنية الجزء الأول ص ٧١ المطبعة الشرقية .

ميمون « ٧ » تميم الدارى ، وعند التحقيق نجد أن الروايات التى ذكرت إبراهيم وقبيصة أو قصيبة واهية لأنها مرسلة أو بها متروك ، وأما الرواية التى ذكرت باقول (باللام) فهى من رواية عبد الرازق باسناد ضعيف منقطع ، وأما رواية باقوم (بالميم) فهى باسناد ضعيف ايضا ، وأما رواية صباح فقد أوردها ابن بشكوال بإسناد شديد الانقطاع[١] .

وأما رواية كلاب فهى من رواية يحيى بإسناد منقطع عن ابن أبى الزناد وغيره[٢] بقى لدينا الروايتان اللتان ذكرتا ميمونا وتميما ، وهما روايتان صحيحتان وردتا باسناد جيد يقول ابن حجر بعد أن أورد الروايتين : (وليس فى جميع هذه الروايات التى سمى فيها النجار شيء قوى الإسناد إلا حديث ابن عمر ، وليس فيه التصريح بأن الذى اتخذ المنبر تميم الدارى ، بل قد تبين من رواية ابن سعد أن تميما لم يعمله ، وأشبه الأقوال بالصواب من قال هو ميمون لكون الإسناد من طريق سهل ابن سعد ايضا وأما الأقوال الأخرى فلا اعتداد بها لوهائها)[٣] .

وفى مجلة قافلة الزيت التى تصدرها شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) مقال بعنوان منبر الرسول جاء فيه : (وهكذا تضاربت الأقوال ، واختلفت الآراء فى جنس واسم هذا النجار ، ويعلق الحافظ ابن حجر على هذه الروايات التى ذكرت الاسماء المختلفة للنجار الذى قام بصنع المنبر بأن أرجحها تلك التى تشير إلى أن اسم النجار ـ ميمون ـ[٤] .

وقد حاول بعض العلماء التوفيق بين تلك الروايات مجتمعة فقال إنه يحتمل أن يكون للنجار هذه الأسماء المتعددة ، قال بعضهم : يحتمل أن يكون الجميع اشتركوا فى صنع المنبر ، ويرد ابن حجر على المحاولة الأولى بقوله (ويبعد جدا أن يجمع بينها بأن النجار كانت له أسماء متعددة)[٥] .

وعندى أنه ما دامت الأحاديث التى ذكرت الأسماء السابقة ضعيفة أو مرسلة أو منقطعة ، فلا يعتد بها ولا داعى لمحاولة التوفيق بينها ، ويكون التوفيق بين الروايات

---

(١) فتح البارى الجزء الثانى ص ٣٩٨ المطبعة السلفية ـ القاهرة .
(٢) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٣٩٣ تحقيق محي الدين عبد الحميد .
(٣) فتح البارى الجزء الثانى ص ٣٩٨ المطبعة السلفية .
(٤) قافلة الزيت العدد التاسع المجلد الثانى والعشرون ص ٣٧ .
(٥) فتح البارى الجزء الثانى ص ٣٩٩ المطبعة السلفية .

الصحيحة التى وردت فى الموضوع ، فالرواية التى ذكرت تميما الدارى صحيحة وبإسناد جيد والرواية التى ذكرت ميمونا أيضا رواية صحيحة ، والرواية التى ذكرت أن صانع المنبر رومى صحيحة كما ذكر ابن حجر ويمكن التوفيق بينهما على النحو الآتى :-

أن يكون المراد بالرجل الرومي هو تميم الدارى وذلك لأنه من أهل فلسطين . وهى من بلاد الروم ، وكان يتردد عليها كثيرا وينحصر الأمر بين ميمون وتميم ويمكن التوفيق بين روايتيهما بأن تميما هو الذى أشار على النبى ﷺ بصنع المنبر وبعد أن وافق الرسول والصحابة على عمله ، قام ميمون بعمله .

وحيث إنَّ ميمونا هو الذى صنع المنبر بمشورة تميم فإن ذلك يكون فى السنة التاسعة وهى السنة التى قدم فيها تميم إلى المدينة المنورة ، ونستطيع أن نقول بعد ذلك : إن الرسول ﷺ بدأ يخطب مستندا إلى الجذع فلما كثر الناس عرض عليه الصحابة - رضوان الله عليهم - أن يتخذ مكانا مرتفعا ليراه الناس ، وليتمكن من أسماعهم ، فاتخذ المنبر من الطين وهو الذى ورد ذكره فى حديث الإفك وكان إلى جوار الجذع بحيث يمكنه الوقوف عليه والاستناد إلى الجذع فى وقت واحد ، فلما شق عليه القيام ، وكان يشكو مرضا فى رجليه وكثر لحمه ، عرض عليه تميم الدارى أن يصنع له منبرا كذلك الذى رآه بالشام يستطيع أن يقوم عليه إن شاء ، ويستطيع أن يقعد عليه متى شاء فشاور ﷺ أصحابه فوافقوا على اتخاذه فاتخذه .

وبقى علينا فى الموضوع أن نعرف وصفا عاما للمنبر الشريف ، وأن نعرف الخامة التى صنع منها ، أما الخامة التى صنع منها فالروايات الصحيحة كلها متفقة على أنه صنع من خشب شجر فى الغابة القريبة من المدينة ، يعرف بشجر الأثل أو الطرفاء وفى صحيح البخارى عن أبى حازم بن دينار : (أن رجالا أتوا سهل بن سعد الساعدى ، وقد امتروا فى المنبر من عوده ؟ فسألوه عن ذلك ، فقال : والله إنى لأعرف مم هو ، ولقد رأيته أول يوم وضع وأول يوم جلس عليه رسول الله ﷺ - أرسل رسول الله ﷺ إلى فلانة - امرأة قد سماها سهلا مرى غلامك النجار أن يعمل لي أعوادا أجلس عليهن إذا كلمت الناس، فأمرته فعملها من طرفاء الغابة . . .)[1] .

---

(١) فتح البارى الجزء الثانى ص ٣٩٧ المطبعة السلفية .

ويروى السمهودى عن ابن سعد (أن الصحابة قالوا : يا رسول الله إن الناس كثروا فلو اتخذت شيئا تقوم عليه إذا خطبت ، قال ﷺ : ما شئتم ، قال سهل - رضى الله عنه - ولم يكن بالمدينة إلا نجار واحد ، فذهبت أنا وذلك النجار إلى الغابة ، فقطعنا هذا المنبر من أثلة ، وفى لفظ فحمل سهل منهن خشبة)[1] .

وكان المنبر الشريف ثلاث درجات بالمجلس أو المستراح ، وظل على ذلك خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلي - رضى الله عنهم أجمعين - وفى خلافة معاوية - رضى الله عنه - زاد فيه مروان بن الحكم والى معاوية على المدينة ست درجات اخرى فصار تسع درجات . يقول بن حجر - رحمه الله - : (ولم يزل المنبر على حالته ثلاث درجات حتى زاده مروان فى خلافة معاوية ست درجات من أسفله)[2] .

ويروى السمهودى عن ابن زبالة عن ابن قطن : (قلع مروان بن الحكم منبر رسول الله ﷺ وكان درجتين والمجلس ، وأراد أن يبعث به إلى معاوية ، قال : فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم ، قال : فزاد فيه ست درجات ، وخطب الناس فقال : إنى إنما رفعته حين كثر الناس)[3] .

وكان ارتفاعه ذراعين أو يزيد قليلا ، وكان مجلسه مربع الشكل ذراعا فى ذراع ، وعرض كل درجة من درجتيه شبر ، وارتفاعها شبر وارتفاع مسنده مما يلى الظهر شبران أو يزيد قليلا ، وكان له رمانتان يمسكهما الرسول ﷺ بيديه الكريمتين ، وارتفاع رمانته شبر أو يزيد ، وطول المنبر مما يلى الأرض أربعة أشبار وتزيد قليلا .

قال ابن النجار : (طول منبر النبى ﷺ (يعنى ارتفاعه) ذراعان وشبر وثلاثة أصابع ، وعرضه ذراع راجح ، وطول صدره - أى ارتفاع مسنده - وهو مستند النبي ﷺ ذراع ، وطول رمانتيه اللتين كان يمسكهما بيديه الكريمتين إذا جلس شبر وإصبعان ، وعرضه ذراع فى ذراع)[4] .

وتقول السيدة نعمت أبو بكر : (ومن الروايات التى أثيرت حول نقل المنبر ، أن معاوية عندما أمر بمنبر الرسول أن يحمل من المدينة إلى الشام كسفت الشمس حتى ظهرت النجوم ، وعصفت الريح ، وتزلزلت المدينة ، وأقبلت الصواعق ، فأعظم الناس ذلك فقال : اتركوه ، وأمر بعمل ست درجات ، وأصبح بذلك يتكون من

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٣٩٦ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .
(٢) فتح البارى الجزء الثانى ص ٣٩٩ المطبعة السلفية .
(٣) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٣٩٩ تحقيق محي الدين عبد الحميد والرواية لم تصح .
(٤) المصدر السابق ص ٤٠٢ .

تسع درجات وكان له مسند مكون من ثلاثة أعواد ، وكانت لـه رمانتـان يمسكهما الرسول بيديه الكريمتين إذا جلس ، ويبدو أنهما كانتا متحركتين وخاليتـين من أى زخرف . وأما أبعاده فكان ارتفاعه يوازى ١٠٤ سم ، وعرض المقعد ٥٢ سم فى ٥٢ سم وأما طول كل درجة من الدرجات الست التى اضافها معاوية فيبلغ ١/٣ ذراع اى ما يوازى $\frac{١}{٣}$ ١٧ سم)[١] .

وأما كسوة المنبر فقد اختلف المؤرخون فى أول من كساه ، وقد كان بالتأكيد فى عهد الرسول ﷺ وأبى بكر وعمر لا يكسى حتى كان عهد عثمان فكساه قبطية ، يقول السمهودى : (وكان عثمان أول من كسا المنبر قبطية ، وقال بعض المؤرخين : إن معاوية أول من كسا المنبر ، وذكـر قصة تحـريكه المنبـر وارادته نقله إلى الشـام ، واعتذاره عما حدث ، قال : (وكساه يومئذ قبطية أولنية)[٢] .

والراجح أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ هو أول من كسا المنبر وأيد ذلك رواية يحيى حيث يقول : (وأثبتهما عندنا أن عثمان هو أول من كساه) واستدلوا على ذلك بما روى ابن النجار عن الواقدى عن ابن أبى الزناد قال : (فسرقت الكسوة امرأة ، فأتى بها عثمان ، فقال لها : هل سرقت ؟ قولى لا ، فاعترفت فقطعها)[٣] .

وبهذا يظهر جليا أن أول من كسا منبر الرسول ﷺ هو عثمان ـ رضى الله عنه ـ ولا يمنع أن يكون معاوية ـ رضى الله عنه ـ كساه بعد ذلك وظل الخلفاء يرسلون فى كل سنة كسوة للمنبر حتى كان عهد المستعصم ، فكانت تحمل الكسوة من مصر ، وأوقفت قرية لهذا الغرض كان يصرف ريعها على الكسوة ، فكانت تحمل إلى الكعبة الشريفة فى كل سنة مرة وإلى الحجرة والمنبر كل ست سنين مرة ، تقول السيدة نعمت أبو بكر : (وقد كان الخلفاء يرسلون فى كل سنة ثوبا من الحرير الأسود كسوة للمنبر الشريف ، ولكثرتها اتخذت منها سترا على الأبواب ، وفى عهـد الخليفة المستعصم كانت الكسوة تحمل من مصر ، لدرجة أن أوقفت قرية بمصر كان يصرف ريعها فى الكسوة ، فكانت تحمل إلى الكعبة كل عام مرة ، أما الحجرة والمنبر فكانا يكسوان فى كل ست سنين مرة)[٤] .

---

(١) قافلة الزيت العدد التاسع المجلد الثانى والعشرون ص ٣٨ .
(٢) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٣٩٨ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .
(٣) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٣٩٨ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .
(٤) قافلة الزيت العدد التاسع المجلد الثانى والعشرون ص ٣٨ .

الروضة الشريفة

قال ﷺ - : (ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة)[1] والذين أرخوا للمسجد النبوى الشريف قالوا إن حدود الروضة من الشرق هى دار السيدة عائشة - رضى الله عنها - ، ومن الغرب المنبر الشريف ومن الجنوب (القبلة) جدار المسجد الذى به محراب النبى ﷺ ومن الشمال الخط المار من نهاية بيت السيدة عائشة - رضى الله عنها - شرقا إلى المنبر غربا ، وهذا هو أرجح الأقوال فى تحديد الروضة ، واستدل أهل هذا الرأى على ترجيحه بما جاء فى الصحيحين عن ابن عمر - رضى الله عنهما - (ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة)[2] .

وهذا يدل على أن المراد بالبيت بيت السيدة عائشة لأنه هو الذى دفن فيه - ﷺ والصلاة فى الروضة أفضل من أى مكان فى المسجد ، إلا المكتوبة فإنها فى الصف الأول ولو كان خارج الروضة أفضل منها فى الروضة ، قال ابن القاسم : (أحب مواضع الصلاة فى مسجده ﷺ فى النفل العمود المخلق وفى الفرض فى الصف الأول)[3] .

ويبلغ طول الروضة اثنين وعشرين مترا وعرضها خمسة عشر مترا)[4] .

والروضة موضع عناية الحكام المسلمين منذ القدم ، وقد قام السلطان سليم الثانى بتلبيس أعمدتها بالرخام الأبيض المطعم بالرخام الأحمر إلى منتصف الأعمدة .

وفى توسعة السلطان عبد المجيد احتفظوا بالرخام ، وأعادوه إلى الأعمدة بعد البناء وهذه الأعمدة من عمارة السلطان قايتباى .

والروضة التى يصلى فيها حاليا ليست كل الروضة التى أخبر عنها الرسول ﷺ ولكن أدخل جزء منها غير قليل فى البناء الذى اقيم حول الحجرة الشريفة فى عمارة الوليد بن عبد الملك حين بنى عمر بن عبد العزيز الجدار ذا الأضلاع الخمسة حول الحجرة .

---

(١) شرح سنن البغوى الجزء الثانى ص ٣٣٨ المكتب الاسلامى .

(٢) هذا الحديث بهذا اللفظ (ما بين قبرى) لا يوجد فى الصحيحين ، وأشار ابن حجر فى الفتح بأنه روى بالمعنى .

(٣) وفاء الوفا الجزء الأول ص ٣٦٨ تحقيق محيى الدين عبد الحميد . (٤) آثار المدينة المنورة ص ٩٤ دار العلم للملايين .

الأساطين المشهورة

أساطين المسجد النبوى ـ أى اعمدته ـ التى كانت فى عهده ﷺ كانت من جذوع النخل وقد تحرى الذين وسعوا المسجد الشريف أن يحافظوا على أماكن هذه الأساطين ، فيضع كل سارية فى المكان الذى كانت فيه على عهد رسول الله ﷺ وقد اشتهر من هذه الأساطين ثمان كان لها حظ وافر على بقية الأعمدة حيث خصت بميزات لم تكن لغيرها من اسطوانات المسجد وتلك الاسطوانات هي :

١ـ الاسطوانة المخلقة .

٢ ـ اسطوانة القرعة أو اسطوانة عائشة .

٣ ـاسطوانة التوبة .

٤ ـ اسطوانة السرير .

٥ ـ اسطوانة المحرس .

٦ ـ اسطوانة الوفود .

٧ ـ اسطوانة مربعة القبر .

٨ ـ اسطوانة التهجد .

لهذه التسمية لتلك الأساطين مناسبات أدت الى تلك التسمية نوضحها إجمالا وإتماما للفائدة فيما يأتى :

أولا : الأسطوانة المخلقة :

معنى المخلقة المطيبة أو المعطرة من الخلوق وهو الطيب وتسمى أيضا (علم مصلى رسول الله ﷺ) وذلك لأن الرسول ﷺ صلى اليها بعد تحول القبلة بضعة عشر يوما ، ولأنها أقرب الأسطوانات إلى مصلى رسول الله ﷺ وهى التى كان يخطب عندها النبي ﷺ وكان الجذع الذى كان يستند عليه إذا قام يخطب عند تلك الاسطوانة وكان عندها صندوق المصحف الذى أرسله الحجاج بن يوسف وسميت الاسطوانة المخلقة لأنها كانت تطيب وتخلق إكراما لكونها علما على مصلاه ﷺ وأول من خلقها الخيزران زوج الخليفة المهدى العباسي وأم هارون الرشيد حيث أمرت بتخليق المسجد الشريف .

نقل ابن زبالة (أن النبى ﷺ صلى إليها المكتوبة بضعة عشر يوما بعد أن حولت القبلة)[1] .

ويقول الاستاذ على حافظ : (وقد جرى تقديم هذه الاسطوانة لجهة القبلة قليلا ، وأدخل بعضها فى المحراب النبوى الآن)[2] .

وأسند يحيى عن ابن أبى الزناد و غيره من علماء المدينة (أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع فى المسجد كان موضعه عند الاسطوانة المخلقة)[3] وقد نقل ابن النجار عن مالك ما يقتضى أن الاسطوانة المذكورة علم لمصلى النبي ﷺ فإنه قال : قال مالك بن أنس : (أرسل الحجاج بن يوسف إلى أمهات القرى بمصاحف ، فأرسل إلى المدينة المنورة بمصحف منها كبير ، وكان فى صندوق عن يمين الاسطوانة التى عملت علما لمقام النبى ﷺ[4]) وقال ابن زبالة : (إن الخيزران لما أمرت بتخليق المسجد أشار عليهم ابراهيم بن الفضل فزادوا فى خلوق اسطوانة التوبة والاسطوانة التى هى علم عند مصلى النبى ﷺ فخلقوهما حتى بلغوا بهما أسفلهما ، وزادوا فى الخلوق فى أعلاهما)[5] وكان سلمة بن الأكوع ـ رضى الله عنه ـ يتحرى الصلاة عند هذه الاسطوانة ، ولما سئل قال : (إنى رأيت رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها[6]) وفى البخارى عن يزيد بن أبي عبد الله : (كنت آتى مع سلمة بن الأكوع فيصلى عند هذه الاسطوانة التى عند المصحف . فقلت يا أبا مسلم ، أراك تتحرى الصلاة عند هذه الاسطوانة قال : فإنى رأيت النبى ﷺ يتحرى الصلاة عندها)[7] .

ثانيا: اسطوانة القرعة :

تعرف باسطوانة السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وباسطوانة المهاجرين ، ثم

---

(١) وفاء الوفا الجزء الأول ص ٣٦٧ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .
(٢) فصول من تاريخ المدينة ص ٥٧ شركة المدينة للطباعة .
(٣) وفاء الوفا الجزء الأول ص ٣٦٨ .
(٤) المصدر السابق ص ٣٦٩ .
(٥) وفاء الوفا الجزء الأول ص ٣٦٩ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .
(٦) فصول من تاريخ المدينة ص ٥٧ شركة المدينة للطباعة .
(٧) فتح البارى الجزء الأول ص ٥٧٧ المطبعة السلفية .

بالاسطوانه المخلقة أيضا . وهى الثالثة من المنبر ، والثالثة من القبر ، والثالثة من القبلة .

(فأما تسميتها باسطوانة القرعة فلما روى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : إن رسول الله ﷺ قال : إن فى مسجدى لبقعة قبل هذه الاسطوانة ، لو يعلم الناس ما صلوا فيها إلا أن تطير لهم قرعة) .

وأما تسميتها باسطوانة عائشة فلما روى أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أخبرت عبدالله بن الزبير بفضل تلك الاسطوانة ، فقام فصلى عندها ، فظن الناس أن عائشة أخبرته بها فسميت اسطوانة عائشة ، وأما تسميتها باسطوانة المهاجرين ، فلأن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها ، وكان يقال لذلك المجلس مجلس المهاجرين ، وأما تسميتها بالمخلقة فلأنها خلقت مع الأسطوانة المخلقة عند تخليق المسجد كما ذكر ذلك ابن زبالة[1] .

وقد روى (أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر وابن الزبير ، وعامر بن عبدالله بن الزبير ، والزبير بن العوام كانوا يصلون إليها)[2] .

قال السمهودى : وأخبرنى بعض أصحابنا عن زيد بن أسلم قال : (رأيت عند تلك الاسطوانة موضع جبهة النبى ﷺ ثم رأيت دونه موضع جبهة أبى بكر ، ثم رأي دون موضع جبهة أبى بكر موضع جبهة عمر) ،[3] ويزعم بعض الذين تكلموا عن تلك الاسطوانة أن الدعاء عندها مستجاب .

ثالثا : اسطوانة التوبة :

وتعرف باسطوانة أبى لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر أخو بنى عمرو بن عوف الأوسى ، وهو أحد النقباء ، وهى الاسطوانة الرابعة من المنبر ، والثانية من القبر ، والثالثة من القبلة .

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٤١ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

(٢) فصول من تاريخ المدينة ص ٥٧ شركة المدينة للطباعة .

(٣) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٤١ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

وسميت بذلك لأن أبا لبابة ـ رضى الله عنه ـ لما استشاره بنو قريظة ـ وكان حليفا لهم ـ أينزلون على حكم رسول الله ﷺ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ـ يعنى الذبح ـ ثم أنبه ضميره وعلم أنه بذلك قد خان الله ورسوله ، ونزل فيه قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ، وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)**[1] .

ولم يرجع إلى النبى ﷺ بل ذهب إلى المسجد وربط نفسه فى جذع فى موضع اسطوانة التوبة الآن ، وحلف لا يحل نفسه ولا يحله أحد ، حتى يحله رسول الله ﷺ أو تنزل توبته ، وظل كذلك حتى نزلت توبته على النبى ﷺ سحرا فى بيت أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ فسمعته ﷺ يضحك ، فقالت : ما يضحكك أضحك الله سنك ؟ قال : تِيبَ على أبى لبابة ، قالت : ألا أبشره بذلك يا رسول الله ، قال : بلى ، إن شئت ، فقامت على باب حجرتها ـ قبل أن يضرب عليهن الحجاب ـ فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك .

وعندئذ ثار الناس نحوه ليطلقوه ، قال : لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنى بيده ، فلما مر عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه[2] **ولهذا سميت اسطوانة التوبة .**

رابعا : اسطوانة السرير :

وتقع شرقى اسطوانة التوبة ، وتلتصق بالشباك المطل على الروضة الشريفة وهى محل اعتكاف النبي ﷺ فقد كان له ﷺ سرير من جريد وكان يوضع له عند هذه السارية ، كذلك كانت له وسادة تطرح له ، فكان ﷺ يضطجع على سريره عند هذه الاسطوانة .

وورد أنه كان يوضع له السرير عند اسطوانة التوبة ، حتى قال البدر بن فرحون (بأن اسطوانة السرير هى اسطوانة التوبة)[3] .

ويمكن التوفيق بين الروايتين بأحد الوجهين :ـ

الأول : أن السرير كان يوضع مرة عند اسطوانة التوبة ومرة عند الاسطوانة

---

(١) سورة الأنفال الآية « ٢٧ » .

(٢) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٤٨ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

(٣) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٤٨ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

التى هى شرقى اسطوانة التوبة .

الثانى : أن السرير كان يوضع بين الاسطوانتين ، فمن قال إنه كان يوضع عند اسطوانة التوبة فقد صدق ، ومن قال كان يوضع عند الاسطوانة الشرقية فقد صدق .

وذكر ابن حجر عن ابن ماجه عن نافع : (أن ابن عمر كان إذا اعتكف طرح له فراشه وراء اسطوانة التوبة)[1] .

قال البدر بن فرحون • روينا بالسند الصحيح إلى ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ (أن النبى ﷺ كان إذا اعتكف يطرح له وسادة ، ويوضع له سرير من جريد فيه سعفة ، ويوضع له بين الاسطوانة التى وجاه القبر الشريف وبين القناديل وكان ﷺ يضطجع عليه)[2] .

ومما يؤيد الرأى القائل إن اسطوانة السرير غير اسطوانة التوبة وجود اسطوانتين فى الروضة الشريفة تعرف إحداهما باسطوانة التوبة والأخرى باسطوانة السرير .

خامسا : اسطوانة المحرس :

وتعرف باسطوانة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضى الله عنه ـ وتقع خلف اسطوانة السرير من جهة الشمال ، وهى مقابل الخوخة التى كان رسول الله ﷺ يخرج منها إذا كان فى بيت عائشة إلى الروضة الشريفة للصلاة ، وكان يصلى إليها علي ـ كرم الله وجهه ـ .

سميت اسطوانة المحرس لأن علي بن أبى طالب كان يجلس عندها يحرس النبى ﷺ .

قال يحيى : حدثنا موسى بن سلمة قال : سألت جعفر بن عبدالله بن الحسين عن اسطوانة علي بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فقال : (إن هذا المحرس كان علي بن أبى طالب يجلس فى صفحتها التى تلي القبر مما يلى باب رسول الله ﷺ يحرس النبى ﷺ)[3] .

---

(١) فتح البارى الجزء الرابع ص ٢٧٢ المطبعة السلفية .

(٢) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٤٨ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

(٣) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٤٨ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

سادسا : اسطوانة الوفود

وكان يقال لها مجلس القلادة وتقع خلف اسطوانة المحرس من جهة الشمال وكان ﷺ يجلس إليها ليقابل وفود العرب القادمين عليه .

قال صاحب فصول من تاريخ المدينة : (وكانت تعرف بمجلس القلادة يجلس إليها سراة الصحابة وأفاضلهم)[1] .

سابعا : اسطوانة مربعة القبر

وتعرف أيضا باسطوانة مقام جبريل ـ عليه السلام ـ وبها باب بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ الذى كان يدخل منه على بنى ابى طالب ـ رضى الله عنه ـ وتقع فى حائز عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ عند منحرف الجدار الغربى منه إلى الشمال . فى صف الاسطوانة ـ اسطوانة الوفود ـ ومعنى هذا أنها تكون داخل الجدار المحيط بالقبر الشريف ، ولا يتمكن الزائر للمسجد النبوى من رؤيتها ولهذا يقول السمهودى : (وقد حرم الناس الصلاة إلى هذه الاسطوانة لادارة الشباك الدائر على الحجرة الشريفة وغلق بابه)[2] .

وفى فضل هذه الاسطوانة روى يحيى عن أبى الحمراء قال : (شهدت رسول الله ﷺ أربعين صباحا يجيء إلى باب علي وفاطمة وحسن وحسين حتى يأخذ بعضادتى الباب ويقول : السلام عليكم أهل البيت (**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**)[3] .

ثامنا : اسطوانة التهجد

وتقع وراء بيت السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ـ ورضى الله عنها ـ من جهة الشمال ، وعندها محراب صغير إذا توجه الواقف إليه تكون السارية عن يساره باتجاه باب جبريل المعروف قديما بباب عثمان ـ رضى الله عنه ـ .

---

(١) فصول من تاريخ المدينة ص ٥٨ شركة المدينة للطباعة .

(٢) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٥٠ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

(٣) المصدر والصفحة السابقان .

وأشار السمهودى إلى أن الاسطوانة فى مكانها هذا تكون خارجة عن المسجد إذ المعروف ان حد المسجد الشرقى إنما هو حجرات زوجات رسول الله ﷺ - ورضى الله عنهن - وبيت السيدة فاطمة كان محاذيا للحجرات وكلها كانت خارجة عن المسجد .

ويتجه هنا اعتراض وجيه وهو : فإذا كان هذا هو محل تهجد رسول الله ﷺ كما روى يحيى عن عيسى بن عبد الله عن أبيه قال : (كان رسول الله ﷺ يخرج حصيرا كل ليلة إذا انعكفت الناس ، فيطرح وراء بيت علي ثم يصلى صلاة الليل ، فرآه رجل فصلى بصلاته ، ثم آخر فصلى بصلاته ، حتى كثروا ، فالتفت رسول الله ﷺ فإذا بهم ، فأمر بالحصير فطوى ثم دخل ، فلما أصبح ، جاءوا فقالوا : يا رسول الله ، كنت تصلى الليل فنصلى بصلاتك ، فقال : إني خشيت أن ينزل عليكم صلاة الليل ثم لا تقوون عليها)[1] .

قال عيسى بن عبدالله : وذلك موضع الاسطوانة التى على طريق باب النبى ﷺ مما يلى الزوراء (المكان المزور أى المائل - فى بناء عمر بن عبد العزيز خلف الحجرة) .

فإذا كانت هذه الاسطوانة هى محل تهجده ﷺ فإن ذلك يخالف ما روى عنه أنه كان يتهجد فى غير رمضان فى بيته ، وأما فى رمضان فكان يتهجد فى المسجد فى حجرة من حصير ففى البخارى عن عائشة - رضى الله عنها - (أن النبى ﷺ كان له حصير يبسطه بالنهار ، ويحتجزه بالليل ، فثاب إليه ناس فصلوا وراءه)[2] .

ويمكن الإجابة عن هذا الاعتراض بأنه ﷺ ربما صلى فى هذا المكان بعض الليالى فلما كثر الناس تركه وصلى فى بيته خشية أن تفرض عليهم ، ففى البخارى عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ اتخذ حجرة قال : حسبت أنه قال : - من حصر - فى رمضان فصلى فيها ليالى ، فصلى بصلاته ناس من أصحابه ، فلما علم بهم جعل يقعد فخرج إليهم فقال : قد عرفت الذى رأيت من صنيعكم ، فصلوا أيها الناس فى بيوتكم ، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة)[3] .

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٥٠ تحقيق محي الدين عبد الحميد .
(٢) فتح البارى الجزء الثانى ص ٢١٤ المطبعة السلفية .
(٣) المصدر والصفحة السابقان .

وذكر السمهودى ما يدل على أفضلية الصلاة عند هذه الاسطوانة حيث يقول : قال عيسى وحدثنى سعيد بن عبد الله بن فضيل قال : (مر بي محمد بن الحنفية ، وأنا أصلي إليها ـ أي إلى اسطوانة التهجد ـ فقال لي : أراك تلزم هذه الاسطوانة ، هل جاءك فيها أثر ؟ قلت : لا ، قال : فالزمها فإنها كانت مصلى رسول الله ﷺ من الليل)[1] .

تلك هى الأساطين الثمانى التى أرخ لها المؤرخون وكتبوا فى فضلها ، وبينوا مزاياها وكلها موجودة بالروضة الشريفة ، ومكتوب عليها أسماؤها .

ولا يمنع ذلك أن يكون لبقية سوارى المسجد فضل ، فقد روى أن كبار الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ كانوا يبتدرون السوارى ، ويصلي كل منهم عند اسطوانة من أساطين المسجد روى البخارى ـ رحمه الله ـ عن أنس قال : لقد رأيت كبار أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السوارى عند المغرب قال : وزاد شعبة عن عمرو عن أنس : حتى يخرج النبى ﷺ)[2] .

ولهذا قال ابن النجار : (فعلى هذا جميع سوارى مسجد النبى ﷺ يستحب الصلاة عندها لأنه لا يخلو أن كبار الصحابة صلوا إليها)[3] .

هذا هو المسجد فى عهد رسول الله ﷺ فى صورته البريئة الخالية من الزخرفة والنقوش : بناؤه من لبن ، وسقفه من جريد ، وسواريه من جذوع النخل ، ومنبره من خشب الطرفاء .

ومن هذا نفهم أن المسجد كان فى عهده ﷺ بسيطا متواضعا تتمثل فيه الفطرة السليمة بأجمل مظاهرها ، الأساس من حجارة الحرة السوداء ، والجدر من الطين ، والسوارى من النخيل ، والسقف من الجريد والخصف ، بساطة تملأ الروح رهبة ، وتواضع يضفى على النفس مهابة وإجلالا .

وفى هذا المكان المتواضع البسيط كانت أخبار السماء تهبط على الأرض ،

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٥١ تحقيق محى الدين عبد الحميد .

== ذكرنا أن الاسطوانات موجودة بالروضة ، ونشير هنا الى أن اسطوانة مربعة القبر موجودة داخل المقصورة واسطوانة التهجد خلف بيت السيدة فاطمة مقابل دكة الأغوات اليوم .

(٢) فتح البارى الجزء الأول ص ٥٧٧ المطبعة السلفية .

(٣) اخبار مدينة الرسول ص ٩٣ دار الفكر ـ بيروت .

فتملؤها نورا يبدد ظلامها الدامس البهيم ، وفى هذا المكان المتواضع البسيط كانت آيات الله تترى على قلب رسوله المتواضع العظيم .

وفى هذا المسجد المتواضع تواضع العظماء القادرين ، البسيط بساطة القلوب المؤمنة الخالية من الحقد والكراهية والتعقيد كان التشريع السماوى ينزل على أهل الأرض فيحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم .

ومن هذا المكان المتواضع البسيط شع نور الإيمان ينقذ الحيارى التائهين ، ويهدى الزائغين الضالين ، ومن هذا المكان المتواضع البسيط بزغت شمس الحضارة التى نعمت بها الدنيا ، ورفلت فى ظلها الانسانية ردحا من السنين ، ومن هذا المكان المتواضع تواضع المؤمنين المخبتين ، البسيط بساطة الفطرة السوية لم تخالطها شوائب المادية ولا أوهام الماديين ، زحفت جحافل الحق تدك حصون الباطل وتهدى للإنسان خلاصه من الخرافات وتقدم له عقيدة سليمة يحيا فى ظلها هادىء البال ، راضى النفس ، مطمئن القلب ، حتى يلقى الله بقلب سليم .

تلك هى إيحاءات هذا المسجد المتواضع البسيط تتأملها النفوس فتعيش فى هذا الجو الربانى العجيب ، وتتمعنها القلوب فتحيا بها سعيدة راضية مرضية ، فهل تستطيع تلك المساجد المشيدة ، والأبنية المزخرفة أن تحقق للنفوس هذا الجو ، وتضمن للقلوب تلك السعادة ؟ اغلب الظن ان ذلك خارج عن إرادتها ، وعبء فوق طاقتها .

ولست أدعى أن مساجدنا اليوم عاجزة عن تحقيق ما حققه المسجد الأول ، ولا أزعم أن تشييد المساجد وزخرفتها هو وحده السبب فى تضييع ذلك التراث العظيم ، ولكنى أقول : إن مساجدنا مع أبهتها لم تحقق ما حققه المسجد الأول ببساطته ، ذلك لأنها فقدت الموجهين المخلصين ، وافتقرت إلى الرواد المخبتين الطائعين .

الباب الثاني

المسجد في عهد الخلفاء الراشدين

فى عهد أبى بكر رضي الله عنه

تولى أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ خلافة المسلمين بعد رسول الله ﷺ فى أوائل السنة الحادية عشرة من الهجرة الشريفة ، وكانت الجزيرة قد ارتدت عن الاسلام حينما علمت بوفاة الرسول ﷺ ما عدا مكة والمدينة والطائف ، وظهر المتنبئون فى أنحاء الجزيرة المترامية الأطراف ، فجهز ـ رضى الله عنه ـ أحد عشر جيشا ، وعقد لها أحد عشر لواء ، وسيرها إلى المتمردين لتأديبهم ردعا لغيرهم وإخضاعا لهم لسلطة الدولة الإسلامية ، وانشغل ـ رضى الله عنه ـ بالحرب الكثيرة التى خاضتها الجيوش الإسلامية فى عهده ، ولم تكد الجزيرة العربية تهدأ من غليانها حتى وافته منيته فى منتصف العام الثالث عشر من الهجرة .

لم تكن لديه إذاً ـ رضى الله عنه ـ فرصة ليصلح شيئا فى المسجد الشريف ، ولم يزد عدد المسلمين فى المدينة حتى يضطر إلى توسعته ، ولهذا لم يذكر التاريخ اسمه ـ رضى الله عنه ـ مقرونا بأى عمل فى المسجد النبوى المبارك سوى ما روى السمهودى عن أبى داود ـ رحمهما الله ـ من أن سوارى المسجد نخرت فى عهد ابى بكر ـ رضى الله عنه ـ فبناها بجذوع النخل[1] .

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٨١ تحقيق محي الدين عبد الحميد .

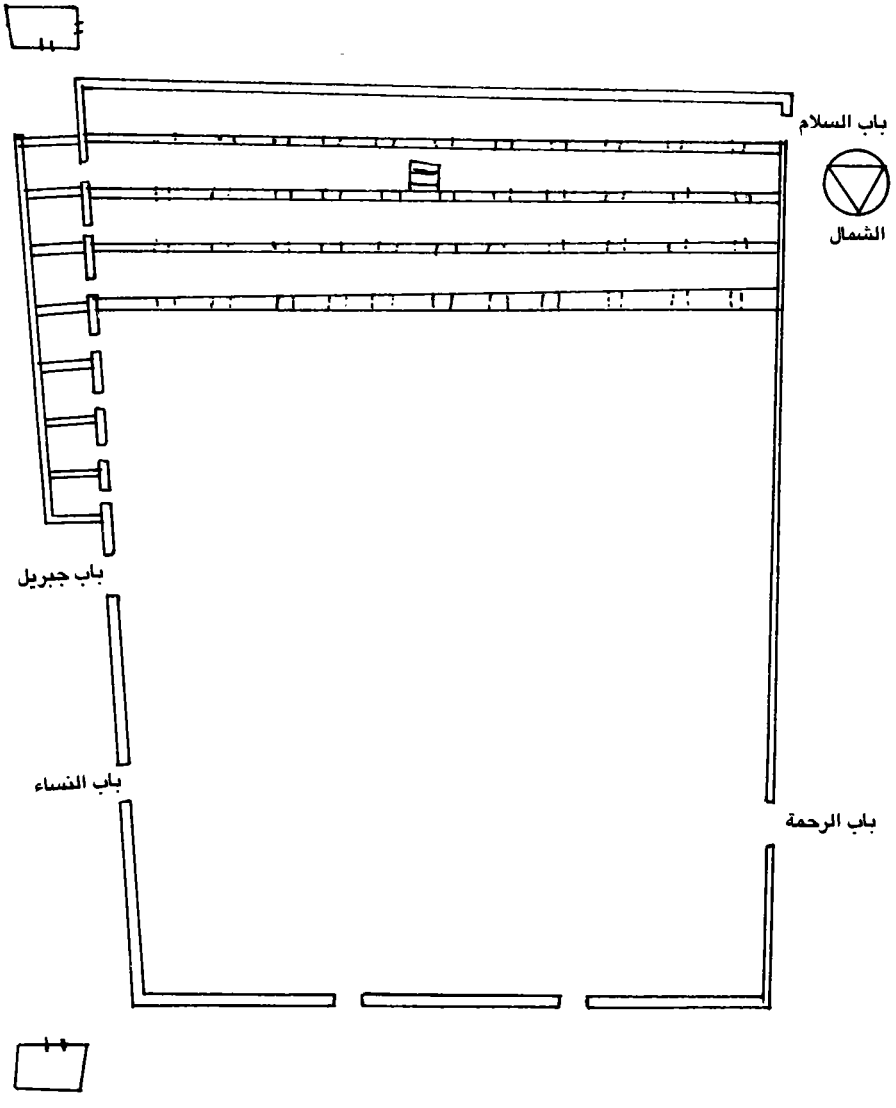

المسجد النبوي في عهد عمر ـ رضى الله عنه ـ عام (١٧) هـ

الفصل الأول

المسجد النبوى في عهد عمر رضي الله عنه

بايع المسلمون عمر ـ رضى الله عنه ـ بالخلافة فى منتصف العام الثالث عشر بعد وفاة أبى بكر الصديق ، وصار عمر أميرا للمؤمنين بتلك البيعة ، ونهج نهج سلفه فى محاربة أعداء الدين وتجهيز الجيوش لغزو المتمردين ، ونشر الدعوة الاسلامية فى داخل الجزيرة وخارجها ، وظل كذلك حتى كانت سنة سبع عشرة من الهجرة ، وكثر الناس ، فقال له قائل : يا أمير المؤمنين ، لو وسعت فى المسجد ، فقال عمر : لولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنى أريد أن أزيد فى قبلة مسجدنا ما زدت فيه[1]).

أسباب زيادة عمر في المسجد

هناك أسباب دعت عمر ـ رضى الله عنه ـ لتوسعة مسجد رسول الله ﷺ وتنحصر هذه الأسباب فى ثلاثة أمور :

الأول : ضيق المسجد بالمسلمين .

الثانى : تآكل الجذوع التى كانت تحمل السقف .

الثالث والأهم : رغبة رسول الله ﷺ فى توسيع المسجد .

اجتمعت تلك الأسباب لدى أمير المؤمنين فدفعته إلى إعادة بناء المسجد ، فأقدم ـ رضى الله عنه ـ على ما عزم عليه مراعيا الظروف التى يعيشها المسلمون ، والملابسات التى أحاطت بعهده من حيث قربه من رسول الله ﷺ ، وخليفته ـ رضى

---

(١) المرجع السابق ص ٤٨٢ .

الله عنه ـ ، والبساطة التى كان عليها المسلمون فى تلك الحقبة ، فأعاد بناء المسجد على ما كان عليه فى عهد رسول الله وصاحبه ، ولم يرد إدخال شيء جديد على هيئة المسجد الذى ألفه المسلمون وتربوا فى رحابه ، فبناه على هيئته الأولى باللبن ، وجعل عمده الجذوع ، وسقفه بالجريد .

روى أبو داود عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنيا باللبن والجريد ، قال مجاهد : عمده خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ شيئا ، وزاد فيه عمر ، وبناه على بنائه فى عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد ، وأعاد عمده ، قال مجاهد : وأعاد عمده خشبا .

وغيره عثمان فزاد زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج[1] .

على أن ابن زبالة يروى عن أنس أن عمر ـ رضى الله عنه ـ جعل عمد المسجد عند بنائه من اللبن فيقول : (لما توفى رسول الله ﷺ وولى أبو بكر لم يحول المسجد فلما ولي عمر جعل أساطينه من لبن ، ونزع الخشب ، ومده فى القبلة)[2] .

وهذه الرواية واهية فابن زبالة ضعيف ، ولعله وَهِمَ ، وخلط بين ما عمل عمر وبين ما عمل عثمان ـ رضى الله عنهما ـ حيث جاء فى صحيح البخارى ما يؤيد رواية أبي داود ويوهن رواية ابن زبالة .

يقول البخارى ـ رحمه الله ـ : (إن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنيا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه فى عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشبا)[3] .

ومن روايتى أبي داود والبخارى ـ رحمهما الله تعالى ـ نتبين أن عمر ـ رضى الله عنه ـ لم يغير شيئا من هيئة المسجد بل زاد فى مساحته فقط حسبما اقتضت الأسباب الآنفة الذكر ، وكان رضى الله عنه حريصا على أن يظل المسجد كما كان على عهده ﷺ وعهد خليفته دون أدنى تغيير ، ويؤيد ذلك ما رواه البخارى عن أبى سعيد

---

(١) سنن أبى داود الجزء الأول ص ٧٤ مطبعة التازى بمصر ، والساج نوع من خشب الشجر صلب .

(٢) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٨١ .

(٣) فتح البارى الجزء الأول ص ٥٤٠ المطبعة السلفية .

الخدرى قال : (كان سقف المسجد من جريد النخل وأمر عمر ببناء المسجد وقال : أكن الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس)[1] .

في أي سنة وسع عمر المسجد ؟

روى السمهودى عن اليافعى أن زيادة عمر ـ رضى الله عنه ـ فى المسجد كانت فى العام السابع عشر من الهجرة[2] .

ويوافق الأستاذ على حافظ على هذا التاريخ فيقول : فى سنة ١٧ هـ زاد عمر ابن الخطاب فى المسجد النبوى .

كذلك يؤكد هذا الرأى الشيخ عبد القدوس الأنصارى حيث يقول : زاد عمر فيه ـ أى فى المسجد النبوى ـ عام ١٧ هـ[4] .

ويرى العباسى أن عمر ـ رضى الله عنه ـ زاد فى المسجد فى السنة التى تولى فيها الخلافة أى فى سنة ثلاث عشرة من الهجرة فيقول : لم يزد أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ فى المسجد شيئا لأنه اشتغل بالفتح ، فلما ولي عمر ـ رضى الله عنه ـ قال : إنى أريد أن أزيد فى المسجد ، ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ينبغى أن يزاد فى المسجد) ما زدت فيه شيئا[5] .

على أنه يمكن الجمع بين القولين اذ لا يوجد فى كلام العباسى ما يدل على أن عمر شرع فى التوسعة فى عام ثلاثة عشر ، بل يدل كلامه على أن عمر ـ رضى لله عنه ـ ابدى رغبته فى التوسعة ، وعلى هذا لا تعارض بين قول العباسى وقول القائلين بأن عمر وسع المسجد سنة سبع عشرة حيث يمكن أن يكون عمر أبدى رغبته فى التوسعة سنة ثلاث عشرة وبدأ فى التوسعة فعلا فى سنة سبع عشرة .

وهناك من كبار المؤرخين كابن جرير الطبرى فى تاريخ الرسل والملوك ، وابن كثير فى البداية والنهاية ، وابن النجار فى أخبار مدينة الرسول لم يتعرض للسنة التى وسع فيها عمر المسجد النبوى .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٣٩ .
(٢) وفاء الوفاء الجزء الثانى ص ٤٨١ .
(٣) فصول من تاريخ المدينة ص ٦٩ .
(٤) آثار المدينة المنورة ص ١٠٤ .
(٥) عمدة الأخبار ص ١٠٦ .

فابن جرير يتكلم عن توسعته ـ رضى الله عنه ـ للمسجد الحرام بمكة المكرمة ولم يتكلم عن توسعته للمسجد النبوى ، وابن كثير يتكلم عن توسعته للحرم المدنى ولكنه لم يحدد فى أي عام كان ذلك ، وكذلك ابن النجار فإنه أسهب فى توسعة عمر فى المسجد ، ولكنه لم يحدد العام الذى بدأ فيه التوسعة .

ويطالعنا على هامش كتاب ابن النجار تحديد للسنة التى وسع فيها عمر المسجد فيقول المحقق (كانت زيادة عمر بن الخطاب سنة ١٧ للهجرة) [١] .

وعلى هذا يمكن الجزم بأن عمر ـ رضى الله عنه ـ وسع المسجد فى سنة سبع عشرة من الهجرة وسكوت الساكتين لا ينافى ذلك ، لأنه يحتمل أن يكون سكوتهم موافقة ، أو لعدم معرفتهم للتاريخ وفى هذه الحالة يقدم رأى من ذكر التاريخ على رأى من سكت عنه ، لزيادة علم من ذكر على من سكت .

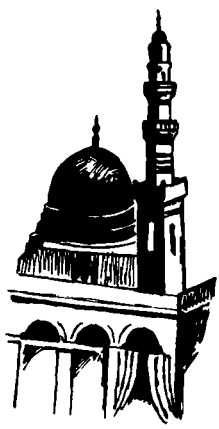

(١) حاشية اخبار مدينة الرسول ص ٩٦ .

مساحة زيادة عمر في المسجد

أجمع المؤرخون الذين كتبوا عن المسجد النبوى على أن عمر ـ رضى الله عنه ـ وسع مسجد المدينة المنورة من جهاته الثلاث : الجنوبية والشمالية والغربية ، كما أجمعوا على أن عمر لم يدخل شيئا من حجرات أمهات المؤمنين فى المسجد عند توسعته .

ويروى صاحب عمدة الأخبار عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : (كثر الناس فى عهد عمر فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو وسعت فى المسجد ؟ فزاد فيه عمر ، وأدخل فيه دار العباس ، فجعل طوله مائة وأربعين ذراعا ، وعرضه مائة وعشرين)[1] .

ويروى السمهودى عن يحيى عن ابن عمر : (أن المسجد كان طوله ـ أى من القبلة إلى الشام على عهد عمر ـ رضى الله عنه ـ أربعين ومائة ذراع ، وعرضه عشرون ومائة وطول السقف ـ أى ما بينه وبين الأرض ـ أحد عشر ذراعا)[2] .

ويقول الاستاذ على حافظ : (زاد عمر بن الخطاب فى المسجد النبوى من الناحية القبلية بمقدار اسطوانة ، ومن الغرب بمقدار اسطوانتين ، وزاد فى الشمال نحو ثلاثين ذراعا فصار طول المسجد« ١٤٠ » ذراعا ، وعرضه « ١٢٠ » ذراعا ثم يقول : وقدر مكتب توسعة المسجد النبوى السعودية زيادة عمر بـ ١١٠٠ متر مربع)[3] .

أما الأنصارى فإنه يذكر زيادة عمر بالأمتار فيقول : (زاد عمر بن الخطاب فيه عام ١٧ هـ نحو خمسة أمتار فى الجنوب وعشرة أمتار فى الغرب و١٥ فى الشمال)[4] .

ويلفت نظرنا هنا أمران هامان :

الأول : كيف وسع عمر المسجد من الجنوب والشمال ولم يدخل شيئا من

---

(١) عمدة الأخبار ص ١٠٦ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
(٢) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٩٣ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .
(٣) فصول من تاريخ المدينة ص ٦٩ شركة المدينة للطباعة .
(٤) آثار المدينة المنورة ص ١٠٤ دار العلم للملايين .

حجرات أمهات المؤمنين فيه ؟ والمعلوم أن بعض الحجرات كانت منتشرة فى الجنوب والشمال روى ابن زبالة عن محمد بن هلال قال : (أدركت بيوت ازواج النبى ﷺ كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر ، مستطيرة فى القبلة (الجنوب) وفى المشرق والشام (الشمال) وليس فى غربى المسجد شيء منها)[1] .

الثانى : ما جاء فى كلام الأستاذ على حافظ : (وقدر مكتب توسعة المسجد النبوى السعودية زيادة عمر بـ ١١٠٠ متر مربع) .

والمعلوم أن مكتبا يشرف على مشروع مثل هذا لا بد أن يكون القائمون عليه فنيين ، ولا يقدرون جزافا ، بل لا بد من وثائق وحقائق تدفعهم إلى هذا التقدير ، وإذا حدث فرق فى التقدير يكون فرقا تقريبيا يقدر بالأمتار على أقصى حد ، أما أن يكون الفرق بين تقدير المكتب الفنى وبين الواقع أكثر من خمسمائة متر مربع ، فذلك ما لا يقبله المحققون ولا يرضى به المنصفون ، وبيان ذلك أننا لو قدرنا مساحة المسجد النبوي بعد توسعته النهائية فى عهده ﷺ كما ارتضاها وصار إليها السمهودى فى وفاء الوفا وابن النجار فى الدرة الثمينة وعلى حافظ فى فصول من تاريخ المدينة المنورة ، وعبد القدوس الأنصارى فى آثار المدينة كل هؤلاء يؤيدون أن مساحة المسجد كانت خمسين مترا طولا فى ٤٩,٥ متر عرضا أو فى ٥٠م عرضا على اختلاف بينهم لا يزيد على ذلك ولا يقل عنه .

ولو تمشينا مع المساحات التى حددوها لزيادة عمر ـ رضى الله عنه ـ من كونها بلغت خمسة أمتار من الجنوب وخمسة عشر مترا من الشمال وعشرة أمتار من الغرب ، فحينئذ تبلغ مساحة الزيادة العمرية (١٧٠٠) م٢ ولتوضيح ذلك نقول :

مساحة الزيادة فى الجنوب = ٥٠ × ٥ = ٢٥٠ ، مساحة الزيادة فى الشمال = ٥٠ × ١٥ = ٧٥٠ ومساحة الزيادة فى الغرب ـ مع ملاحظة أن طول المسجد بعد الزيادة الجنوبية والشمالية ـ أصبح سبعين مترا فيكون ٧٠ × ١٠ = ٧٠٠ م وهكذا يكون مجموع مساحة الزيادة هو (٢٥٠ + ٧٥٠ + ١٧٠٠ م٢) وهى زيادة كبيرة تفوق تقدير المكتب الفنى للتوسعة السعودية بمقدار ٦٠٠ م٢ وتلك هى النتيجة التى أرفضها ولا أقرها .

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٥٩ .

فكيف إذن نرد هذين الإشكالين ؟

أقول : أما كون عمر ـ رضى الله عنه ـ زاد فى المسجد ووسعه من جهتيه الجنوبية والشمالية دون أن يدخل شيئا من حجرات أمهات المؤمنين الموجودة فى هاتين الجهتين ، فإن السمهودى قد تنبه لهذا الأمر ولكنه تناوله من الجهة الشمالية فقط .

وأجاب عن ذلك بجواب لم أرتضه حيث يقول : (وبقى أمر آخر لم أجد من نبه عليه ، وهو أن حجرات أزواج النبى ﷺ كان بعضها فى جهة الشام ـ الشمال ـ كما تقدم ، ومقتضى ما قدمناه من رواية ابن سعد ـ وهو ظاهر ما سيأتى فى زيادة الوليد أن عمر ـ رضى الله عنه ـ لم يدخل منها شيئا فى المسجد ، وإنما ادخلها الوليد ، فكأن عمر ترك ما كان منها فى جهة الشام قائما على حاله ، وصار المسجد حواليها)[1] .

وهذا هو الجواب الذى لم أرض به ، ذلك لأنه من غير المعقول أن يزيد عمر فى المسجد زيادة تدخل بعض الحجرات فى المسجد بحيث يشملها سور المسجد وتبقى الحجرات قائمة على حالها تسكنها أمهات المؤمنين ، ويقضين فيها حاجاتهن الى غير ذلك ، ولو صح ذلك لرواه لنا ولو واحد من المؤرخين الذين اهتموا بالتاريخ للمسجد الشريف وحيث لم يرو أحد ذلك ، فإن الجواب يكون مردودا عقلا ونقلا ، وانما اضطر السمهودى إلى هذا الجواب قوله بالزيادة الضخمة التى قال بها فى شمال المسجد والبالغة خمسة عشر مترا بعرض المسجد .

والجواب الذى أعتقد أنه قريب من الصواب إن لم يكن هو عين الصواب ، والذى يدل عليه كلام بعض الرواة أن الحجرات كانت مستطيرة حول المسجد ما عدا الغرب ولم يكن منها ملاصق للمسجد إلا ما كان من جهة الشرق حيث جعلها الرسول ﷺ حدا للمسجد من جهة الشرق لقوله ﷺ : (ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة)[2] .

وأما التى كانت فى الجنوب والشمال فالمفهوم أنها لم تكن ملاصقة للمسجد بل كانت تبعد عنه قليلا ، وأدلتنا على ذلك ما يأتى :ـ

١ ـ قول الأستاذ على حافظ : (كان بين بيت السيدة عائشة الذي يقع شرقى المسجد) وبين بيت السيدة حفصة (الذى يقع فى الجنوب طريق يفصل بينهما)[3] .

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٩٤ تحقيق محي الدين عبد الحميد .

(٢) مختصر صحيح مسلم الجزء الأول ص ٢٠٥ .

(٣) فصول من تاريخ المدينة المنورة ص ١٠١ شركة المدينة للطباعة .

والمعلوم أن بيت السيدة عائشة هو حد المسجد من جهة الشرق وجدار المسجد من القبلة محاذ له لا يزيد عليه ، فعلمنا من ذلك أن الحجرات التى كانت فى القبلة مفصولة عن المسجد بينها وبين جدار القبلة طريق .

٢ ـ ما رواه البخارى فى صحيحه عن علي بن الحسين ـ رضى الله عنهما ـ (أن صفية زوج النبى ﷺ أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره فى اعتكافه فى المسجد فى العشر الأواخر من رمضان ، فتحدثت عنده ساعة ، ثم قامت تنقلب ، فقام النبى معها يقلبها ، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار ، فسلما على رسول الله ﷺ فقال : على رسلكما ، إنما هى صفية بنت حيى ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما ، فقال النبى ﷺ : إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا)[١] .

ومن هذا الحديث نفهم أن بيت صفية ـ رضى الله عنها ـ لم يكن ملاصقا للمسجد ولم يكن بابه مفتوحا فى المسجد وإلا لتركها تنقلب وحدها لأنها لن تغادر المسجد ولن تبعد عنه وفى هذا يقول ابن حجر ـ رحمه الله ـ فى شرح الحديث : وكانت بيوت أزواج النبى ﷺ حوالى أبواب المسجد)[٢] .

وفى رواية للزهرى (كان النبى ﷺ فى المسجد وعنده أزواجه فرحن وقال لصفية : لا تعجلى حتى انصرف معك) .

والذى يظهر أن اختصاص صفية بذلك لكون مجيئها تأخر عن رفقتها فأمرها بالتأخير ليحصل لها التساوى فى مدة جلوسهن عنده ، أو (أن بيوت رفقتها كانت أقرب من منزلها فخشى النبي ﷺ عليها)[٣] .

وبمناقشة الاستنتاجين اللذين استنبطهما ابن حجر يتضح لنا ان الاستنتاج الأول يحتاج إلى برهان ، ولم يرد فى إحدى روايات الحديث ما يدل على مجيئها متأخرة ، ولا أن الرسول ﷺ أمرها بالتأخير للتساوى مع رفيقاتها فى مدة جلوسهن عنده ، وحيث لا يوجد ما يؤيد الاستنتاج الأول يتعين المصير إلى الثانى وهو بعد بيتها عن المسجد .

---

(١) فتح البارى الجزء الرابع ص ٢٧٨ المطبعة السلفية .
(٢) المرجع والصفحة السابقان .
(٣) المرجع السابق ص ٢٧٨ .

٣ ـ جاء فى عمدة الأخبار (وضرب الحجرات ما بينه وبين القبلة والشرق إلى الشام ـ الشمال ـ ولم يضربها فى غربيه وكانت خارجة عن المسجد مديرة به إلا من المغرب وكانت أبوابها شارعة فى المسجد)[١] .

وهذا النص يدل على أن الحجرات لم تكن ملتصقة بالمسجد إلا ما ثبت التصاقه به منها ـ وهو ما كان فى شرقى المسجد ويؤيده قوله : (وكانت خارجة من المسجد) كما أن قوله : (وكانت أبوابها شارعة فى المسجد) يشير إلى ذلك .

جاء فى القاموس المحيط (دار شارعة ومنزل شارع) صار على طريق نافذ ، ثم قال : والشارع كل قريب)[٢] .

وهذا يدل على ان الحجرات التى كانت فى الجنوب والشمال كانت قريبة من المسجد على الطريق النافذ بين المسجد والحجرات ، من هذا كله نفهم أن زيادة عمر ـ رضى الله عنه ـ من الجنوب والشمال كانت من الشوارع التى كانت بين المسجد والحجرات ومن جهة الغرب كانت من الدور التى بجوار المسجد .

ولو تمشينا مع تقدير المكتب الفنى للتوسعة السعودية تكون التوسعة على النحو الآتي :

أولا : من الجنوب زاد فيه بعرض المسجد ثلاثة أمتار فتكون مساحة الزيادة هى : ٥٧ × ٣ = ١٧١ مترا مربعا[٣] .

ثانيا : من الشمال زاد فيه بعرض المسجد ثمانية أمتار فتكون مساحة الزيادة هى : ٥٧ × ٨ = ٤٥٦ مترا مربعا .[٤]

ثالثا : من الغرب وقد زاد فيه بطول المسجد ستة أمتار فتكون مساحة الزيادة هى : مع ملاحظة أن طول المسجد بعد الزيادة من الجنوب ٣ أمتار والزيادة من الشمال ٨ أمتار أصبح ٧٩ مترا حيث أن طوله بعد زيادة الرسول ﷺ له ٦٨ مترا كما حققناه سابقا ، وبذلك يصبح مجموع زيادة سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ هو ١٧١ + ٤٥٦ + ٤٧٤ = ١١٠١ م٢ ألفا ومائة وواحدا من الأمتار المربعة وهى نسبة لا تزيد عن تقدير المكتب الفنى للتوسعة السعودية غير متر واحد وهى زيادة لا تذكر .

---

(١) عمدة الاخبار ص ١٠٣ المكتبة التجارية بمصر .

(٢) القاموس المحيط الجزء الثالث ص ٤٤ المكتبة التجارية بمصر .

(٣) الـ ٥٧ م هى عرض المسجد بعد زيادة الرسول ﷺ له سنة سبع من الهجرة .

(٤) الـ ٧٩ م هى طول المسجد بعد زيادة عمر له من الشمال والجنوب .

وتصبح مساحة المسجد فى عهده ـ رضى الله عنه ـ ٧٩ مترا طولا × ٦٣ مترا عرضا = ٤٩٧٧ مترا مربعا . وتكون مساحته بالأذرع هى : ١٥٨ ذراعا طولا × ١٢٦ ذراعا عرضا = ١٩٩٠٨ أذرع مربعة .

ويبقى علينا هنا شيء لا بد من توضيحه وهو كيف نوفق بين الذرعة التى رويت عن ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ والتى تقول : (وأدخل فيه دار العباس ، فجعل طوله مائة وأربعين ذراعا ، وعرضه مائة وعشرين) وبين الذرعة التى ذكرتها هنا وهى (وتكون مساحة المسجد بالأذرع مائة وثمانية وخمسين ذراعا طولا فى مائة وستة وعشرين عرضا) ؟

أقول : إن الذرعتين متقاربتان حيث لم تزد الذرعة التى اخترناها على الذرعة التى قبلها إلا ستة أذرع من العرض وثمانية عشر ذراعا من الطول ، على أنه لم يقل أحد قط بأن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ذرع المسجد ذرعا بنى عليه تقديره الذى قال به فلا يبعد حينئذ أن يكون ابن عمر ذكر تلك الذرعة بالتقريب ، فلا يكون هناك فرق يستدعى الرد والتوفيق .

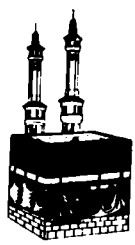

الدور التي وسع بها عمر المسجد

إن توسعة عمر ـ رضى الله عنه ـ فى المسجد من الجهة الغربية استدعت أن يأخذ عمر الدور التى كانت قريبة من المسجد ويدخلها فيه ، على أنه لم يدخل كل البيوت التى اشتراها أو التى تبرع بها أصحابها فى المسجد بل أدخل الجزء الذى اقتضته الزيادة فقط ، وترك الباقى لأصحابه ، ومن الدور التى أدخلت فى المسجد دارالعباس بن عبد المطلب ، ودار أبي بكر الصديق ، ودار لجعفر بن أبى طالب ، ودور أخر كانت محيطة بالمسجد ، يقول السمهودى : لما كثر المسلمون فى عهد عمر ـ رضى الله عنه ـ وضاق بهم المسجد اشترى عمر ما حول المسجد من الدور[1] .

وفى رواية ليحيى عن أبى الزناد : (أن عمر بن الخطاب لما زاد فى المسجد دعا من كان له إلى جانبه منزل فقال : اختاروا منى بين ثلاث خصال : إما البيع فأثمن ، وإما الهبة فأشكر وإما الصدقة على مسجد رسول الله ﷺ ، فأجابه الناس)[2] .

دار العباس بن عبد المطلب

وهو عم النبى ﷺ خطها له ، وأقطعه إياها بعد قدومه المدينة المنورة فجعل يبنى داره وهو يرتجز ويقول :

بنيتها باللبن والحجارة والخشبات فوقها مطارة

ياربنا بارك لأهل الدارة

ورسول الله ﷺ يقول : (اللهم بارك فى هذه الدارة) وجعل العباس لداره ميزابا لاصقا للمسجد وكان الميزاب يصب أمام باب المسجد ، فطرحه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال له العباس ـ رضى الله عنه ـ (أما والله ما شده إلا

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٨٢ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨٨ .

رسول الله ﷺ وإنه لعلى منكبى ، فقال له عمر : لا جرم ، والله لا تشده إلا وأنت على منكبى ، فشده عمر) (١) .

روى السمهودى عن ابن سعد عن سالم قال : لما كثر المسلمون فى عهد عمر ـ رضى الله عنه ـ وضاق بهم المسجد ، اشترى عمر ما حول المسجد من الدور إلا دار العباس بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه ـ حجرات أمهات المؤمنين ـ رضى الله عنهن ـ فقال عمر للعباس : يا أبا الفضل ، إن مسجد المسلمين قد ضاق بهم وقد ابتعت ما حوله من المنازل نوسع به على المسلمين فى مسجدهم إلا دارك وحجرات أمهات المسلمين ، فأما حجرات أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها ، وأما دارك فبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين أوسع بها فى مسجدهم .

فقال العباس : ما كنت لأفعل ، قال : فقال له عمر : اختر منى إحدى ثلاث : إما أن تبيعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين ، وإما أن أخطك حيث شئت من المدينة وأبنيها لك من بيت مال المسلمين وإما أن تصدق بها على المسلمين فتوسع فى مسجدهم ، فقال : لا ، ولا واحدة منها ، فقال عمر : اجعل بينى وبينك من شئت ، فقال : أبيّ بن كعب ، فانطلقا إلى أبيّ فقصا عليه القصة ، فقال أبيّ : إن شئتما حدثتكما بحديث سمعته من رسول الله ﷺ فقالا : حدثنا ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله أوحى إلى داود ان ابن لي بيتا أذكر فيه ، فخط له هذه الخطة ، خطة بيت المقدس فإذا تربيعها بزاوية بيت رجل من بنى إسرائيل ، فسأله داود أن يبيعه إياها ، فحدث داود نفسه أن يأخذه منه ، فأوحى الله إليه : أن يا داود أمرتك أن تبنى لي بيتا أذكر فيه ؛ فأردت أن تدخل فى بيتى الغصب ، وليس من شأنى الغصب ، وإن عقوبتك ألا تبنيه ، قال : يا ربى فمن ولدى ، قال : فمن ولدك .

فأخذ عمر بمجامع أبيّ بن كعب وقال : جئتك بشيء فجئت بما هو أشد منه ، لتخرجن مما قلت ، فجاء يقوده حتى دخل المسجد ، فأوقفه على حلقة من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبو ذر ، فقال أبيّ : نشدتكم الله رجلا سمع رسول الله ﷺ يذكر حديث بيت المقدس حين أمر الله داود أن يبنيه إلا ذكر فقال أبو ذر : أنا سمعته من رسول الله ﷺ وقال آخر : أنا سمعته ، يعنى من رسول الله . قال فأرسل أبيا ، قال : فأقبل أبيّ على عمر فقال : يا عمر أتتهمنى على حديث رسول الله ﷺ ؟ فقال

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٩٢ تحقيق محي الدين عبد الحميد .

عمر : والله يا أبا المنذر ما اتهمتك عليه ولكن أردت أن يكون الحديث عن رسول الله ﷺ ظاهرا .

قال : وقال عمر للعباس : اذهب فلا أعرض لك فى ذلك ، فقال العباس : أما إذ قلت ذلك ، فإنى قد تصدقت بها على المسلمين أوسع عليهم فى مسجدهم ، فأما وأنت تخاصمنى فلا ، قال : فخط له عمر داره التى هى اليوم ، وبناها من بيت مال المسلمين[1] .

ويلاحظ أن دار العباس بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه ـ لم تدخل كلها فى المسجد فى زيادة عمر ـ رضى الله عنه ـ بل أدخل بعضها وأبقى له بعضها ، حتى كانت خلافة عثمان وأراد أن يوسع المسجد أخذ عثمان ـ رضى الله عنه ـ جزءا آخر من الدار نفسها حسبما اقتضت التوسعة ، فأدخله فى المسجد ، وبقى جزء من الدار ضمه مروان بن الحكم بعد ذلك إلى داره حتى عرفت الدار بدار مروان .

يقول العباسى : (دار مروان التى ينزل فيها الأمراء ، بعضها من دار العباس بن عبد المطلب[2] ويروى السمهودى عن يحيى : (أنه كان فى دار مروان ميزاب يصب على الناس إذا خرجوا من المسجد فى المطر ، وكانت دار مروان للعباس ابن عبدالمطلب، فأمر عمر بن الخطاب بذلك الميزاب فنزع)[3] .

وتقع دار العباس فى الجنوب الغربى للمسجد ـ أى عند باب السلام الآن ـ يقول السمهودى : (ثم يلى دار عبدالله بن عمر ذات الخوخة فى قبلة المسجد من غربيها دار مروان بن الحكم قال ابن زبالة : وكان بعضها للنحام ـ يعنى نعيم بن عبد الله من بنى عدى ـ وبعضها من دار العباس بن عبد المطلب ، فابتاعها مروان فبناها)[4] .

ويقول الأنصارى محقق عمدة الأخبار : (دار العباس : المنقول والمعروف المتواتر، أنها فى جهة باب السلام)[5] .

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٨٢ .
(٢) عمدة الأخبار ص ١١٥ .
(٣) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٩١ .
(٤) المصدر السابق ص ٧٢٠ .
(٥) عمدة الاخبار حاشية ص ١١٥ .

ويرد هنا اعتراض : كيف خط عمر للعباس ـ رضى الله عنهما ـ دارا جديدة بالزوراء كما روى السمهودى ، وهو لم يأخذ داره كلها حتى اشترى عثمان ـ رضى الله عنه ـ منه شيئا مما بقى وترك له ثلاثة عشر ذراعا أو أربعة عشر ذراعا ؟ [1] والجواب على ذلك : أن عمر ـ رضى الله عنه ـ لما أخذ ما أخذ من دار العباس لم تعد صالحة لسكناه ولذلك خط له الدار التى خطها بالزوراء .

وتتضارب قصة ميزاب دار العباس ، فتروى لنا الروايات أن الميزاب كان يصب داخل المسجد وأن عمر نزعه وقال : لا يسيل هذا فى مسجد رسول الله ﷺ [2] وتروى روايات أخرى أن الميزاب كان يصب أمام باب المسجد ويؤذى الناس عند خروجهم من المسجد فنزعه عمر حتى لا يؤذى الناس[3] .

روى ابن اسحق عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : (كان للعباس ميزاب عن طريق عمر ، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة ، وقد كان ذبح للعباس ، فرخان ، فلما وافى الميزاب صب فيه ماء من دم الفرخين ، فأصاب عمر ، فأمر عمر بقلعه ، ثم رجع فطرح ثيابه ثم لبس غيرها ، ثم جاء فصلى بالناس ، فأتاه العباس فقال : والله إنه الموضع الذى وضعه رسول الله ﷺ ـ فقال عمر للعباس فأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهرى حتى تضعه فى الموضع الذى وضعه رسول الله ﷺ فيه ، ففعل ذلك العباس) ولكى نزيل هذا التضارب نذكر إجابة السمهودى حيث يقول : (فيجمع بين الروايات بأنه كان للدار المذكورة ميزابان ميزاب يصب فى المسجد ، وميزاب يصب فى الطريق واتفق فى كل منهما قصة)[4] .

أقول : يحتمل أن الميزاب كان يصب فى المسجد قبل شراء عمر الدار وزيادتها فى المسجد فلما أخذ عمر ما أخذ من الدار وأبقى للعباس بقيتها ، وفتح عمر الباب الذى يعرف الآن بباب السلام ، كان فى بقية دار العباس ميزاب يصب على باب المسجد فجاءت الروايات مختلفة بحسب ما اتفق لكل ميزاب منها .

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٩٢ .
(٢) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٨٦ه
(٣) المصدر السابق ص ٤٩١ .
(٤) المصدر السابق ص ٤٩٠ .
(٥) المصدر السابق ص ٤٩١ .

دار ابي بكر رضي الله عنه

وأما دار أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فإنها كانت باتفاق المؤرخين فى غربى المسجد ، حيث أن الخوخة التى استثناها رسول الله ﷺ لما أمر بإغلاق الأبواب المفتوحة على المسجد ، كانت غربى المسجد ، حيث أن عمر هو الذى وسع المسجد من جهة الغرب ، فلا بد أن يكون هو الذى أدخل دار أبى بكر فى المسجد ، يقول السمهودى : (ولم يذكر ابن زبالة ويحيى وغيرهما إدخال عمر دار أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ فى المسجد ، ويتعين أن يكون عمر هو الذى أدخلها ، لما سبق فى الفصل قبله من أن خوختها كانت غربى المسجد وأن الخوخة المجعولة فى محاذاتها عند إدخال الدار هى الخوخة الموجودة الآن غربى المسجد ، وهذا لا خلاف فيه عند المؤرخين ، ولهذا قال ابن النجار نقلا عن أهل السير : كانت خوخة أبى بكر فى غربى المسجد ، فعلمنا بذلك أن دار أبى بكر كانت فى غربى المسجد ، وأن عمر ـ رضى الله عنه ـ أدخلها فيه)[1] ولكن ابن حجر ـ رحمه الله ـ أورد رواية عن عمر بن شبة تفيد أن دار أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ كانت فى الجنوب ـ أى قبلة المسجد ـ حيث يقول : (وقد ذكر عمر بن شبة فى ـ أخبار المدينة ـ أن دار أبى بكر التى أذن له فى إبقاء الخوخة منها إلى المسجد كانت ملاصقة للمسجد ، ولم تزل بيد أبى بكر حتى احتاج إلى شىء يعطيه لبعض من وفد عليه فباعها ، فاشترتها حفصة أم المؤمنين بأربعة آلاف درهم ، فلم تزل بيدها الى أن أرادوا توسيع المسجد فى خلافة عثمان فطلبوها منها ليوسعوا بها المسجد ، فامتنعت ، وقالت : كيف بطريقى إلى المسجد ؟ فقيل لها نعطيك دارا أوسع منها ، ونجعل لك طريقا مثلها ، فسلمت ورضيت)[2] والمعروف أن دار أم المؤمنين حفصة التى أدخلها عثمان ـ رضى الله عنه ـ فى المسجد كانت فى قبلة المسجد ـ أى فى الجنوب .

يقول السمهودى وهو يذكر الدور التى أدخلها عثمان ـ رضى الله عنه ـ فى المسجد (وأدخل بعض بيوت حفصة بنت عمر ـ رضى الله عنها ـ مما يلى القبلة)[3] .

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٩٤ .

(٢) فتح البارى الجزء السابع ص ١٤ .

(٣) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٥٠٨ .

وهذا يخالف النصوص التى تدل على أن دار أبى بكر التى سمح له بإبقاء خوختها فى المسجد كانت غربى المسجد .

أقول : إن هذه الرواية ضعيفة ، وعمر بن شبة ـ رحمه الله ـ لما أورد هذه الرواية أوردها بصيغة التضعيف حيث يقول : (وأخبرنى مخبر)[1] وهذه الصيغة تفيد ضعف الرواية عند المحققين ، إذ لو كانت صحيحة لذكر راويها باسمه حتى تعرف صحتها .

وحيث ثبت ضعف الرواية المذكورة ، وثبت صحة الرواية السابقة التى تفيد أن بيت أبى بكر الذى تركت خوخته كان فى غربى المسجد تحتم المصير إلى الرواية الصحيحة ونبذ الرواية الضعيفة .

دار جعفر بن ابي طالب

وأما دار جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فكان رسول الله ﷺ خطها له وهو فى الحبشة فلما أراد عمر أن يوسع المسجد اشترى نصفها ، وأدخلها فى المسجد ، نقل السمهودى عن السيد القرافى قوله : (واشترى عمر أيضا نصف موضع كان خطه النبى ﷺ لجعفر بن أبى طالب وهو بالحبشة دارا بمائة ألف فزاده فى المسجد)[2] ولكن يحيى يروى أن الذى اشترى نصف الدار التى خطها الرسول ﷺ لجعفر بن أبى طالب وهو بالحبشة هو عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ يقول يحيى : (إن النبى ﷺ خط لجعفر بن أبى طالب دارا وهو بأرض الحبشة ، فاشترى عثمان نصفها بمائة ألف فزادها فى المسجد)[3] .

وأرى ألا تعارض بين الروايتين حيث يحتمل أن عمر ـ رضى الله عنه ـ يكون قد اشترى نصف الدار وزادها فى توسعته فلما جاء عثمان وأراد أن يوسع المسجد اشترى النصف الآخر وزاده فى المسجد أيضا .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٠٩ .

(٢) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٩٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٠٨ .

كيف بني عمر المسجد

لما تم لعمر رضى الله عنه الاستيلاء على الدور المحيطة بالمسجد اللازمة للتوسعة سواء كان ذلك بالشراء أم بالهبة أم بالتصدق شرع فى بناء المسجد وحرص كما قدمنا على ألا يغير شيئا من هيئة المسجد الذى ألفها المسلمون فبنى أساسه بالحجارة كما فعل الرسول ﷺ إلا أنه زاد فى الأساس حتى بلغ به قامة ، ثم أتم بناءه باللبن ، وجعل ارتفاعه أحد عشر ذراعا ـ أى ما يقارب من خمسة أمتار ونصف ، وجعل عمده جذوع النخل ، وسقفه بالجريد ، وجعل له سترة محيطة بسطحه بارتفاع ثلاثة أذرع ، وكانت زيادته رضى الله عنه فى المسجد من جهاته الثلاث (الجنوب والشمال والغرب) كما تقدم ذكر ذلك ، ولم يزد من جهة الشرق شيئا .

ويطالعنا الأستاذ على حافظ بأن عمر رضى الله عنه جعل ارتفاع سقف المسجد أحد عشر مترا ، بعد أن كان فى عهد الرسول ﷺ سبعة أمتار فيقول : (ولما وسع عمر المسجد أعاد بناءه جميعه مجددا حتى رفع سقفه إلى (١١) مترا ، بينما كان فى عهد رسول الله ﷺ (٧) أمتار)[١] .

وأغلب الظن أن الاستاذ على حافظ واهم فى ذكر ارتفاع المسجد ، ولم يبلغ ارتفاعه فى عهد الرسول ﷺ سبعة أمتار أبدا ، بل كان ﷺ يقول : فقيل لى : (عريش كعريش أخيك موسى سبعة أذرع)[٢] .

كذلك لم يرفع عمر رضى الله عنه سقف المسجد أحد عشر مترا بل رفعه أحد عشر ذراعا ، يقول العباسى : (وجعل طول السقف أحد عشر ذراعا)[٣] .

وهذه النصوص الصريحة والصحيحة عند المؤرخين تدل على أن ارتفاع السقف فى عهده ﷺ كان سبعة أذرع وفى عهد عمر كان أحد عشر ذراعا .

وأحدث عمر رضى الله عنه فى المسجد ثلاثة أبواب ليواجه بذلك كثرة الناس

---

(١) فصول من تاريخ المدينة ص ٩٥ .
(٢) وفاء الوفا الجزء الأول ص ٣٢٧ .
(٣) عمدة الأخبار ص ١٠٧ .

واقبالهم على الدخول والخروج فأصبح بذلك للمسجد ستة أبواب : بابان عن يمين المتجه للقبلة وهما : باب عاتكة الموجود فى زمن الرسول ﷺ والمعروف بباب الرحمة والثانى : باب أحدثه هو ، وهو المعروف الآن بباب السلام وجعل له بابين عن يسار المتجه للقبلة وهما : باب آل عثمان وهو الذى كان يدخل منه الرسول ﷺ والمعروف الآن بباب جبريل ، والثانى أحدثه هو ، وهو المعروف الآن بباب النساء .

وجعل له بابين فى مؤخره وهما : الباب الذى كان على عهد رسول الله ﷺ والثانى أحدثه هو رضى الله عنه وهذان البابان لم أقف على اسميهما ، ولم أر أحدا ممن أرخ للمسجد سماهما .

وترد هنا بعض الروايات التى يحدث ظاهرها إشكالا كتلك التى يرويها السمهودى عن يحيى ورزين فيقول : (وكان بنى أساسه بالحجارة إلى أن بلغ قامة ، زاد يحيى : وكان لبنه ضربه بالبقيع ، وجعل له ستة أبواب : بابين عن يمين القبلة ، وبابين عن يسارها ، وبابين خلفه ، ولم يغير باب عاتكة ـ أى المعروف بباب الرحمة ـ ولا الباب الذى كان يدخل منه النبى ﷺ وهو فتح الباب الذى كان عند القبر ، فهذان البابان من الشق الأيسر ـ أى المشرق ـ ، وفتح الباب الذى عند دار مروان بن الحكم ، وفتح بابين فى مؤخر المسجد)[1]

هذه الرواية تفيد أشياء يرد عليها اعتراض ، فهى تفيد أولا : أن عمر رضى الله عنه لم يغير باب عاتكة وتفيد ثانيا : أنه فتح بابا جديدا عند القبر الشريف وتفيد ثالثا : انه هو الذى فتح البابين اللذين فى مؤخر المسجد والاعتراضات التى ترد على ذلك هى :

أولا : ـ كيف لم يغير باب عاتكة وقد زاد فى المسجد من الغرب الذى هو محل هذا الباب ؟

ثانيا : ـ كيف فتح بابا عند القبر ، وهو لم يوسع المسجد من جهة الشرق التى هى محل القبر الشريف ؟

ثالثا : ـ كيف يقال فتح بابين فى مؤخر المسجد ، والمعروف أن أحدهما كان مفتوحا فى حياته ﷺ ؟

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٩٥ .

وللجواب عن ذلك نقول :

أولا : أما أنه لم يغير باب عاتكة فمعناه ، أنه فتحه فى التوسعة الجديدة محاذيا لمكانه الأصلى ، وثانيا : قوله : فتح بابا جديدا عند القبر ، فالمراد به أنه فتحه فى جهة القبر التى هى الجهة الشرقية ، وليس المراد بجوار القبر لأنه لم يوسع شيئا من عند القبر ، بل كانت زيادته فى جهة الشمال بعرض المسجد من الشرق والغرب فيكون الباب الذى فتحه فى الشرق من جهة الشمال والمعلوم أن القبر من جهة الجنوب . وثالثا : وأما نسبة فتح البابين فى مؤخر المسجد إليه رضى الله عنه فلأنه لما هدم جدران المسجد من جهاته الثلاث ، فكأنه هو الذى أنشأ الأبواب التى فتحت فيها ولذا نسبت إليه على هذا النحو . وماعدا ذلك فى الرواية معترف به ولا اعتراض عليه .

فرش المسجد

من المعلوم أن المسجد فى عهد رسول الله ﷺ لم يكن مفروشا حتى وكف عليهم المطر ففرشوه بالحصباء وظل كذلك فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه وفى خلافة عمر رضى الله عنه فرشه بالحصير .

يقول صاحب السيرة الحلبية : (ثم رأيت بعضهم ذكر ذلك حيث قال : أول من فرش الحصر فى المساجد عمر بن الخطاب ، وكانت قبل ذلك مفروشة بالحصباء)[1]

ويستشكل على هذا بضعف الرواية حيث يقول الراوى : (ثم رأيت فى كلام بعضهم) ولم يسم الراوى ، ولم يذكر سند الرواية ، وبهذا المجهول لا يأخذ المحققون من العلماء ، ويستشكل أيضا بأنها لم تفرش بالحصير فى عهده ﷺ ولم يأمر به .

وهذا الاستشكال الأخير لا يمنع عمر من فرش المسجد بالحصير ، ذلك لأنه ثبت أن رسول الله ﷺ صلى على الحصير .

---

(١) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٨٠ المكتبة التجارية بمصر .

وفى صحيح البخارى رحمه الله عن أنس بن مالك ، أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته له ، فأكل منه ثم قال : قوموا فلأصل لكم قال أنس : فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس فنضحته بماء ، فقام رسول الله ﷺ وصففت واليتيم وراءه ، والعجوز من ورائنا ، فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ، ثم انصرف)[1]

ولكن يبقى الاستشكال بضعف الرواية قائما ، على أن ابن النجار روى (أن المسجد كان يرش زمان النبي ﷺ وزمان أبى بكر وعامة زمان عمر ، وكان الناس يتنخمون فيه ويبصقون حتى عاد زلقا ، حتى قدم ابن مسعود الثقفى وقال لعمر : أليس قربكم واد ؟ قال : بلى ، قال : فمر بحصباء تطرح فيه ، فهو أكف للمخاط والنخامة ، فأمر بها عمر ، وذكر محمد بن سعد ، أن عمر بن الخطاب ألقى الحصا فى مسجد رسول الله ﷺ وكان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم ، فأمر بالحصباء ، فجيء بها من العقيق فبسط فى المسجد)[2]

وهذه الرواية تفيد أن المسجد فى عهد عمر رضى الله عنه إنما فرش بالحصباء ، ولم يفرش بالحصير اللهم إلا أن يكون فرش بالحصير بعد ذلك إن صحت الرواية السابقة .

إضاءة المسجد

مر بنا أن المسجد فى عهد رسول الله ﷺ كان يضاء بسعف النخل ، حتى قدم تميم الدارى سنة تسع من الهجرة ، وكان معه قناديل وزيت وحبال ، فأمر أحد غلمانه فعلق القناديل ، وأوقدها فأضاء بها المسجد وسر بذلك رسول الله ﷺ .

ويروى الحلبى أن عمر رضى الله عنه أول من جعل فى المسجد المصابيح[3] ويقول السمهودى : (وقيل : أول من فعله عمر بن الخطاب ، لما جمع الناس فى التراويح على إمام واحد)[4] .

---

(١) فتح البارى الجزء الأول ص ٤٨٨ .
(٢) أخبار مدينة الرسول ص ٩٦ تحقيق صالح جمال .
(٣) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٨٧ .
(٤) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٦٧٠ .

والروايات التى ذكرت أن عمر أول من علق المصابيح فى المسجد ، وردت كلها بصيغة تدل على ضعفها ، فالحلبى يقول : (وفى كلام بعضهم) ، والسمهودى يقول : (وقيل أول) وهذه الصيغة ضعيفة مردودة عند المحدثين ، فثبت أن أول من أضاءه تميم الدارى كما قدمنا ، ويحتمل أن يكون عمر زاد فى إضاءته وأكثر منها فنسبت الإضاءة إليه لذلك كما ذكر الحلبى[1] .

تجمير المسجد

تنظيف المساجد وتطهيرها من الأمور التى اهتم بها الإسلام ، وحث عليها ، ويكون ذلك بإخراج القمامة والتقاط الخرق والعيدان ، وتطييبها وتخليقها وتجميرها ، قال تعالى : (**وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين**)[2] .

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه (أن رجلا أسود ـ أو امرأة سوداء كان يقم المسجد ، فمات ، فسأل عنه النبى ﷺ ، فقالوا : مات . قال : أفلا كنتم آذنتمونى به ؟ دلونى على قبره ـ أو قال على قبرها فأتى قبره فصلى عليه)[3] .

وفى شرح السنة للبغوى عن عائشة رضى الله عنها قالت : (أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد فى الدور ، وأن تنظف وتطيب)[4] .

وروى المنذرى عن ابن ماجة عن وائلة بن الأسقع رضى الله عنه (أن النبى ﷺ قال : جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ، وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم ، وإقامة حدودكم وسل سيوفكم ، واتخذوا على أبوابها المطاهر ، وجمروها فى الجمع)[5] .

فتخليق المسجد وتجميره مأمور بهما منذ عهده ﷺ ولكن عمر رضى الله عنه هو أول من جعل حصة خاصة للمسجد من الطيب يجمر بها ـ أى يبخر بها ـ يقول

---

(١) السيرة الحلبية الجزء الثانى ص ٨٧ .
(٢) سورة البقرة الآية (١٢٥) .
(٣) فتح البارى الجزء الأول ص ٥٥٢ .
(٤) شرح السنة الجزء الثانى ص ٣٩٩ .
(٥) الترغيب والترهيب الجزء الأول ص ٨٩ .

الحافظ بن النجار : (ذكر أهل السير أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى بسفط من عود ، فلم يسع الناس ، فقال : اجمروا به المسجد لينتفع به المسلمون فبقيت سنة فى الخلفاء إلى اليوم)[1] .

وهكذا نرى أن عمر رضى الله عنه لما جىء له بسفط العود ، ولم يكن كافيا لتوزيعه على ا لمسلمين جميعا أمر به فجعل فى المسجد حتى ينتفع به جميع المسلمين ، حيث يتردد الجميع على المسجد فينالون من طيبه ، وهو بذلك كان أول من جعل للمسجد هذا الحظ من التجمير حتى روى السمهودى أن عمر رضى الله عنه أتى بمجمرة من فضة ، وأنه دفعها إلى سعد ـ جد المؤذنين ـ وقال : أجمر بها فى الجمعة وشهر رمضان ، وكان سعد يجمر بها فى الجمعة ، وكانت توضع بين يدى عمر بن الخطاب[2] .

البطيحاء إلى جوار المسجد

أراد عمر بن الخطاب رضى الله عنه باتخاذ البطيحاء إلى جوار المسجد أن يجنب المسجد اللغط ، ورفع الأصوات وإنشاد الشعر إلى غير ذلك مما رآه عمر يقلل من هيبة المسجد فى نفوس الناس ، ويجرئهم على ارتياده فى جميع أحوالهم ولو كانت لا تتلاءم ومنزلة المسجد ، ولهذا قال بعد أن اتخذ هذه البطيحاء : (من أراد أن يلغط ، أو يرفع صوتا ، أو ينشد شعرا فليخرج إليه ـ يعنى البطيحاء ـ)[3] .

ولقد كان رضى الله عنه حريصا على أن تظل هيبة المسجد قائمة فى قلوب المسلمين ومن أجل هذا لما سمع رجلا يضحك أرسل إليه وقال من أنت ؟ فقال : أنا رجل من ثقيف ، فقال : أمن أهل البلد أنت ؟ فقال : بل من أهل الطائف ، فتوعده فقال : لو كنت من أهل البلد لنكلت بك ، إن مسجدنا هذا لا ترفع فيه الأصوات[4] .

---

(١) أخبار مدينة الرسول ص ٨٤ .
(٢) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٦٦٣ .
(٣) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٩٨ .
(٤) المرجع السابق ص ٤٩٩ .

ومن الأشياء التى كرهها عمر فى المسجد إنشاد الشعر ، فقد أنكر على حسان بن ثابت وهو ينشد شعرا فى المسجد ، وشدد الوعيد بطلحة رضى الله عنه عندما بلغه أنه تلاحى هو وعثمان بن عفان فى المسجد .

كل ذلك يدل على أن مقصود عمر رضى الله عنه هو تنزيه المسجد عما ينقص من قدره ويجعل الناس يستهينون به .

واعترض كثير من العلماء على منع عمر إنشاد الشعر فى المسجد ، واحتجوا بأن كعب بن زهير رضى الله عنه دخل على الرسول المسجد وأنشده قصيدته المشهورة :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول[1]

وبأن حسان بن ثابت رضى الله عنه كان ينشد رسول الله ﷺ الشعر فى المسجد وكان رسول الله يقول له : اللهم أيده بروح القدس[2] .

وأجاب مؤيدو عمر رضى الله عنه بما ذكره الحافظ بن حجر قال : (نهى رسول الله ﷺ عن تناشد الأشعار فى المسجد)[3] .

وتولى ابن حجر رحمه الله التوفيق بين الروايات المجيزة والروايات المانعة فقال : (فالجمع بينها وبين حديث الباب أن يحمل النهى عن تناشد أشعار الجاهلية والمبطلين والمأذون فيه ما سلم من ذلك ، ثم نقل رأيا آخر للجمع بين الأحاديث فقال وقيل : المنهى عنه ما إذا كان التناشد غالبا على المسجد حتى يتشاغل به من فيه)[4] .

ومن أجل هذا سكت عمر عندما قال له حسان : (قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك)[5] .

ولو كان المراد النهى عن إنشاد الشعر مطلقا لما سكت عمر ، بل ولأسكت حسانا وأخرجه من المسجد .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٠٠ .

(٢) فتح البارى الجزء الأول ص ٥٤٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٤٩ .

(٤) المصدر والصفحة السابقان .

(٥) المصدر والصفحة السابقان .

هل للزيادة في المسجد حكم المسجد ؟

يقول ﷺ : **(صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)**[1] .

اتفق العلماء على مضاعفة الأجر لمن صلى الفرض فى مسجد رسول الله ﷺ ـ الذى بناه هو ، واختلفوا فيما وراء ذلك من أمور .

أولها : هل يضاعف الأجر لمصلى النوافل ؟ وثانيها : هل يضاعف الأجر لمن يصلى فى الأماكن التى زيدت فى المسجد بعد رسول الله ﷺ ؟

وثالثها : هل مضاعفة الأجر خاص بالصلاة دون غيرها ؟

أما أولها : فيرى بعض العلماء أن النوافل يتضاعف أجرها فى مسجدى مكة والمدينة . يقول النووى فى شرح صحيح مسلم : (واعلم أن مذهبنا أنه لا يختص هذا التفضيل بالصلاة فى هذين المسجدين بالفريضة ، بل يعم الفرض والنفل جميعا وبه قال مطرف من أصحاب مالك)[2] ويرى الطحاوى من الحنفية ، وابن أبي زيد من المالكية : أن مضاعفة الأجر خاصة بالفرض دون النفل واستدل الشافعية على رأيهم بعموم الحديث (صلاة فى مسجدى) وهى تشمل أى صلاة نفلا كانت الصلاة أم فرضا .

واستدل الحنفية والمالكية بقوله عليه الصلاة والسلام ـ: **(عليكم بالصلاة فى بيوتكم ، فإن خير صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة)**[3] .

فقالوا ما دامت صلاة النافلة فى البيت أفضل ، بنص الحديث ، فإنها لا تضاعف فى المسجد ولو ضوعف أجرها فى المسجد لكان صلاتها فى المسجد أفضل ، وهذا يناقض الحديث الصحيح المذكور .

وانبرى ابن حجر ـ رحمه الله ـ يوفق بين القولين فقال : (ويمكن أن يقال : لا

---

(١) فتح البارى الجزء الثالث ص ٦٣ .

(٢) صحيح مسلم شرح النووى الجزء التاسع ص ١٦٤ دار الفكر ببيروت .

(٣) مختصر صحيح مسلم الجزء الأول ص ١٠٣ .

مانع من إبقاء الحديث على عمومه فتكون صلاة النافلة فى بيت بالمدينة أو مكة تضاعف على صلاتها فى البيت بغيرهما ، وكذا فى المسجدين وإن كانت فى البيوت أفضل مطلقا)[1] وهل المضاعفة فى الثواب أم فى إجزاء الصلاة عن عدد من الصلوات ؟ اتفق العلماء على أن المضاعفة فى الثواب لا فى الإجزاء ، فلو كانت عليه صلاتان أو أكثر ، وصلى صلاة فى مسجد مكة أو المدينة لم تجزئه إلا عن صلاة واحدة وله الأجر مضاعفا والله تعالى اعلم[2] .

وأما ثانيها : فإن جمهور العلماء على أن ما زيد فى المسجد فهو من المسجد ، وأن المصلى فى أي زيادة حدثت فى المسجد يضاعف أجره كما لو كان يصلى فى المسجد الذى بناه الرسول ﷺ بنفسه . فالإمام مالك ـ رحمه الله ـ سئل عن حد المسجد الذى جاء فيه الخبر ، هو على ما كان فى عهد النبى ﷺ أو على ما هو عليه الآن ؟ قال : بل هو على ما هو عليه الآن . ثم قال : ولولا هذا ما استجاز الخلفاء الراشدون المهديون أن يزيدوا فيه بحضرة الصحابة ، ولم ينكر عليهم ذلك منكر[3] والمحب الطبرى يقول : (إن المسجد المشار إليه فى حديث المضاعفة هو ما كان فى زمنه ﷺ مع ما زيد فيه)[4] .

ويوضح ابن تيمية أن الزيادة فى مسجد المدينة لها حكم المسجد ، ومن صلى فيها يضاعف له الأجر فيقول : (وهو الذى يدل عليه كلام الأئمة المتقدمين وعملهم ، وكان الأمر عليه فى عهد عمر وعثمان ـ رضى الله عنهما ـ فإن كلا منهما زاد فى قبلة المسجد ، وكان مقامه فى الصلوات الخمس فى الزيادة ، وكذلك الصف الأول الذى هو أفضل ما يقام فيه ، ويمتنع أن تكون الصلاة فى غير مسجده أفضل منها فى مسجده ، وأن يكون الخلفاء والصفوف الأول كانوا يصلون فى غير مسجده ، وما بلغنى عن أحد من السلف خلاف هذا ، إلا أن بعض المتأخرين ذكر أن الزيادة ليست من مسجده ، وما علمت له سلفا فى ذلك)[5] ويؤيد هذا الرأى ما ورد فى الآثار عن عمر ـ رضى الله عنه ـ أنه زاد فى المسجد من شاميه ـ أى شماله ـ ثم قال : لو زدنا فيه حتى نبلغ به الجبانة كان مسجد رسول الله ﷺ .

---

(١) فتح البارى الجزء الثالث ص ٦٨ .

(٢) المصدر والصفحة السابقان .

(٣ ، ٤ ، ٥) وفاء الوفا الجزء الأول ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

وعن ابى هريرة ـ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لو بنى هذا المسجد الى صنعاء كان مسجدى .

وروى يحيى عن عمر بن أبى بكر الموصلى عن الثقات من علمائه قالوا : قال رسول الله ﷺ : هذا مسجدى وما زيد فيه فهو منه ، ولو بلغ بمسجدى صنعاء كان مسجدى وهذه الآثار وإن لم تتوفر فيها شروط الصحة أو الحسن حيث إن الأول والثانى فى سنديهما متروك ، والثالث منقطع ـ إلا أن تضافرها مع غيرها مما ورد فى ذلك يقوى بعضها بعضا ، ويسند رأى القائلين بمضاعفة الأجر لمن صلى فى الزيادة الحادثة بعد الرسول ﷺ .

ويرى النووى أن هذه الفضيلة مختصة بنفس مسجده ﷺ الذى كان فى زمانه دون ما زيد فيه بعده[1] .

ويروى هذا الرأى أيضا عن ابن عقيل الحنبلى[2] .

ودليل المانعين ما جاء فى الحديث السابق (صلاة فى مسجدى هذا) وفهموا من الإشارة فى الحديث تخصيص المسجد الموجود فى زمانه ﷺ لأنها تفيد تخصص الأفضلية بالمسجد المشار إليه دون غيره .

ولم يرض السمهودى بهذا الفهم فى الحديث فقال : (ومتمسك من ذهب إلى التخصيص الاشارة فى قوله : (مسجدى هذا) ولعله ﷺ إنما جاء بها ليدفع توهم دخول سائر المساجد المنسوبة إليه بالمدينة غير هذا المسجد ، لا لإخراج ما سيُزاد فيه ، وقد سلم النووى أن المضاعفة فى المسجد الحرام تعم ما زيد فيه فليكن مسجد المدينة كذلك)[3] .

وبهذا يترجح القول بأن الصلاة فيما زيد بعد رسول الله ﷺ فى المسجد يضاعف أجرها ويتضح ضعف الرأى القائل بعدم المضاعفة والله تعالى أعلم .

وأما ثالثها : فيرى بعض العلماء أن المضاعفة ليست خاصة بالصلاة بل هى عامة لجميع الطاعات التى تؤدى فى المدينة المنورة كما فى مكة المكرمة .

---

(١) صحيح مسلم شرح النووى الجزء التاسع ص ١٦٦ .

(٢) وفاء الوفا الجزء الأول ص ٣٥٨ .

(٣) وفاء الوفا الجزء الأول ص ٣٥٨ .

يقول السمهودى : (وينبغى ألا يختص هذا التضعيف بالصلاة ، بل بسائر أنواع الطاعات كذلك قياسا على ما ثبت فى الصلاة ، ، كما صرحوا به فى مسجد مكة المشرفة)[1] . ويقول الغزالى : (إن الأعمال فى المدينة تتضاعف) ، قال ﷺ (صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فى سواه إلا المسجد الحرام) ثم قال : (فكذلك كل عمل بالمدينة بألف)[2] .

ويرى ابن النجار أن الطاعات كلها تضاعف فى المدينة فيروى بالسند عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ **(صلاة الجمعة فى المدينة كألف صلاة فيما سواها)** ثم يقول : (وبالإسناد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (صيام شهر رمضان فى المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها)[3] والحديثان وإن كانا ضعيفين إلا أنهما يشد بعضهما بعضا ، ويقويهما القياس على الصلاة فى مسجدها الشريف .

ومن هذا نعلم أن المدينة المنورة لها فضل كبير على سائر البلدان ، وأن الطاعات يتضاعف أجرها فيها ، وقد أكرم الله عز وجل سكانها بعدم مضاعفة السيئات كما هو الحال فى مكة المكرمة حيث يقول ـ جل وعلا ـ : **(ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب اليم)**[4] ويروى عن ابن عباس لما خرج من مكة إلى الطائف قوله : (مالى وبلد تضاعف فيه السيئات كما تضاعف الحسنات) .

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٤٢٣ .
(٢) المصدر السابق الجزء الأول ص ٧٧ .
(٣) اخبار مدينة الرسول ﷺ ص ٣٥ .
(٤) سورة الحج الآية « ٢٥ » .

الفصل الثانى

زيادة عثمان بن عفان

تولى عثمان الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى أول محرم سنة أربع وعشرين من الهجرة ، وسار فى المسلمين سيرة صاحبيه فسير الجيوش وفتح بلادا كثيرة ، وأعز الله به دينه وكان عهده خيرا وبركة على المسلمين ، حتى تمرد عليه المتمردون ، ووجد الشيطان سبيلا إلى نفوس ضعاف الإيمان فاندلعت الفتنة وتوجت حياته بالشهادة التى بشره بها رسول الله ﷺ .

أسباب زيادته في المسجد

إنما حمل عثمان ـ رضى الله عنه ـ على الزيادة فى المسجد ثلاثة أسباب :

الأول : ـ ضيق المسجد وشكوى الناس من ذلك .

الثانى : ـ تفتت الجذوع التى كانت تحمل السقف .

الثالث : ـ رغبته رضى الله عنه فى عظيم الأجر من الله عز وجل .

يقول ابن النجار : (وذكر أهل السير أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ لما ولى الخلافة سنة أربع وعشرين سأله الناس أن يزيد فى مسجدهم ، وشكوا إليه ضيقه يوم الجمعة حتى إنهم ليصلون فى الرحاب)[1] .

ويذكر السمهودى ما رواه أبو داود عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : إن مسجد النبى ﷺ كانت سواريه على عهد رسول الله ﷺ من جذوع النخل ، أعلاه

---

(١) أخبار مدينة الرسول ص ٩٧ .

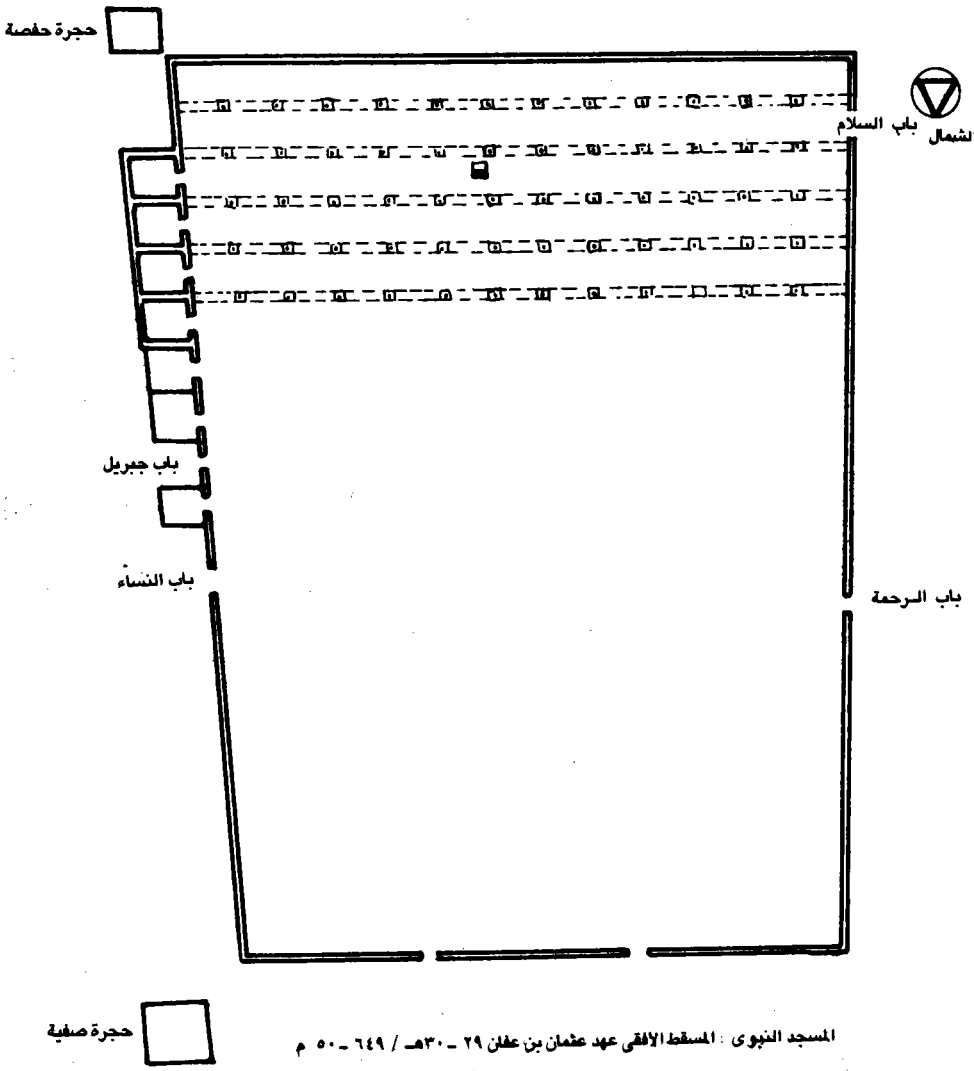

المسجد النبوى : المسقط الافقى عهد عثمان بن عفان ٢٩ ـ ٣٠هـ / ٦٤٩ ـ ٥٠ م

مظلل بجريد النخل ، ثم إنها نخرت فى خلافة أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ فبناها بجذوع النخل وبجريد النخل ، ثم إنها نخرت فى خلافة عثمان ـ رضى الله عنه فبناها بالآجر ، فلم تزل ثابتة حتى الآن)[1] .

وفى البخارى عن عبيد الله الخولانى أنه سمع عثمان بن عفان يقول عند قول الناس فيه حين بنى مسجد رسول الله ﷺ : إنكم أكثرتم ، وإنى سمعت النبى ﷺ يقول : (من بنى مسجدا) قال بكير : حسبت أنه قال : يبتغى به وجه الله ، بنى الله له مثله فى الجنة)[2] .

وتدل هذه النصوص بوضوح على أن الأسباب التى دفعت عثمان ـ رضى الله عنه ـ إلى هدم المسجد وبنائه وتوسعته هى الأسباب الثلاثة الآنفة الذكر .

فقد كثر المسلمون ، وضاق بهم المسجد ، وأصبحوا يصلون فى الرحاب المحيطة به وشكا المسلمون ما يجدونه من ذلك لخليفتهم ، فكان لا بد أن يحاول تخفيف الضيق ويزيل أسباب الشكوى حتى يجد المسلمون راحتهم النفسية وهم يؤدون واجباتهم الدينية ، كذلك اضطرت تلك الجذوع النخرة الخليفة أن يبادر إلى تجديد المسجد خشية أن يسقط السقف أو ينهار المسجد على المصلين ، ثم تأتى رغبة الخليفة الورع التقى فيما عند الله تعالى من عظيم الأجر ، وجزيل المثوبة فهو يرجو أن يبنى الله له بيتا فى الجنة فتدفعه تلك الرغبة الملحة إلى أن يقدم على بناء المسجد وتشييده آملا أن يكون بيته فى الجنة على قدر ما بذل فى بناء المسجد من جهد ومال ونظافة وإتقان .

لهذا أقدم على البناء بنفس راضية وقلب مطمئن ، وإن عارض الناس وأكثروا الكلام ، وماله وللناس وهو لا يبتغى إلا وجه الله ، ولا يعمل إلا وهو يرجو رضاه .

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٥٠١ .

(٢) فتح البارى الجزء الأول ص ٥٤٤ .

تاريخ زيادة عثمان في المسجد

يختلف المؤرخون فى السنة التى وسع فيها عثمان ـ رضى الله عنه ـ مسجد الرسول ﷺ فيذكر كل منهم رواية تدل على سنة التوسعة والتجديد وسنستعرضها هنا ونناقشها لنفى الواهى منها وإثبات القوى المدعم بالأدلة والبراهين فرواية يحيى بن الحسين تدل على أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ شرع فى التوسعة بعد ما تولى الخلافة ـ أى فى سنة أربع وعشرين هجرية ـ حيث يقول : (لما ولي عثمان بن عفان سنة أربع وعشرين كلمه الناس أن يزيد فى مسجدهم ـ إلى أن يقول : فأصبح فدعا العمال ، وباشر ذلك بنفسه)[1] .

وأما رزين فيروى عن المطلب بن عبدالله بن حنطب أن توسعة عثمان ـ رضى الله عنه ـ كانت فى سنة أربع من خلافته ـ أى فى سنة سبع وعشرين هجرية ـ فيقول : (لما ولي عثمان ، وكان سنة أربع من خلافته كلمه الناس أن يزيد فى مسجد الرسول ﷺ وشكوا إليه ضيقه ، فشاور عثمان أهل الرأى ، فأشاروا عليه بذلك)[2] .

ويقول ابن النجار فى معرض حديثه عن توسعة عثمان للمسجد : (وكان عمله فى أول ربيع الأول سنة تسع وعشرين ، وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين ، فكان عمله عشرة أشهر)[3] .

ويقول ابن حجر : (كان بناء عثمان للمسجد النبوى سنة ثلاثين على المشهور ، وقيل فى آخر سنة من خلافته ، ففى كتاب السير عن الحارث بن مسكين عن ابن وهب أخبرنى مالك أن كعب الأحبار كان يقول عند بنيان عثمان للمسجد : لوددت أن هذا المسجد لا ينجز ، فإنه إذا فرغ من بنيانه قتل عثمان ، قال مالك : فكان كذلك)[4] تلك هى الروايات التى ذكرت لنا تاريخ زيادة عثمان ـ رضى الله عنه ـ للمسجد وتتلخص فيما يأتى :ـ

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٥٠٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٠٣ .
(٣) اخبار مدينة الرسول ص ٩٧ .
(٤) فتح البارى الجزء الأول ص ٥٤٥ .

١ ـ رواية يحيى وتقول : كانت التوسعة سنة أربع وعشرين .
٢ ـ رواية رزين وتدل على أن التوسعة كانت سنة أربع من خلافته ـ أى فى سنة سبع وعشرين ـ حيث كانت خلافته لأول المحرم سنة أربع وعشرين ، فإذا أضفنا إليها أربع سنين أُخر كانت التوسعة سنة سبع وعشرين .
٣ ـ رواية ابن النجار التى نص فيها على أن التوسعة بدأت سنة تسع وعشرين وانتهت سنة ثلاثين .
٤ ـ ثم رواية ابن حجر التى ترددت بين سنة ثلاثين ، وآخر سنة من خلافته ـ رضى الله عنه ـ (أي سنة خمس وثلاثين) وهى السنة التى استشهد فيها .

فأما رواية يحيى فلم يوافقه عليها أحد من الرواة ، ولم تعضدها رواية اخرى ، وقد نقضها هو بنفسه حيث ذكر فى آخر الرواية التى ذكرها السمهودى كلاما يوافق كلام ابن النجار من أن البناء بدأ سنة تسع وعشرين وانتهى فى أول محرم سنة ثلاثين .[1] وأما رواية رزين فليس فيها ما يدل على أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ بدأ فى العمل سنة أربع من خلافته ، بل فيها أنه لما كلمه الناس فى أمر التوسعة استشار أهل الرأى فأشاروا عليه بالبناء والتوسعة .

وأما روايتا ابن النجار وابن حجر فإنهما متفقتان ، إلا أن ابن النجار ذكر بداية العمل فى المسجد ونهايته وابن حجر ذكر نهاية العمل فقط واتفاق الروايتين يقوى كل منهما الأخرى ويمكن الجمع بين هاتين الروايتين وبين الروايتين السابقتين على النحو التالى :

يحتمل أن يكون الناس قد كلموا عثمان فى توسعة المسجد ، وأنه استشار فى ذلك فى أول سنة من خلافته ثم سكت ـ رضى الله عنه ـ حتى كلموه مرة أخرى وشكوا إليه فاستشار الناس ، فأشاروا عليه بما أشاروا به فى المرة الأولى سنة أربع من خلافته ، فلما كانت سنة تسع وعشرين شرع فى الهدم والبناء وتوسعة المسجد ، وانتهى منه فى أول سنة ثلاثين .

ومما يؤيد الرواية التى تدل على أن بدء العمل فى المسجد كان سنة تسع وعشرين ذكر كثير من المؤرخين لهذا التاريخ ، فابن النجار يصرح بذلك ، والعباسى

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٥٠٢ .

فى عمدة الأخبار يصرح به كذلك ، والسمهودى يؤيده ويصرح بأنه الأصح ، وهناك روايات كثيرة تدعم هذه الرواية منها رواية يحيى وابن زبالة (أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ زاد فى المسجد قبل أن يقتل بأربع سنين)[1] .

ومنها رواية خارجة بن زيد التى تكلم فيها عن زيادة عثمان للمسجد إلى أن قال : (وذلك قبل أن يقتل بأربع سنين)[2] .

ومنها رواية محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبيه قال : (زاد عثمان فى المسجد قبل أن يقتل بأربع سنين)[3] .

كل هذه الروايات تؤيد ما ذكره ابن النجار وابن حجر من أن البدء فى بناء المسجد وتوسعته كان سنة تسع وعشرين والانتهاء منه كان سنة ثلاثين ، وحيث قتل عثمان ـ رضى الله عنه ـ سنة خمس وثلاثين فتكون زيادته فى المسجد قد تمت قبل أن يقتل بأربع سنين مع بعض التجاوز عن تحديد الزمن بالضبط .

وبقى علينا الرواية التى أشار إليها ابن حجر ـ رحمه الله ـ حيث قال : (وقيل فى آخر سنة من خلافته) واستدل عليها بما روى عن كعب الأحبار رحمه الله التى تفيد بأنه إذا فرغ من بناء المسجد قتل عثمان ، يقول الراوى : وكان كذلك . أقول : يحتمل أن تكون هذه عمارة جديدة غير التى عمرها عثمان فى مسجد الرسول ﷺ كما ذكر ذلك السمهودى ، ولكن النفس لا تطمئن إلى تلك الإجابة ، لأنه لو كان عثمان ـ رضى الله عنه ـ زاد فى المسجد زيادة جديدة فى آخر سنة من خلافته لذكر ذلك الرواة وأشاروا إليه ولكن ذلك لم يحدث ، وأن زيادته كانت مرة واحدة وهى التى ابتدئت سنة تسع وعشرين ، وحينئذ تكون الإجابة عن تلك الرواية كما يأتى :

أقول : إن الرواية التى استدل بها على أن التوسعة كانت فى آخر سنة من خلافة عثمان ليست قاطعة بذلك بل تحتمله وتحتمل غيره ، وذلك لأن قول كعب الأحبار : (فإنه إذا فرغ من بنيانه قتل عثمان) ليس قاطعا فى أنه يقتل فور الانتهاء ، بل هو قاطع فى أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ لا يقتل قبل الانتهاء من بنيان المسجد ،

---

(١) المرجع السابق ص ٥٠٣ .

(٢ ، ٣) المرجع السابق ص ٥٠٥ .

وعلى هذا فإنه لو قتل بعد الانتهاء منه بأربع سنين أو بأكثر أو أقل يكون قد قتل بعد الانتهاء والفراغ من بنيان المسجد ، فلا تضارب إذن بين هذه الرواية والروايات السابقة وإذا تحقق هذا فإنا نستطيع أن نجزم بأن توسعة عثمان ـ رضى الله عنه ـ كانت بين سنتى تسع وعشرين وثلاثين من الهجرة الشريفة . والله تعالى أعلم .

عثمان يشاور الناس في توسيع المسجد

لما شكا الناس إلى عثمان ـ رضى الله عنه ـ ضيق المسجد ، وطلبوا منه أن يزيد فيه لم يرد أن يفعل شيئا دون أن يستشير أهل الرأى من الصحابة ، فعرض عليهم الأمر وطلب منهم المشورة ، فوافقوا على هدم المسجد وزيادته توسيعا على المسلمين ، ولما تأكد من موافقة أهل الرأى وتأييدهم له عرض الأمر على عامة الناس بعد أن صلى الظهر ، وفى هذا يروى ابن النجار فيقول : (فشاور فيه عثمان أهل الرأى من أصحاب الرسول ﷺ فاجتمعوا على أن يهدمه ويزيد فيه ، فصلى الظهر بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : إنى قد أردت أن أهدم مسجد رسول الله ﷺ وأزيد فيه ، وأشهد أننى لسمعت رسول الله ﷺ يقول : **(من بنى مسجدا بنى الله تعالى له بيتا فى الجنة)** وقدر أن لى فيه سلفا ، والإمام عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ زاد فيه وبناه ، وقد شاورت أهل الرأى من أصحاب رسول الله ﷺ على هدمه وبنائه وتوسعته فحسن الناس ذلك ودعوا له)[1] .

وتحمل إلينا بعض الروايات أن مروان بن الحكم قد عارض مشاورة عثمان الناس فى أمر هدم المسجد وبنائه ، وأسر إلى عثمان ـ رضى الله عنه ـ ألا يشاور فى ذلك لأنه لم يفعل إلا خيرا ، ولكن عثمان رفض رأيه وأصر على مشاورة الناس ، روى يحيى عن أفلح بن حميد عن أبيه قال : (لما أراد عثمان أن يكلم الناس على المنبر ويشاورهم قال له مروان بن الحكم : فداك أبي وأمى ، هذا أمر خير ، لو فعلته ولم تذكر لهم ، فقال : ويحك . إنى أكره أن يروا أنى أستبد عليهم بالأمور ، قال

(١) أخبار مدينة الرسول ص ٩٧ .

مروان : فهل رأيت عمر حيث بناه وزاد فيه ذكر ذلك ؟ قال : اسكت ، إن عمر اشتد عليهم فخافوه حتى لو أدخلهم فى جحر ضب دخلوا ، وإنى لنت لهم حتى أصبحت أخشاهم ، قال مروان بن الحكم : فداك أبى وأمي لا يسمع هذا منك فيُجترأ عليك)[٢] .

وهكذا تمت الشورى وأخذ الخليفة الموافقة على هدم المسجد وإعادة بنائه وتوسعته وتحسينه .

بدء العمل في المسجد

فى شهر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين من الهجرة النبوية على ما حققناه سابقا بدأ عثمان ـ رضى الله عنه ـ العمل فى مسجد رسول الله ﷺ ، فأصبح فدعا العمال ، وباشر ذلك بنفسه[١] .

ولازم ـ رضى الله عنه ـ المسجد فكان لا يخرج منه ، وأمر بالقَصَّة المنخولة تعمل ببطن نخل[٢] .

وكان يقوم على رجليه يباشر العمل والعمال يعملون فيه ، يقول عبد الرحمن بن سفينة : (رأيت القصة تحمل إلى عثمان وهو يبنى مسجد رسول الله ﷺ من بطن نخل ، رأيته يقوم على رجليه والعمال يعملون فيه حتى تأتى الصلاة فيصلى بهم ، وربما نام ثم رجع ، وربما نام فى المسجد)[٣] .

وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة وعسب النخل والجريد ، وبيضه بالقصة ، وجعل عمده من الحجارة المنقوشة وبداخلها أعمدة الحديد ، وسقفه بالساج ، وجعل فيه طيقانا مما يلى المشرق والمغرب .

روى البغوى فى شرح السنة (وكان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مبنيا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر ، وبناه على بنيانه فى عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشبا ، ثم غيره عثمان ، فزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٥٠٤ .

(٢ ، ٣ ، ٤) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٥٠٢ ، ٥٠٤ .

والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج)[1] .

ويقول ابن النجار وهو يصف المسجد كما بناه عثمان ـ رضى الله عنه ـ : (وجعل أعمدة المسجد حجارة منقوشة فيها أعمدة الحديد ، وفيها الرصاص ، وسقفه بالساج ثم يقول : وقدر زيد بن ثابت أساطينه فجعلها على قدر النخل ، وجعل فيه طاقات مما يلى المشرق والمغرب)[2] .

وأقر ـ رضى الله عنه ـ أبوابه على ما كانت عليه فى عهد عمر من حيث العدد والأمكنة فلم يزد عليها شيئا .

وإننا لنرى من هذه النصوص أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ لم يجدد المسجد على هيئته الأولى ، بل أحدث فيه تغيرات كثيرة ، فبدل اللبن بالحجارة المنقوشة ، واستبدل أعمدة الحجارة المحشوة بالحديد والرصاص بجذوع النخل ، كما استبدل الساج بالجريد والخصف ، تغيرت إذن الهيئة التى ألفها المسلمون فى مسجد نبيهم ، فماذا كان موقفهم ؟

إعتراض المسلمين على هذا التغيير

لقد أحدث هذا التغيير ردود فعل كثيرة فى نفوس المسلمين ، كما أثار نقاشا وجدلا شديدين ، إن هيئة المسجد قد اختلفت عليهم ، فلم يعودوا يرونه على ما كان عليه أيام رسول الله ﷺ وخليفتيه من بعده .

روى مسلم فى صحيحه عن محمود بن لبيد ـ رضى الله عنه ـ (أن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ أراد بناء المسجد ، فكره الناس ذلك ، فأحبوا أن يدعه على هيئته فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من بنى مسجدا لله بنى الله له بيتا فى الجنة)[3] .

وفى البخارى عن عبيد الله الخولانى (أنه سمع عثمان بن عفان يقول عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ﷺ ؛ إنكم أكثرتم ، وإنى سمعت النبي ﷺ

---

(١) شرح السنة للبغوى الجزء الثانى ص ٣٤٩ .

(٢) أخبار مدينة الرسول ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٣) مختصر صحيح مسلم الجزء الأول ص ٧١ .

يقول : (من بنى مسجدا ـ قال بكير : حسبت أنه قال : ـ يبتغى به وجه الله ـ بنى الله له مثله فى الجنة)[1] .

وهذان النصان صريحان فى أن المسلمين أنكروا على عثمان ، وكرهوا أن يبنى المسجد على هذا النمط الجديد ، ولا يجوز أن يكون النكير والكراهية لمجرد بناء المسجد ، ذلك لأنهم هم الذين شكوا إليه ضيق المسجد وطلبوا منه أن يوسعه ، ولأنهم أيضا هم الذين استحسنوا منه فكرة الهدم والبناء حين عرض عليهم الأمر ووافقوا عليه ، فما كان لهم بعد ذلك أن ينكروا البناء أو يكرهوا التجديد ، فالنكير والكراهية إذن إنما كانا لما أحدثه من تغيير هيئة المسجد وبنائه على الشكل الذى ذكر فى الأحاديث الصحيحة ، ولهذا قال البغوى بعدما ذكر الحديث الذى فيه أن عثمان بناه بالحجارة وجعل عمده الحجارة المنقوشة وسقفه بالساج قال : (ولعل الذى كره منه الصحابة هذا)[2] .

ونقل ابن حجر عن ابن بطال ـ رحمهما الله ـ قوله : (هذا يدل على أن السنة فى بنيان المسجد القصد ، وترك الغلو فى تحسينه ، فقد كان عمر مع كثرة الفتوح فى أيامه وسعة المال عنده لم يغير المسجد عما كان عليه ، وإنما احتاج إلى تجديده لأن جريد النخل كان قد نخر فى أيامه ، ثم كان عثمان والمال فى زمانه أكثر فحسنه بما لا يقتضى الزخرفة ومع ذلك فقد أنكر بعض الصحابة عليه)[3] .

يتضح من هذا ما قررته من أن نكران الصحابة وكراهيتهم لم تكن إلا لما أحدثه عثمان ـ رضى الله عنه ـ من تغيير فى هيئة المسجد ، فماذا كان موقف عثمان من هذه المعارضة ؟ .

موقف عثمان من المعارضة

إن عثمان ـ رضى الله عنه ـ قد تلقى هذه المعارضة بصدر رحب ، وقلب سليم ، وأوضح للمعارضين وجهة نظره ، وبين أنه لم يفعل ذلك إلا طلبا للأجر ، ورجاء المثوبة ، والذى دفعه إلى هذا قول النبى ﷺ : (من بنى مسجدا لله بنى الله له مثله فى الجنة) .

---

(١) فتح البارى الجزء الأول ص ٥٤٤ .
(٢) شرح السنة للبغوى الجزء الثانى ص ٣٤٩ .
(٣) فتح البارى الجزء الأول ص ٥٤٠ .

فقد أراد ـ رضى الله عنه ـ أن يحسن فى المسجد على قدر الدنيا ، ليحسن الله له بيته فى الجنة على قدر الآخرة ، فهو إذن متأول ، وهو معذور ، فلا داعى للكلام والنقد ولا معنى للمعارضة قبل التأكد من الدوافع التى دعت إلى الفعل ، ولهذا لما أكثر المسلمون الكلام رد عليهم بقوله : (إنكم أكثرتم وإنى سمعت النبى ﷺ يقول : من بنى مسجدا . . . . الحديث) .

مساحة الزيادة في عهد عثمان

لقد زاد عثمان فى المسجد من جهاته الثلاث ـ الجنوب والشمال والغرب ـ قال ابن النجار : (وزاد من القبلة ـ الجنوب ـ إلى موضع الجدار اليوم ، وزاد فيه من الغرب اسطوانا بعد المربعة ، وزاد فيه من الشام ـ الشمال ـ ٥٠ ذراعا)[١] .

وعن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبيه قال : (زاد عثمان فى المسجد قبل أن يقتل بأربعة أعوام ، فزاد من القبلة ، فوضع جداره على حد المقصورة اليوم ، وزاد فيه من الغرب اسطوانا بعد المربعة ، وزاد فيه من الشام خمسين ذراعا ، ولم يزد من الشرق شيئا)[٢] .

ويقول الشيخ عبد القدوس الأنصارى : (زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ـ ٤٩٦ مترا مربعا)[٣] .

ثم يقول الأستاذ على حافظ : (زاد فيه عثمان بن عفان فى جهة القبلة قدر اسطوانة وفى جهة الغرب قدر اسطوانة أيضا ، وفى جهة الشمال نحو عشرة اذرع ، ووهم من قال إنه زاد فى الشمال خمسين ذراعا . . . ثم قال : وقدر مكتب توسعة المسجد النبوى السعودية زيادة عثمان بـ ٤٩٦ مترا مربعا)[٤] .

وفى رواية ليحيى عن عبدالله بن عطية بن عبدالله بن أنيس قال : (بنى عثمان المسجد بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده حجارة منقوشة ، وبها عمد الحديد فيها الرصاص ، وسقفه ساجا ، وجعل طوله ستين ومائة ذراع ، وعرضه

---

(١) أخبار مدينة الرسول ص ٩٧ .
(٢) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٥٠٥ .
(٣) آثار المدينة المنورة ص ١١٠ .
(٤) فصول من تاريخ المدينة ص ٦٩ .

خمسين ومائة ذراع)[1] .

وباستعراض هذه النصوص ـ باستثناء النص الأخير ، ـ نلاحظ أنها كلها متفقة على الزيادة فى جهتى الجنوب والغرب ، كما اتفق على أنه ـ رضى الله عنه ـ لم يزد شيئا فى جهة الشرق ، فهم متفقون على أن زيادته ـ رضى الله عنه ـ فى الجنوب كانت إلى الجدار الذى به القبلة التى يصلى فيها الإمام اليوم ، كما اتفقوا على أن زيادته من جهة الغرب بقدر اسطوانة وعلى أنه لم يزد شيئا من جهة الشرق .

فإذا كانت الزيادة فى جهة الجنوب بقدر اسطوانة فإن ذلك يعنى أنها تقدر بعشرة أذرع ـ حيث إن بين كل اسطوانتين خمسة امتار وهذه بالذراع عشرة أذرع ـ وإذا كانت الزيادة من جهة الغرب بقدر اسطوانة أيضا فإنها تقدر بعشرة أذرع كما قدرنا ـ أى خمسة امتار ـ (وعلى هذا تكون مساحة الزيادة من جهة الجنوب = ٦٠ مترا عرض المسجد فى عهد عمر رضى الله عنه فى خمسة أمتار زيادة عثمان تكون النتيجة ٦٠ × ٥ = ٣٠٠ م٢ وتكون الزيادة من جهة الغرب = ٧٠ مترا طول المسجد × ٥ أمتار زيادة عثمان تكون النتيجة ٧٠ × ٥ = ٣٥٠ م٢ وبجمع مساحة الجهتين تكون النتيجة هى ٣٠٠ + ٣٥٠ = ٦٥٠ م٢ ونحن نلاحظ أن هذه المساحة فى الجهتين تزيد ١٥٤ م٢ عن الزيادة التى ذكرها الأستاذان الأنصارى وحافظ نقلا عن تقدير المكتب الفنى للتوسعة السعودية فى الجهات الثلاث) .

هذا حسب الذرعة التى قالوا بها فى عهد عمر رضى الله عنه .

وأما من جهة الشمال فإننا نرى الخلاف كبيرا والبون شاسعا فبعضهم يرى أن الزيادة فى هذه الجهة خمسون ذراعا ، وبعضهم يراها عشرة أذرع ويضعف الرواية السابقة ، ويراها الآخرون عشرين ذراعا حيث ذكروا أن طول المسجد أصبح بعد الزيادة مائة وستين ذراعا بعد أن كان فى عهد عمر مائة وأربعين ذراعا .

فأما القائلون بأن الزيادة فى الشمال خمسون ذراعا فقولهم مردود لأنه حينئذ يكون طول المسجد مائة وتسعين ذراعا ويترتب على ذلك أمران :

الأول : أن تكون مساحة الزيادة فى عهده من جهة الشمال أكبر من مساحة عمر ولم يقل بذلك أحد .

الثانى : أن تكون مساحة الزيادة فى هذه الجهة تساوى ٦٠ عرض المسجد × ٢٥ زيادة عثمان فتكون النتيجة ٦٠ × ٢٥ = ١٥٠٠ م٢ وهذه المساحة ثلاثة أمثال ما

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٥٠٧ .

زاده عثمان فى المسجد كله من جهاته الثلاث تقريبا وعلى هذا يكون هـذا القول مردودا كما قدمنا وأما من قال إنها عشرون ذراعا فقوله مردود أيضا ، وذلك لأنها ستقدر حينئذ بستمائة متر مربع وهى أيضا أكبر بكثير من المساحة التى زادها عثمان ـ رضى الله عنه فى المسجد من جهاته الثلاث .

وعلى هذا يكون قول القائلين بأنها عشرة أذرع هو أقرب الأقوال إلى الصواب وإن لم يكن عين الصواب .

ولكى نوفق بين تقدير المكتب الفنى للتوسعة السعودية وبين أقرب الأقوال إلى الصواب نقول : سبق فى زيادة عمر ـ رضى الله عنه ـ أننا حققنا أن طول المسجد بلغ ٧٩ مترا ، وأن عرضه ٦٣ مترا ، ولجأنا إلى ذلك لنوفق بين مساحة الزيادة التى قدرها المكتب الفنى للتوسعة السعودية ، وبين واقع المساحة الموجودة فعلا وحيث ثبت ذلك فإن زيادة عثمان تكون أولا : من جهة الجنوب متران فى عرض المسجد ٦٣ مترا = ٦٣ × ٢ = ١٢٦ م٢

وثانيا : تكون مساحة الزيادة من جهة الشمال ثلاثـة أمتار ونصف فى ٦٣ عرض المسجد = ٦٣ × ٣,٥ = ٢٢٠,٥ م٢ .

وثالثا : تكون مساحة الزيادة من جهة الغرب مترين فى ٨٤,٥ طول المسجد وذلك بعد ملاحظة زيادة مترين فى الجنوب وثلاثة ونصف فى الشمال = ٨٤,٥ × ٢ = ١٦٩ م٢ ويكون مجموع مساحة الزيادة فى الجهات الثلاث = ١٢٦ + ٢٢٠,٥ + ١٦٩ = ٥١٥,٥ م٢ ويلاحظ أن هذه المساحة لا تزيد عن المسـاحة التى قـدرها المكتب الفنى سوى ١٩,٥ م٢ وهى زيادة طفيفة بالنسبة لمجموع الزيادة .

وتكون مساحة المسجد بعد هذه الزيادة هى ٦٥ مترا عرض المسجد فى ٨٤,٥ مترا طول المسجد = ٥٤٩٢,٥ م٢ .

وباعتبار الذراع نصف متر يكون طول المسجد ١٦٩ ذراعا ،وعرضه ١٣٠ ذراعا وهذه الذرعة أقرب للذرعة التى ارتضاها السمهـودى بعد تحقيق الـروايات حيث يقول : (على أن الأقرب أن طوله فى زمن عثمان ـ رضى الله عنه كان ستين ومائة ذراع ، لما سيأتى فى الزيادة بعده ، ثم يقول : وأن عرض المسجد فى زمنه نحو مائة وثلاثين ذراعا والله أعلم)[1] .

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨ .

الدور التي ادخلها عثمان في المسجد

اقتضت هذه الزيادة أن يشترى عثمان رضى الله عنه أجزاء من الدور التى كانت محيطة بالمسجد ليوسعه بها ، ومن الدور التى اشتراها أو اشترى بعضها ما يأتى :

١ ـ دار حفصة بنت عمر بن الخطاب فى الجنوب .

٢ ـ جزء من دار مروان بن الحكم التى هى جزء من دار العباس بن عبد المطلب .

٣ ـ جزء من دار جعفر بن أبى طالب .

ففى رواية عقبة عن عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه (أن عمر قدم جدار القبلة إلى المقصورة ، ثم قدمه عثمان إلى موضعه اليوم ، وأدخل بقية دار العباس بن عبد المطلب مما يلى القبلة والشام والمغرب ، وأدخل بعض بيوت حفصة بنت عمر مما يلى القبلة ، فقام المسجد على تلك الحال حتى زاد فيه الوليد)[١] .

فأما دار حفصة فقد روى ابن زبالة عن عبد الله بن عمر بن حفص ، قال : سمعت أبي يقول : (لما احتيج إلى بيت حفصة قالت : فكيف بطريقى إلى المسجد ؟ فقال لها : نعطيك أوسع من بيتك ، ونجعل لك طريقا مثل طريقك)[٢] .

وأما دار مروان بن الحكم فيقول ابن النجار : (واشترى من مروان بن الحكم داره ، وكان بعضها لآل النجار ، وبعضها دار العباس ، لها باب إلى المسجد)[٣] .

وأما دار جعفر بن أبي طالب فقد روى عن أبى الحسن المدائنى أنه قال فى حديث ساقه : (أن النبي ﷺ خط لجعفر بن أبى طالب دارا وهو بأرض الحبشة ، فاشترى عثمان نصفها بمائة ألف فزادها فى المسجد)[٤] .

وقد سبق فى زيادة عمر ـ رضى الله عنه ـ أنه أخذ دار العباس كما اشترى نصف دار جعفر بن أبى طالب مما قد يحدث لبسا وخلطا على القارىء ولتحقيق ذلك أقول :ـ إننا قد أثبتنا أن عمر رضى الله عنه لم يأخذ دار العباس كلها ، بل أخذ الجزء الذى

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٥٠٨ .

(٢) المرجع والصفحة السابقان .

(٣) أخبار مدينة الرسول ص ٩٨ .

(٤) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٥٠٨ .

احتاج إليه منها وترك الباقى ، فاشتراه مروان فلما كان فى زيادة عثمان اشترى الجزء الباقى منها وأدخله فى المسجد .

وبالنسبة لدار جعفر فإن عمر رضى الله عنه اشترى نصفها بمائة ألف ، وهنا يكون عثمان رضى الله عنه قد اشترى النصف الثانى بالسعر نفسه وادخله فى المسجد ، وبهذا يزول اللبس ويتضح الأمر .

اتخاذ المقصورة

المقصورة بناء مثل الغرفة ، تبنى فى المحل الذى يصلى فيه الإمام بالناس ـ أى مكان المحراب ـ ولم يكن ذلك معروفا فى عهد رسول الله ﷺ ولا فى عهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ثم أحدثت بعد ذلك واختلفت الروايات فى أول من اتخذها .

فابن زبالة وابن شبة يريان أن أول من اتخذها عثمان رضى الله عنه وأنه بناها باللبن وجعل فيها كوى ـ أى طاقات ـ ينظر الناس منها إلى الإمام[1] .

وفى رواية عيسى بن محمد (أن عثمان بن عفان رضى الله عنه أول من وضع المقصورة من لبن ، واستعمل عليها السائب بن خباب ، وكان رزقه دينارين فى كل شهر)[2] .

وعن مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ قال : (لما استخلف عثمان بعد مقتل عمر بن الخطاب عمل عثمان مقصورة من لبن فقام يصلى فيها بالناس خوفا من الذى أصاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت صغيرة)[3] .

وهذه الروايات مجتمعة تبين لنا من أى شىء صنعت المقصورة فى عهد عثمان ؟ وكيف كان بناؤها وحجمها ؟ وأنه اتخذ لها حارسا أجرى عليه رزقا معلوما ، ثم توضح السبب الذى من أجله اتخذ عثمان رضى الله عنه المقصورة .

يقول ابن النجار : (وبنى المقصورة بلبن ، وجعل فيها كوة ينظر الناس منها إلى الإمام ، وكان يصلى فيها خوفا من الذى أصاب عمر ، وكانت صغيرة)[4] .

ويزيد لنا العباسى شيئا جديدا فى نوع البناء فهو يرى أن اللبن الذى بنى به عثمان المقصورة كان مطبوخا أى محروقا[5] .

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٥١٠ .
(٢) المصدر السابق ص ٥١١ .
(٣) المصدر والصفحة السابقان .
(٤) أخبار مدينة الرسول ص ٩٧ .
(٥) عمدة الأخبار ص ١٠٧ .

ويرى ابن زبالة وابن شبة أن عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه أول من اتخذ المقصورة وبناها بالساج حين بنى المسجد[1] .

وأما يحيى بن الحسن فإنه يروى فى زيادة الوليد أن أول من أحدث المقصورة فى المسجد مروان بن الحكم ، بناها بالحجارة المنقوشة ، وجعل لها كوى ، ثم يذكر السبب الذى من أجله اتخذ المقصورة فيقول : (وكان بعث ساعيا إلى تهامة ، فظلم رجلا يقال له : دب ، فجاء دب إلى مروان فقال ، حيث يريد أن يقوم مروان ، حتى إذا أراد أن يكبر ضربه بسكين فلم يصنع شيئا ، فأخذه مروان فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : بعثت عاملا فأخذ ذودى بمرة ، وتركنى وعيالى لا نجد شيئا ، فقلت : أذهب إلى الذى بعثك فأقتله ، فهو أصل هذا ، فجاء ما ترى ، فحبسه مروان حينا فى السجن ، ثم أمر به فاغتيل سرا)[2] .

ويروى ابن شبة هذه الرواية السابقة إلا أنه يسمى الرجل أحيانا دبا وأحيانا ذبابا .

وفى رواية للسمهودى عن النووى فى شرح مسلم أنه قال : (أول من اتخذ المقصورة فى المسجد معاوية رضى الله عنه حين ضربه الخارجى)[3] .

وهذه الروايات تبدو متضاربة متنافرة ، والمحقق فيها يقف حائرا لا يدرى أيها يثبت وأيها ينفى ، ذلك لأن الروايات كلها صحيحة ، ورواية ابن زبالة ، وإن كان هو ضعيفا ، إلا أنها تعضدت برواية ابن شبة مرة وبرواية يحيى بن الحسن مرة أخرى .

لا سبيل إذن إلا إلى التوفيق بينهما ما أمكن ذلك ، ولا أظنه صعبا ولا عسيرا حيث يمكن القول بأن عثمان رضى الله عنه هو أول من بنى المقصورة باللبن ، وعمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه أول من بناها بالساج ، ومروان بن الحكم أول من بناها بالحجارة المنقوشة ، ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه أول من بناها بعد الاعتداء عليه ، وهكذا تكون الأولية هنا نسبية . . إما من حيث نوعية البناء ، وإما من حيث سبب اتخاذها والله أعلم .

---

(١) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٥١٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٥١١ .

(٣) وفاء الوفا الجزء الثانى ص ٥١٢ .

المسجد في عهد علي كرم الله وجهه

بويع علي رضى الله عنه بالخلافة فى أوائل سنة ست وثلاثين هجرية وكانت فترة عصيبة فى تاريخ المسلمين ، فالفتن متلاحقة ، والرؤوس متناطحة ، والأعناق مشرئبة إلى هذا المنصب الخطير ، وكانت فترة خلافته رضى الله عنه أربع سنوات بدأت بالحرب وانتهت بمقتله رضى الله عنه وفيها انتقل مقر الخلافة إلى الكوفة ـ العراق ـ وكان مقر الخلافة المنافسة دمشق ـ الشام ـ وشغلت الحروب المتوالية الفريقين فلم يلتفت أحدهما إلى المسجد ، ولم يكن قد مضى على تجديده وتوسعته فى عهد عثمان رضى الله عنه سوى أربعة أعوام ، فلم تكن هناك حاجة إلى تجديد المسجد أو توسعته ، وكان المسلمون قد خرجوا من المدينة إلى العواصم الجديدة مما قلل عددهم ، كل هذه العوامل قد صرفت الخلفاء عن توجيه عنايتهم إلى المسجد الشريف ، حتى هدأت الأحوال واستقرت الأمور ، واستتب الأمن لبنى أمية فوجه الوليد بن عبدالملك همته وعنايته إلى المسجد ، فكانت توسعته فى عهده على يد أمير المدينة عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه ـ كما سنوضحه ـ إن شاء الله تعالى ـ فى الرسالة القادمة .

وهكذا نرى أن المسجد لم يحدث فيه أى تغيير فى تلك الفترة من تاريخ المسلمين .

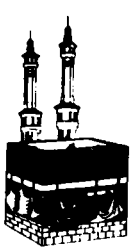

الباب الثالث

الفصل الأول

المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك

ظل المسجد النبوى الشريف على حاله بعد زيادة عثمان بن عفان رضى الله عنه ولم يطرأ عليه تجديد قط منذ أن انتهى عثمان من بنائه سنة ثلاثين من الهجرة الشريفة حتى كان عهد الوليد بن عبدالملك الخليفة الأموى رحمه الله وكان المسجد قد ضاق بالناس ، ولم يعد يتسع للمصلين ، حتى أذن عبدالملك بن مروان للمسلمين أن يصلوا يوم الجمعة فى حجرات زوجات الرسول ﷺ والحجرات وإن لم تكن من المسجد إلا أن أبوابها كانت شارعة ـ أى مفتوحة فى المسجد ـ .[1] .

فلما كان عهد الوليد أراد أن يوسع المسجد حتى يسع المصلين ، فعزم على ذلك وكان قد مضى على عمارة عثمان رضى الله عنه نحو ستين عاما .

أسباب البناء والتوسعة

جاءت فى أسباب بناء الوليد للمسجد النبوى الشريف وتوسعته روايات نذكر منها مايأتى :

١ ـ عن ابن زبالة قال : قدم الوليد بن عبدالملك حاجا ، فبينما هو يخطب الناس على منبر رسول الله ﷺ إذ حانت منه التفاتة فإذا حسن بن حسن بن على بن أبى طالب فى بيت فاطمة رضى الله عنها وفى يده مرآة ينظر فيها .

فلما نزل أرسل إلى عمر بن عبدالعزيز ـ واليه على المدينة ـ فقال : لا أرى هذا قد بقى بعد أن اشترى هذه المواضع ، وأدخل بيت النبى ﷺ فى المسجد ، وأسدده[2] .

---

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥١٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٥١٣ .

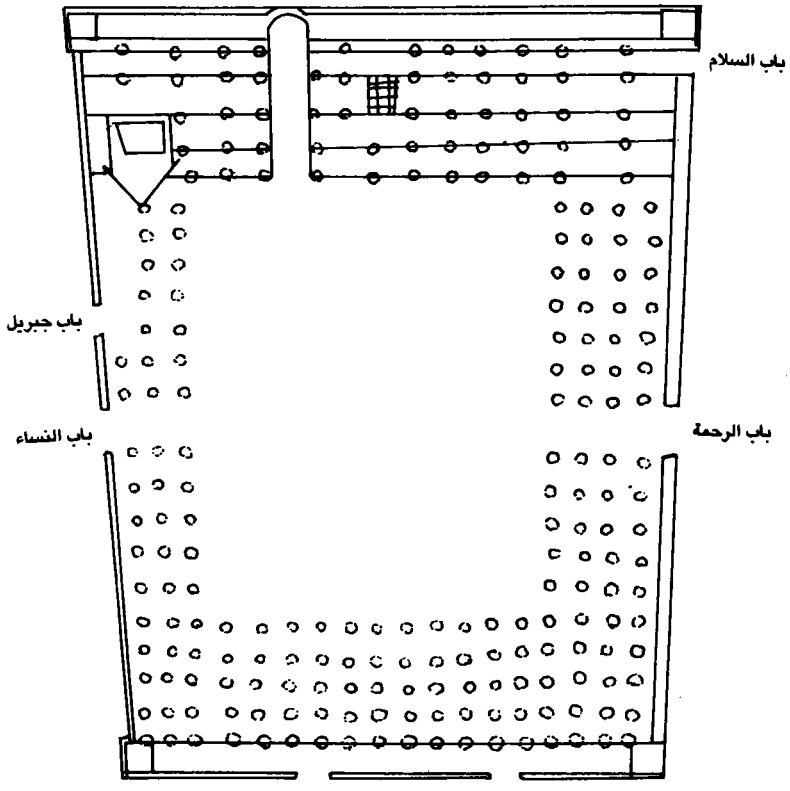

● المسجد النبوي بعد توسعة الوليد وإدخال الحجرات فيه عام ٨٨ ـ ٩١ هـ/ ٧٠٧ ـ ٧١٠ م

٢ ـ وعنه فى رواية أخرى قال : كان الوليد بن عبدالملك يبعث كل عام رجلا الى المدينة يأتيه بأخبار الناس ، وما يحدث بها ، قال : فأتاه فى عام من ذلك ، فسأله ، فقال :

لقد رأيت أمرا لا والله ما لك معه سلطان ، ولا رأيت مثله قط .

قال : وماهو ؟

قال : كنت فى مسجد النبى ﷺ فإذا منزل عليه كلّة ، فلما أقيمت الصلاة رفعت الكلة ، وصلى صاحبه فيه بصلاة الإمام هو ومن معه ، ثم أرخيت الكلة ، وأتى بالغداء فتغدى هو وأصحابه ، فلما أقيمت الصلاة فعل مثل ذلك ، وإذا هو يأخذ المرآة والكحل وأنا أنظر .

فسألت ، فقيل : هذا حسن بن حسن .

قال : ويحك ! فما أصنع ، هو بيته وبيت أمه ، فما الحيلة فى ذلك ؟

قال : تزيد فى المسجد ، وتدخل هذا البيت فيه .

قال : فكتب إلى عمر بن عبدالعزيز يأمره بالزيادة فى المسجد ، ويشترى هذا المنزل .

قال : فعرض عليهم أن يبتاع منهم فأبوا ، وقال حسن : والله لا نأكل له ثمنا أبدا .

قال : وأعطاهم به سبعة آلاف دينار أو ثمانية آلاف فأبوا .

فكتب إلى الوليد بن عبدالملك فى ذلك ، فأمره بهدمه وإدخاله ، وطرح الثمن فى بيت المال ، ففعل ، وانتقلت منه فاطمة بنت حسين بن على إلى موضع دارها بالحرة فابتنتها .[1] .

والذى يظهر عند التحقيق أن الرواية الثانية هى الصحيحة ، لأن الوليد لما زار المدينة بعد حجه كان المسجد قد تم بناؤه ، وكان ذلك فى سنة إحدى وتسعين ، ومعنى ذلك أن حجرات زوجات الرسول ﷺ كانت قد هدمت ، وأدخلت فى بناء المسجد .

ويؤيد ذلك ما روى الطبرى فى أحداث سنة إحدى وتسعين حيث قال : وحج بالناس فى هذه السنة الوليد بن عبدالملك ، ثم قال : فلما دخل المدينة غدا إلى

---

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥١٤ .

المسجد ينظر إلى بنائه[1] .

وكذلك ما روى ابن كثير عن الواقدى وغيره فى أحداث سنة إحدى وتسعين قال : وحج بالناس فى هذه السنة أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك ، قالوا : ثم خطب الوليد على منبر رسول الله ﷺ فجلس فى الخطبة الأولى ، وانتصب فى الثانية[2] .

وهذه الخطبة هى التى رأى فيها حسن بن حسن رضى الله عنهما ينظر فى المرآة وهو يخطب كما زعم صاحب الرواية الأولى .

وعلى كل حال فإننا لا نستطيع أن نفهم من ذلك إلا أن الدافع إلى بناء المسجد وتوسعته كان دافعا سياسيا ، لأن الوليد رأى حسبما جاء فى الرواية الأولى - إن صحت - أن هناك من يلوذ بالحجرات ، ويتخذ منها مجالا للانتقاص منه ، وعدم المبالاة به ، وفى الرواية الثانية بلغه تجمع أناس حول حسن بن حسن بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهم فخشى أن يكون ذلك بداية حركة تمرد وعصيان على خلافته وسلطانه ، فبادر بهدم الحجرات متذرعا بتوسعة المسجد .

ويدل على صحة ذلك ما بدأ به الذين قاموا على عمارة المسجد من هدم الحجرات قبل هدم المسجد حتى لكأنها هى المقصودة بالذات[3] .

وإذا أضفنا إلى ذلك ما جاء فى خطاب الوليد إلى عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه يأمره فيه بإدخال حجر أزواج رسول الله ﷺ فى مسجد رسول الله ، وما احتواه الكتاب من اللهجة الشديدة حيث يقول : (فمن أبى منهم فمر أهل المصر فليقدموا له قيمة عدل ، ثم أهدم عليهم ، وادفع إليهم الأثمان)[4] . لعلمنا أن الدوافع السياسية كانت أقوى الدوافع إلى هدم المسجد وإدخال الحجرات ضمن بنائه .

على أن هناك أمرا آخر يعطى دافعا جديدا إلى بناء المسجد وتشييده ، وذلكم هو المباهاة والتفاخر ، ويتضح ذلك من الحوار الذى دار بين الوليد بن عبدالملك - رحمه الله - بين أبان بن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - يقول السمهودى عن رواية يحيى : فلما قدم الوليد حاجا جعل يطوف فى المسجد ، وينظر إليه ، ويصيح بعمر :

---

(١) تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ٤٦٥ .
(٢) البداية والنهاية جـ ٩ ص ٨٢ .
(٣) تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ٤٣٥ .
(٤) تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ٤٣٥ .

هاهنا ، ومعه أبان بن عثمان ، فلما استنفد الوليد النظر إلى المسجد التفت إلى أبان وقال : أين بناؤنا من بنائكم ؟

قال أبان : إنا بنيناه بناء المساجد ، وبنيتموه بناء الكنائس[1] .

على أن هذا الدافع مهما كان قويا ، ونابعا من تطلعات النفس البشرية التى تحب دائما أن ينسب إليها كل عمل عظيم ، إلا أنه لم يبلغ من نفس الوليد مبلغ الدافع السياسى الذى قدمته ، بل لعله جاء متأخرا عنه حتى تم البناء ، وأصبح مجالا للمباهاة والتفاخر ، وعلى هذا فلا يصلح لأن يكون دافعا لهدم المسجد وبنائه .

تاريخ العمل في المسجد

هناك روايات عن بدء العمل فى المسجد النبوى الشريف فى عهد الوليد بن عبدالملك وهذه الروايات تبدو فى ظاهرها متضاربة ، وغير مستقيمة ، والعجيب فى الأمر أنها عن رجل واحد وهو مؤرخ المدينة الأول ـ ابن زبالة ـ يقول فى الرواية الأولى : (وهدمه عمر بن عبدالعزيز سنة إحدى وتسعين ، وبناه بالحجارة المنقوشة . . الخ)[2] .

وفى الرواية الثانية يقول ابن زبالة نفسه : (وابتدأ عمر بن عبدالعزيز بناء المسجد سنة ثمان وثمانين وفرغ سنة إحدى وتسعين ، وفيها حج الوليد)[3] .

وكأن السمهودى يرجح الرواية الأولى ، حيث حاول التوفيق بينها وبين الرواية الثانية بقوله : (ولا ينافى ذلك ما تقدم من أن عمر هدم المسجد فى سنة إحدى وتسعين ، لجواز أن يكون ولايته لذلك سنة ثمان وثمانين ، واستمر فى تحصيل الأهبة ، وشراء الأماكن ، وتخمير النورة إلى سنة إحدى وتسعين)[4] .

ولكن الطبرى يؤكد أن العمل فى المسجد بدأ سنة ثمان وثمانين ، حيث يذكر الشهر الذى بدىء فيه بهدم المسجد ، فيقول عن صالح بن كيسان الذى تولى الهدم

---

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٢٣ .
(٢) المصدر نفسه ص ٥١٩ .
(٣) وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٥٢٣ .
(٤) المصدر نفسه ص ٥٢٢ .

بنفسه : (ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله ﷺ فى صفر من سنة ثمان وثمانين)[٦] .

ويقول الطبرى فى أحداث سنة ثمان وثمانين : وفى هذه السنة ابتدأ عمر بن عبدالعزيز فى بناء المسجد[١] .

وعلى هذا فإننا نستطيع أن نؤكد بأن بدء العمل فى المسجد كان سنة ثمان وثمانين ، وأن نهايته كانت سنة إحدى وتسعين ، أى أن العمل قد استمر ثلاث سنوات[٢] .

وتكون الرواية التى نصت على أن بدء العمل كان سنة إحدى وتسعين مرفوضة ، لأننا لو أخذنا بها لكانت نهاية العمل بالمسجد سنة ثلاث وتسعين أن تكون فى السنة التى عزل فيها عمر بن عبدالعزيز عن ولاية المدينة ، وذلك غير صحيح لأن عمر هو الذى استقبل الوليد وطاف معه فى المسجد ، وظل يعمل بعد ذلك واليا على المدينة ، وبالتالى تكون محاولة التوفيق التى حاولها السمهودى غير صحيحة ، لأنها لو صحت لترتب عليها ما سبق ، ولكانت مدة العمل فى المسجد ست سنوات حيث بدأ الاستعداد لذلك سنة ثمان وثمانين وانتهى فى سنة ثلاث وتسعين ولم يقل بذلك أحد من المؤرخين .

الدور التي وسع بها المسجد

لما أمر الوليد عمر بن عبدالعزيز بهدم المسجد وبنائه أمره بشراء ما حوله من الدور من المشرق والمغرب والشمال ، فأما الدور التى كانت فى المشرق فهى حجرات أزواج النبى ﷺ وبيت السيدة فاطمة بنت رسول الله ـ رضى الله عنها ـ ودار عبدالله بن مسعود المعروفة بدار القراء ، وأبيات لهاشم بن عتبة بن أبى وقاص ، وأما الدور التى كانت فى شمال المسجد فهى بعض حجر أزواج النبى ﷺ وأما التى فى الغرب فدار طلحة بن عبيدالله ، ودار عمار بن ياسر ودار لأبى سبرة بن أبى رهم ودار لمروان بن الحكم ، ودار لمخارق مولى العباس بن عبدالمطلب .

فأما حجرات أزواج النبى ﷺ فقد أدخلت فى المسجد من غير شراء لأن ذلك فى

---

(١) تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ٤٣٦ .

(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٢٢ .

مصلحة المسلمين يقول ابن حجر نقلا عن الطبرى : (ولهذا زيدت بيوتهن فى المسجد النبوى بعد موتهن لعموم نفعه للمسلمين ، كما فعل فيما كان يصرف لهن من النفقات)[1] .

وأما بيت السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهو الذى كان يسكنه حسن بن حسن بن على وفاطمة بنت حسين بن على فقد ساومهم عمر بن عبدالعزيز على شرائه منهم فأبوا ، وقال حسن : والله لا نأكل له ثمنا أبدا .

وعرض عليهم عمر سبعة آلاف أو ثمانية آلاف دينار ، فأبوا ، ولم تطب أنفسهم ببيعه ، فكتب إلى الوليد يخبره بذلك ، فأمره الوليد بهدمه وإدخاله فى المسجد ، وطرح ثمنه فى بيت المال[2] .

وأما بقية الدور فقد قبل أصحابها الثمن[3] ، واشتراها منهم عمر بن عبدالعزيز ليدخلها فى المسجد وقد ذكر ابن سعد رواية حكاها عنه السمهودى تفيد بأن معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنه ـ كان قد اشترى بعض حجر أزواج النبى ﷺ فقال : أوصت سودة ببيتها لعائشة ـ رضى الله عنها ـ وباع أولياء صفية بنت حيى بيتها من معاوية بمائة ألف وثمانين ألف درهم ، واشترى معاوية من عائشة منزلها بمائة ألف وثمانين ألف درهم ، وقيل : بمائتى ألف ، وشرط لها سكناها حياتها ، وحمل إليها المال ، فما قامت من مجلسها حتى قسمته[4] .

وهذه الرواية تدل على أن الخليفة الأموى معاوية رضى الله عنه قد اشتراها ، ولم تدخل فى المسجد تحقيقا للمنفعة العامة كما روى الطبرى ، ولكنها أدخلت بعد شرائها ، ولعل هذه الرواية أصح من سالفتها لأن ما دار بين عمر بن عبدالعزيز وبين عبيد الله بن عبدالله بن عمر بشأن بيت حفصة ـ رضى الله عنها ـ يؤيدها ، ويعضد ذلك أيضا ما روى عن رجاءبن حَيْوة قال : كتب الوليد بن عبدالملك إلى عمر بن عبدالعزيز ، وكان قد اشترى حجر أزواج النبى ﷺ أن اهدمها ، ووسع بها المسجد ، فقعد عمر فى ناحية ، ثم أمر بهدمها ، فما رأيت باكيا أكثر من يومه ، ثم بناها كما أراد[5] .

---

(١) فتح البارى شرح البخارى جـ ٦ ص ٢١١ .
(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥١٤ .
(٣) تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ٤٣٥ .
(٤) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤٦٤ .
(٥) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٤٧ .

واما بيت حفصة بنت عمر ـ رضى الله عنها ـ وهى إحدى أزواج النبى ﷺ فقد كانت فى الجنوب ـ أى فى جهة القبلة ، وكان بينه وبين بيت السيدة عائشة رضى الله عنها طريق ضيقة حتى إنهما كانتا تتهاديان الكلام وهما فى بيتيهما لقرب المسافة بين البيتين .

فلما كتب الوليد إلى عمر يأمره بهدم المسجد والزيادة فيه ، دعا رجالا من آل عمر ، وقال لهم : إن أمير المؤمنين قد أمرنى أن أبتاع هذا المنزل ، وأدخله فى المسجد .

قالوا : ما نبيعه بشىء .
قال : إذاً أدخله فى المسجد .
قالوا : أنت وذاك ، فأما طريقنا فإنا لا نقطعها .

وفى رواية قال عبيدالله بن عبدالله بن عمر : لست أبيع هذا ، هو من حق حفصة ، وقد كان النبى ﷺ يسكنها .
فقال عمر : ما أنا بتارككم أو أدخلها فى المسجد .

فلما كثر الكلام بينهما قال له عمر : أجعل لكم فى المسجد بابا تدخلون منه ، وأعطيكم دار الرفيق مكان هذا الطريق ، وما بقى من الدار فهو لكم ، ففعلوا[1] .
ولعل قائلا يقول : إن بيت السيدة حفصة رضى الله عنها كان فى قبلة المسجد كما قدمنا وتوسعة الوليد كانت فى الشرق والغرب والشمال وليس فى الجنوب ـ أى قبلة المسجد ـ منها شىء ، فكيف أدخل دار حفصة وهى فى الجنوب ؟

أقول : إن الوليد لما أمر بتوسعة المسجد من الشرق وأدخل الحجرات فى المسجد تجاوزت التوسعة من هذه الجهة بيت السيدة حفصة ، حيث كانت فى مقابل بيت السيدة عائشة كما قدمنا ، ولما كان جدار المسجد الجنوبى الذى هو توسعة سيدنا عثمان رضى الله عنه قد تجاوز كذلك بيت السيدة حفصة إلى الجنوب ، فإن بيت السيدة حفصة يكون معترضا فى التوسعتين ، فكان لابد أن يدخل جزء منه فى المسجد ، وهو الجزء الذى يلتقى فيه الجدار الشرقى بالجدار الجنوبى ، حتى يأخذ المسجد شكله المناسب .

---

(١) المصدر السابق ص ٦١٥ ، ٥١٦ .

ولهذا فإن عمر عرض على آل عمر شراء البيت ، وقال لهم : وما بقى من الدار فهو لكم ، لأن الدار كلها لن تدخل فى التوسعة ، بل المطلوب منها هو الجزء الذى يصل الجدارين ببعضهما وتتم به هيئة المسجد والله أعلم .

كيف بني المسجد ؟

عزم الوليد رحمه الله على أن يخرج بناء المسجد فى صورة جيدة ورائعة من حيث التصميم وفخامة البناء ، وإتقان العمل ، وروعة التنفيذ ، وكأن الوليد كان لا يرى فيمن عنده من البنائين والعمال الكفاءة لإخراج العمل كما يريد .

لهذا كتب الوليد إلى قيصر الروم يخبره أنه أمر بهدم مسجد النبى ﷺ ويطلب منه أن يعينه على البناء بالعمال ، وما يلزم للبناء .

ولم يقصر قيصر الروم بل سارع بتلبية طلب الوليد ، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب ومائة عامل ، وأربعين حملا من الفسيفساء ، وأرسلها الوليد إلى عمر بن عبدالعزيز بالمدينة المنورة[1] .

وفى رواية لرزين ، بعث إليه ثلاثين عاملا ، وأربعين من الروم ، ومثلهم من القبط ، وبثمانين ألف مثقال ، وبأحمال من الفسيفساء ، وبأحمال من سلاسل القناديل[2] .

وصلت تلك المعونة إلى المدينة فى الوقت الذى كان عمر بن عبدالعزيز قد انتهى فيه من هدم المسجد فبدأ بالبناء ، فعمل الأساس بالحجارة ، وبنى الجدران بالحجارة المنقوشة المطابقة وقَصَّة[3] . بطن نخل ، وجعل عمده من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، وسقفه بالساج ـ وهو نوع من الخشب صلب ـ وطلاه بماء الذهب ، وزينه بالفسيفساء والمرمر[4] .

وكان القبط وهم العمال المصريون يبنون فى مقدمة المسجد ، وأما الروم وهم

---

(١) تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ٤٣٦ .
(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥١٩ .
(٣) القصة : الجص .
(٤) وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٥١٩ .

العمال من بلاد الشام فكانوا يعملون فى الجانبين والمؤخرة ، وأمر عمر بأن يجعل أسفل الأعمدة بمقدار ما يستر رجلين يصليان .

وقد اعتنى عمر بن عبدالعزيز بتحسين المسجد ، حتى كان يكافىء العامل الذى يتقن عمله ، والذى يصنع الشجرة الكبيرة من الفسيفساء ويحسن عملها يعطيه ثلاثين درهما[1] .

كما كان عمر حريصا على تحديد قبلة المسجد ، فإنه لما بدأ فى بناء جدار القبلة دعا شيوخ المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالى ، وقال لهم : تعالوا احضروا بنيان قبلتكم ، ولا تقولوا غَيَّر عمر قبلتنا .

فجعل لا ينزع حجرا إلا وضع مكانه حجرا[2].

وكان من حرص عمر رضى الله عنه أنه كان يتفقد العمل بنفسه ، وكان يراقب العمال وهم يعملون وبخاصة العمال الذين كانوا يعملون الفسيفساء ، وبينما هو يتفقد العمل يوما إذ رأى صورة خنزير عملها أحد العمال الروم على رأس خمس طاقات فى جدار صحن المسجد فى اتجاه القبلة فأمر عمر بضرب عنقه[3] .

ورأى العمال يوما أن المسجد قد خلا ، وليس فيه أحد من المسلمين ، فقال أحدهم فى وقاحة وقلة حياء : ألا أبول على قبر نبيهم ؟ وتهيأ لذلك ، ونهاه أصحابه ، فلم ينته .

فلما هم بفعلته ، اقتلع فألقى على رأسه ، فانتثر دماغه ، فأسلم بعض هؤلاء العمال لما رأوا ما نزل بصاحبهم .

ولما رأى العمال ما أنزله عمر بالعامل الذى توقح ، وما أصاب العامل الذى حاول انتهاك حرمة القبر الشريف ، أخلصوا عملهم ، وأتقنوا ما وكل اليهم ، وأبدعوا فى صناعة الفسيفساء حتى كان المسجد فى أبهى صورة وأجمل منظر ، وقال بعض العمال الذين عملوا الفسيفساء : إنا عملناه على ما وجدنا من صور أشجار الجنة وقصورها[4] .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٢٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥١٩ .

(٤) وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٥١٩ .

وبنى عمر فى المسجد مقصورة ليصلى فيها الإمام ، وأبدع بناءها وجعلها من ساج وزخرف سقفها ، حتى إن الوليد لما رأى سقف المقصورة وهو يتفقد المسجد قال لعمر : ألا عملت السقف كله مثل هذا ، وأجاب عمر ، يا أمير المؤمنين إذاً تعظم النفقة جدا .

قال الوليد : وإن .

قال عمر : أتدرى كم أنفقت على جدار القبلة وما بين السقفين ؟

قال : وكم ؟

قال : خمسة وأربعون ألف دينار .

قال : والله لكأنك أنفقتها من مالك[1] .

وأخذ الوليد يطوف بالمسجد ويتفقد أحواله ، وينظر إلى بنائه حتى وقف أمام القبر الشريف والتفت إلى عمر بن عبدالعزيز وقال : أمعه أبوبكر وعمر ؟

قال عمر : نعم .

قال : فأين أمير المؤمنين عثمان ؟

قال عمر : فالله أعلم إنى لظننت أنه لا يبرح حتى يخرجهما .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الناس كانوا حين قتل عثمان فى فتنة وشغل ، فذاك الذى منعهم من أن يدفنوه معهم ، فسكت[2] .

مساحة المسجد في عهد الوليد

ذكر محمد بن جعفر بن وردان البناء قال : رأيت الرسول الذى بعثه الوليد بن عبدالملك قدم فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ، قدم معتمرا ، فقال الناس : ما قدم به الرسول !

فدخل على عمر بن عبدالعزيز بكتاب الوليد يأمره بإدخال حجرات أزواج رسول الله ﷺ فى مسجد رسول الله ، وأن يشترى ما فى مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتى ذراع فى مائتى ذراع ، ويقول له : قدم القبلة إن قدرت ، وأنت تقدر لمكان أخوالك ، فإنهم لا يخالفونك .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٢٤ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ٤٣٥ .

فمن أبى منهم فمر أهل المصر فليقوِّموا له قيمة عـدل ، ثم اهدم عليهم ، وادفع اليهم الأثمان ، فإن لك فى ذلك سلف صدق عمر وعثمان .

ومن هذا النص نعرف أن الوليد قد أراد أن يكون المسجـد مائتى ذراع فى مثلها ، أى أنه يكون مربع الشكل ، ولكن هل كان المسجد كذلك فى عهد الوليد ؟

إننا لو اعتبرنا هذه المساحة التى ذكرت فى تلك الرواية لكان طول المسجد مائة متر وعرضه كذلك ، ولكن المسجد لم يبلغ عرضه حتى يومنا هذا ذلك الذرع ، بل أقصى ما بلغه هو مائة وسبعة وستون ذراعا ونصف ذراع ؛ أى ما يقرب من أربعة وثمانين مترا ، وذلك من جهة القبلة ، أما من مؤخره فقد كان ذرعه مائة وخمسة وثلاثين ذراعا ، أى ما يقرب من ثمانية وستين مترا .

وهذه الذرعة التى عليها المسجد الآن من جهتيه الجنوبية (القبلة) والشمالية (المؤخرة) هى التى جعلت السمهودى يعلق على ذرعة يحيى عن قدامة بن موسى التى ذكر فيها أن طول المسجد كان مائتى ذراع ، وأن عرضه فى مقدمته مـائتان ، وفى مؤخره ثمانون ومائة .

يقول السمهودى : وما ذكره فى ذرع عرض المسجد غير صحيح ، ثم ذكر رواية عن ابن زبالة ذكر فيها أن عرض المسجد من مقدمه فى زمنه مائة وخمسة وستون ذراعا ، وعرضه من مؤخره مائة وثلاثون ذراعا ـ أى عرضه من جهة القبلة حوالى ثلاثة وثمانين مترا ومن مؤخره حوالى خمسة وستين مترا .

ولكن السمهودى قد حقق ذرعة المسجد من جهتيه الجنوبية والشمالية وقال : وسيأتى أيضا أن الذى حررناه أن عرضه اليوم من مقدمه فى جهة القبلة مائة ذراع وسبعة وستون ذراعا ونصف ذراع ، وأن عرضه من مؤخره فى جهة الشام مائة وخمسة وثلاثون ذراعا ثم قال : ولا شك أن المسجد لم ينقص من عرضه شىء[1] .

ولما كانت زيادة الوليد هى آخر زيادة فى عرض المسجـد ، حيث لم يزد فى عرضه أحد بعده باستثناء ما قيل من أن السلطان قايتباى قد زاد فى المسجد من جهته الشرقية الجزء الذى يقع بين جدار الحجرة الشريفة الشرقى وجدار المسجد الشرقى الذى فيه باب جبريل ـ عليه السلام ـ كان عرض المسجد الحالى من مقدمه هو عرضه

---

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٢٠ .

فى زمن الوليد ، وهو أربعة وثمانون مترا تقريبا وحيث إنا قد أثبتنا أن عرض المسجد فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه كان خمسة وستين مترا ، فتكون بذلك زيادة الوليد فى عرض المسجد هى تسعة عشر مترا تسعة منها فى الجهة الغربية ، وعشرة فى الجهة الشرقية وهى التى أدخل بها الحجرات فى المسجد .

ولقد أكد السمهودى بالتحرى والقياس أن طول المسجد بعد زيادة الوليد بلغ مائتى ذراع ، أى مائة متر تقريبا[1] .

ولما كان طول المسجد فى عهد عثمان رضى الله عنه أربعة وثمانين مترا ونصف متر كما حررته فى زيادة عثمان ، تكون زيادة الوليد فى طول المسجد خمسة عشر مترا ونصف متر .

على هذا تكون مساحة الزيادة التى زادها الوليد فى المسجد هى /٢٧٦٨/ مترا مربعا لأننا لو ضربنا مقدار زيادته فى العرض وهى ١٩ × طول المسجد فى عهد عثمان وهى ٨٤,٥م يكون الناتج ١٦٠٥,٥ أمتار مربعة .

وكذلك لو ضربنا زيادته فى طول المسجد ومقدارها ١٥,٥ مترا × متوسط عرض المسجد بعد زيادته وهى ٧٥ مترا يكون الناتج /١١٦٢,٥/ مترا مربعا ، وبجمعهما تكون مساحة الزيادة ألفين وسبعمائة وثمانية وستين مترا مربعا .

وهكذا تبلغ مساحة المسجد فى عهد الوليد بعد توسعته ، سبعة آلاف وخمسمائة متر مربع ، ويكون ذلك بضرب الطول وهو ١٠٠ م × متوسط العرض وهو ٧٥ م يكون الناتج ٧٥٠٠ متر مربع .

وصف عام للمسجد في عهد الوليد

كانت جدران المسجد قوية وعريضة فقد بلغ عرض الحائط الغربى ذراعين إلا قليلا أى ما يقرب من ٩٥ سم وأما الحائط الشرقى فكان عرضه ذراعين وأربعة أصابع ، وإنما زيد فيه لأنه كان فى ناحية السيل[2] .

وهذا السيل كان يمر بالمسجد ، وقد تسبب عنه انهيار الحائط الشرقى كما سقط

---

(١) المصدر السابق ص ٥٢١ .

(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٨٣ .

جدار الحجرة الشريفة ، ولهذا جعلوا سمكه عند البناء أكبر من سمك الجدار الغربى .

وكان للمسجد سقفان أحدهما فوق الآخر ، فأما السقف السفلى فكان ارتفاعه خمسة وعشرين ذراعا أى ما يقرب من اثنى عشر مترا ونصف متر[1] ولعل الذين تولوا عمارة المسجد حرصوا على أن يكون له سقفان ، حتى إذا سقط المطر غزيرا لا يتضرر المسجد ، ولا يتأذى المصلون .

وقد اهتم عمر بن عبد العزيز رحمه الله بجدار القبلة وسقف المقصورة التى سبق الكلام عليها حتى إن ابن عبد ربه ليصف لنا ذلك وصف المشاهد فيقول : (مسجد النبى ﷺ بلاطاته فى قبلته معترضة من الشرق إلى الغرب ، فى كل صف من صفوف عمدها سبعة عشر عمودا بين كل عمودين فجوة كبيرة واسعة ، والعمد فى البلاطات القبلية بيض مجصصة ، شاطة جدا ـ أى عظيمة الارتفاع ـ وسائر عمد المسجد رخام ، والعمد المجصصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤوسها مذهبة ، عليها نجف وهى ـ رأس العمود ـ منقوشة مذهبة .

ثم السموات ـ يعنى السقف ـ على النجف ، وهى أيضا مذهبة ، وقبالة المحراب مواسطة البلاطات بلاط مذهب كله ، شقت به البلاطات من الصحن الى أن ينتهى إلى البلاط الذى بالمحراب ولا يشقه .

وفى البلاط الذى يلى المحراب ـ أمام المحراب ـ تذهيب كثير ، وفى وسطه سماء ـ سقف ـ كالترس المقدر مجوف كالمحراب مذهب)[2] .

وأما ابن جبير فقد وصف لنا اعمال الفسيفساء بالمسجد فقال : (النصف الأعلى من الجدار ـ يريد جدار القبلة ـ منزل كله بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء ، وقد أنتج الصناع فيه نتائج من الصنعة غريبة تضمنت تصاوير أشجار مختلفة الصفات ، مائلة الأغصان بثمرها ، والمسجد كله على هذه الصفة ، لكن الصنعة فى جدار القبلة أحفل ، والجدار الناظر إلى الصحن من جهة القبلة كذلك ، ومن جهة الجوف أيضا ، والغربى والشرقى الناظران إلى الصحن مجردان أبيضان ومقرنصان ، قد زينا برسم يتضمن أنواعا من الأصبغة)[3] .

---

(١) الدرة الثمينة ص ٣٧٧ .

(٢) العقد الفريد حـ ٣ ص ٣٦٥ .

(٣) رحلة بن جبير ص ١٧٢ .

وقد أحدثت العمارة الأموية تغييرات فى الحجرة الشريفة وكذلك فى المنبر ، كما أدخلت عنصرين على المسجد لم يعرفا فيه من قبل وهما المئذنة والمحراب .

فأما التغييرات التى أحدثتها العمارة فى المنبر فقد زيد فى عدد درجاته حتى بلغ تسع درجات وكان ذلك على يد مروان بن الحكم والي معاوية على المدينة المنورة ، ويصف ابن عبد ربه المنبر فيقول : (المنبر على يمين المحراب ، فى أول البلاط ـ يعنى الرواق ـ الثالث من المحراب فى روضة مفروشة من الرخام ، محجوز به حولها ، وله درج ، وسمر أعلاه لوح لئلا يجلس عليه أحد على الدرجة التى كان رسول الله ﷺ يجلس عليها ، وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما فى منابر زماننا الآن)[1] .

وأما الحجرة الشريفة فقد بنيت جدرانها بالحجارة البازلتية المنحوتة ، وليس بها أبواب ، وبنى حولها سور مخمس الأضلاع ، وأضلاعه غير متساوية ، ولم ترتفع جدران السور إلى سقف المسجد ، ولكنها كانت أوطأ منه بمقدار ذراعين ، وكان بها شباك من الخشب .

وأما سقف الحجرة الداخلية فقد غطى بمشمع ـ صيانة للحجرة من الأمطار ، وكان حائط السور الغربى ملاصقا لجدار الحجرة ، وأما الحائط الشرقى فكان بينه وبين جدار الحجرة مقدار خمسين سنتيمترا من الجهة الشمالية ، ويضيق من الجهة الجنوبية خمسة عشر سنتيمترا وحائط السور الجنوبى بينه وبين جدار الحجرة خمسون سنتيمترا من جهة الشرق ، ويضيق من جهة الغرب حتى يبلغ عشرين سنتيمترا ، وأما حائط الحجرة الشمالى فكان بينه وبين رأس المثلث الناشىء من السور مقدار أربعة أمتار .

وحول الحجرة الشريفة من فوق سطح المسجد بنى سور حتى لا يتمكن أحد من السير عليها[2] .

---

(١) العقد الفريد جـ ٣ ص ٣٦٦ .

(٢) المصدر السابق .

المحراب والمنارات والشرفات

قلنا فيما سبق إن العمارة الأموية أحدثت عنصرين جديدين فى المسجد وهما المحراب والمئذنة وسنتكلم عليهما بعد الكلام على الشرفات .

فأما الشرفات : فالمراد بها ما برز من البناء على جدران صحن المسجد من جوانبه الأربعة ، وكان بين الشرفات فتحات تشبه الشبابيك ، وهذه الشرفات لم تكن فى المسجد النبوى الشريف ويظهر كذلك أنها لم تعرف فى عمارة الوليد ، وإنما أحدثت فى عهد يزيد بن عبد الملك ، روى السمهودى عن ابن زبالة قال : ولم يكن للمسجد شرفات حتى عملها عبد الواحد بن عبدالله النضرى وهو وال على المدينة سنة أربع ومائة .[1] .

وكان السابقون يتورعون عن اتخاذ الشرفات فى المسجد لماروى البيهقى فى سننه عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **(ابنوا المساجد ، واتخذوها جماء)** .

وأما المنارات : فقد أحدثها عمر بن عبد العزيز ، فجعل فى كل ركن من اركان المسجد مئذنة ، وكانت احدى المنارات الأربع مطلة على بيت مروان بن الحكم ، وهو منزل خلفاء بنى أمية عندما يأتون إلى المدينة ، فلما حج سليمان بن عبد الملك فى خلافته ، أطل عليه المؤذن ، فأمر سليمان بهدم هذه المئذنة فهدمت حتى سويت بظهر المسجد[2] .

وظل المسجد بالمنارات الثلاث ، وحدد ابن زبالة طول كل مئذنة حيث قال : وطول المنارة الشرقية اليمانية فى السماء خمس وخمسون ذراعا ، والمنارة الشرقية الشامية خمس وخمسون ذراعا ، والمنارة الغربية الشامية ثلاث وخمسون ذراعا .

كذلك حدد لنا عرض المنارات ، فأفاد بأن عرض كل منارة أربعة أمتار فى أربعة أمتار .

ولم تكن المنارات معروفة فى بناء المساجد حتى أحدثها عمر بن عبد العزيز فى

---

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٢٦ .

عمارة الوليد ولكن يبدو أن لها أصلا وإن لم تتخذ فى عهد الرسول ولا فى عهد الخلفاء الراشدين فقد روى ابن اسحاق والبيهقى وأبو داود أن امرأة من بنى النجار قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد ، وكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة ، فيأتى بسحر ، فيجلس على البيت لينظر إلى الفجر ، فاذا رآه تمطى ، ثم قال : اللهم إنى احمدك ، واستعينك على قريش أن يقيموا دينك .

قالت : ثم يؤذن .

فأذان بلال على هذا المكان المرتفع دليل على جواز اتخاذ المنارة والأذان عليها ولم تكن مئذنة المسجد النبوى أول مئذنة عرفت فى المساجد بل سبقتها منارة جامع البصرة الذى بنى عام ٤٥ هـ - ٦٦٥ م والتى اقامها زياد بن أبيه فى خلافة معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه .

كذلك وجدت نماذج للصوامع فى جامع عمرو بن العاص عندما وسعه مسلمة ابن مخلد والى مصر فى عهد معاوية ، وكانت تلك التوسعة فى عام ٥٣ هـ - ٦٧٢ م[1] .

وأما المحراب : فهو فى اللغة صدر المجلس والمكان الرفيع من الدار ، وقد وردت كلمة محراب ومحاريب فى القرآن الكريم بمعان مختلفة ، ولكنها لم ترد مطلقا بالمعنى المعروف حاليا وهو الحنية التى تكون فى صدر المسجد ، واستعمالها بهذا المعنى يستبعد أن يكون من أصل عربى ، ولعل هذا هو السبب فى أن علماء اللغة السامية نسبوا اللفظة إلى اللغة الحميرية ، وقالوا إنها دخلت اليمن عن طريق الحبشة ، حيث كانت تطلق كلمة مكراب على الكنيسة أو المعبد أو الحنية التى يوضع بها التمثال[2] .

ولكننا نستطيع أن نجد لها أصلا عربيا ، فقد قال علماء اللغة : إن المحراب هو صدر المجلس حتى قال الجوهرى فى الصحاح مادة حرب : المحاريب صدور المجالس ، ومنه سمى محراب المسجد .

وذلك لأن محراب المسجد فى صدر المسجد ، وهو أكرم مكان فيه حيث هو موقف الامام ، ومكان تصدره للمأمومين ، وبهذا المعنى تكون الكلمة عربية الأصل ، ولا داعى مطلقا لأن ننقلها من كلمة مكراب الحبشية كما قال علماء اللغات السامية .

---

(١) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٧٢ صالح لمعى مصطفى .

(٢) المساجد لحسين مؤنس ص ٧٦ ، ٧٧ وصالح مصطفى المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٧٣ .

نعم ، إن هذه المحاريب لم تعرف فى المساجد حتى أدخلها عمر بن عبد العزيز فى مسجد رسول الله ﷺ فى عمارة الوليد بن عبد الملك ، وليس معنى هذا أن الكلمة غير عربية وقد ادعى بعض المستشرقين أن المحراب بهذه الصفة التى وجدت فى المسجد النبوى فى عمارة الوليد قد أخذت من الكنائس ، وأثاروا حول ذلك ضجة مفتعلة لا مبرر لها ، لأن هذه الحنية قد وجدت فى العمارة الرومانية قبل المسيح ، وقد أخذها المسيحيون عنهم[1] وبنوها فى كنائسهم دون أن يحدث أحد مثل هذه الضجة ، فلا غضاضة أن يتخذها منهم المسلمون ، فإن الحضارة ليست حكرا على جيل معين من البشر ، ولكنها مشاع يستفيد منها كل من لديه القدرة على تطويرها وإبرازها فى صورة ملائمة للعصر الذى تستعمل فيه .

ولا شك أن المسلمين قد استطاعوا تطوير المحاريب حين استعملوها فى المساجد فزينوها بالنقوش العربية ، وزخرفوها بالآيات القرآنية ، وأبرزوها فى صورة إسلامية خالصة ، وجعلوها فى صدور المساجد ، لأنها المكان المناسب لمعنى كلمة المحراب لغويا ، ولتكون علامة مميزة لاتجاه القبلة التى يجب على كل مصل استقبالها فى الصلاة ، حتى إنه لو اتجه إلى غيرها لم تصح صلاته .

وأول ما عرف المحراب فى المساجد بهذه الصفة فى عمارة الوليد للمسجد النبوى الشريف ، يقول السمهودى : أسند يحيى عن عبد المهيمن بن عباس عن أبيه قال : مات عثمان وليس فى المسجد محراب ولا شرفات ، فأول من أحدث المحراب والشرفات عمر بن عبد العزيز[2] .

ويقول الاستاذ صالح مصطفى : أما النصوص الواضحة والصريحة والمؤكدة فى المصادر التاريخية فتشير بوضوح إلى أن المحراب المجوف الأول كان فى المسجد النبوى بالمدينة فى عمارة الوليد الأموية ٨٨ ـ ٩١ هـ / ٧٠٧ ـ ١٠ م ، وأن المثال الثانى كان فى عمارة الوليد الأموية على يد واليه قرة بن شريك ٩٢ ـ ٤ هـ ـ ٧١٠ ـ ١٢ م بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط[3] .

---

(١) المصدر السابق ص ٧٤ .

(٢) وفاء الوفا حـ ٢ ص ٥٢٥ .

(٣) المدينة المنورة تطورها العمرانى وتراثها المعمارى ص ٧٥ .

ولعل الوليد قد نقل ذلك من بلاد الشام التى كانت تزخر بالآثار الرومانية القديمة لأن الوليد كان مولعا بالبنايات الفخمة فهو بانى المسجد الأموى بدمشق وأنفق عليه نفقة عظيمة قدرها المؤرخون بخمسة ملايين وستمائة ألف دينار ، وقدرها بعضهم بأحد عشر مليونا ومائتى ألف دينار(١) .

وقد اهتم الوليد ببناء مسجد دمشق حتى أنفق على كرمة فى الجدار القبلى صنعت من الفسيفساء سبعين ألف دينار ، واستخدم فى البناء اثنى عشر ألف قطعة من الرخام ، وقد قال فيه ابن كثير رحمه الله : والمقصود أن الجامع الأموى لما كمل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه ، ولا أبهى ولا أجمل منه ، بحيث إذا نظر الناظر إليه أو إلى جهة منه أو إلى بقعة أو مكان منه تحير فيها نظره لحسنه وجماله(٢) .

وكذلك بنى الوليد مسجد الصخرة ببيت المقدس ، وعقد عليها قبة(٣) واعتنى ببنائه ، فلم يكن غريبا أن يبنى الوليد مسجد النبى ﷺ على هذا النحو من الأبهة والفخامة وأن يعتنى به تلك العناية الفائقة ، لأنه كما قالوا فيه : كانت همته فى البناء .

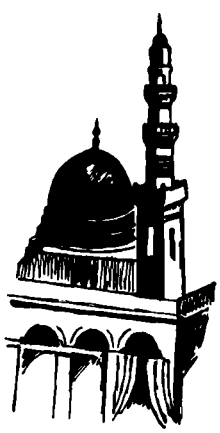

(١) البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٤٩ .
(٢) المصدر السابق ص ١٥٠ .
(٣) المصدر السابق ص ١٦٥ .

الفصل الثانى

المسجد في عهد المهدي

كانت عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد النبوى هى العمارة الوحيدة فى العصر الأموى فلما تولى العباسيون أمر البلاد ، وآلت الخلافة إليهم ، هَمَّ أبو جعفر المنصور بتوسعة المسجد وشاور فيه ، وكان بعض الناس قد زين له أن يوسع المسجد من ناحيته الشرقية ، فكتب إليه الحسن بن زيد يصف له تلك الناحية ، ويرغبه فى توسعة المسجد من جهتها ، ولكن أبا جعفر قد فطن إلى ما أراد الحسن من ازالة بيت عثمان بن عفان رضى الله عنه بحجة التوسعة فأجاب أبو جعفر الحسن بن زيد فقال : قد عرفت الذى أردت ، فاكفف عن ذكر دار الشيخ عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ولا شك أن هذا الموقف مما يحمد لأبى جعفر ، فقد عرف العباسيون بتتبع آثار الأمويين وإزالتها والقضاء عليها حتى لا تذكر الناس بهم ، وتبعث فى نفوسهم الحنين الى عهدهم ، ومع ذلك فقد نهى أبو جعفر الحسن بن زيد عن إغرائه بإزالة بيت أمير المؤمنين عثمان بن عفان .

وتعطينا هذه القصة صورة عن خلق انطبع عليه فريق من الناس لم يخل منه عصر من العصور ، وهو خلق النفاق ، وحب التقرب إلى الأمراء وأولى الأمر . فالحسن بن زيد لم يرد من وراء إغراء الخليفة بتوسعة المسجد من جهته الشرقية إلا إزالة بيت عثمان رضى الله عنه ظانا أن ذلك مما يقربه إلى الخليفة ويدنيه منه ، فكانت وقفة الخليفة الرائعة التى أسكتته وخذلته .

وتوفى أبو جعفر المنصور ولم يزد فى المسجد النبوى شيئا[1] ، فلما تولى ابنه المهدى الخلافة ، وحج سنة ستين ومائة زار المدينة المنورة ، ورأى ما عليه المسجد الشريف ، أمر بالزيادة فيه ، وولى على البناء عبدالله بن عاصم بن عمر بن عبد

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٣٦ .

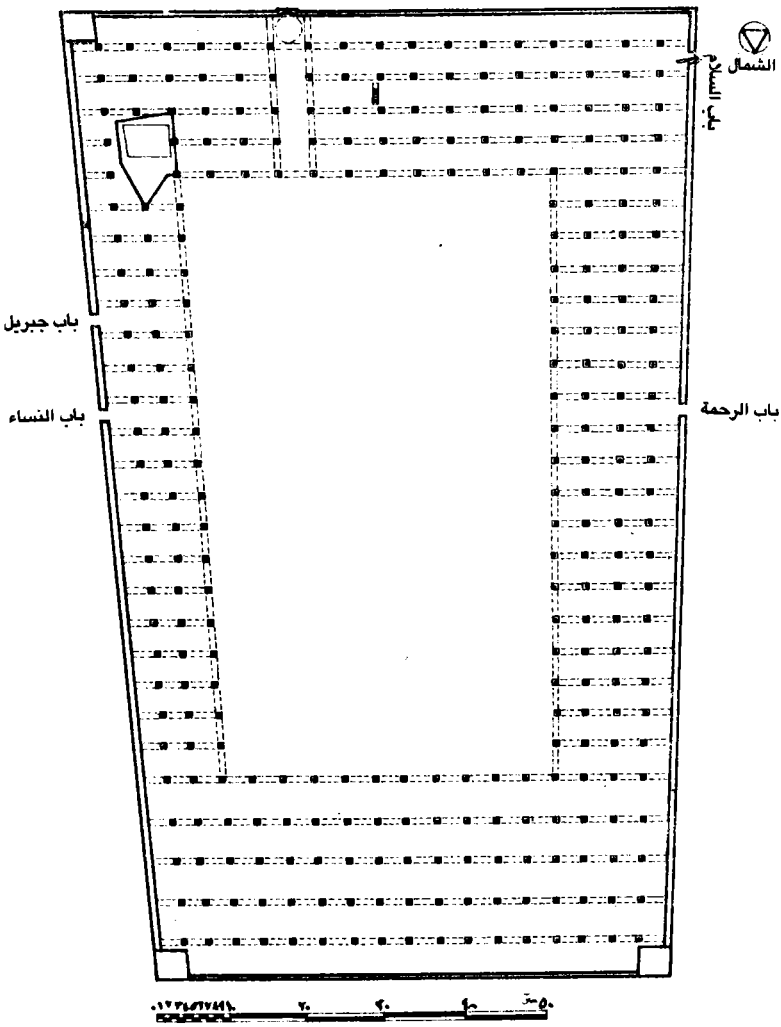

المسجد النبوي : المسقط الأفقي في العصر العباسي
١٦٢ ـ ٥ هـ /٧٧٨ ـ ٨٢ م .

العزيز ، وعبد الملك بن شبيب الغسانى ، ومات عبدالله بن عاصم فولى مكانه عبدالله بن موسى الحمصى[1] .

زيادة المهدى : أمر المهدى بالزيادة فى المسجد فقدر القائمون على أمر البناء ما حول المسجد من الدور فابتاعوها من أصحابها وأدخلت فى المسجد ، وهذه الدور هى :

١ ـ **دار مليكة** : وكانت لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ولكنه لما أنزل فيها مليكة بنت خارجة بن سنان عرفت بدار **مليكة** ، واشتراها عبدالله بن جعفر من بنى عبد الرحمن بن عوف ثم اشتراها القائمون على البناء من عبدالله بن جعفر فأدخلوها فى المسجد ، ويبدو أنها كانت دارا كبيرة عظيمة المساحة حتى إنها قد أدخل بعضها فى المسجد، وبعضها فى الرحبة ، وبعضها فى الطريق[2] .

٢ ـ **دار شرحبيل بن حسنة** : وهذه الدار كانت وقفا ، فلما احتيج إليها لإدخالها فى المسجد ، اشترى المسئولون عن التوسعة دورا ومنازل فأوقفوها بدلا منها ، وجعلوها صدقة وأصل هذه الدار للسيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان ـ أم المؤمنين ـ ولكن أم حبيبة ـ رضى الله عنها ـ وهبت هذه الدار لشرحبيل بن حسنة ، وظلت فى أيدى بنيه حتى أدخلت فى المسجد .

٣ ـ **دار عبدالله بن مسعود** : وقد سبق أن الوليد قد اشتراها وأدخلها فى المسجد ، وهى الدار التى كانت تعرف بدار القراء ، ويظهر من هذا السياق أن الوليد لم يشتر الدار كلها ، ولكنه اشترى ما احتيج إليه فى التوسعة ، وترك الباقى فى أيدى الورثة حتى جاء المهدى فاشترى هذا الجزء الباقى من الدار وأدخله فى توسعته ، ولهذا يقول ابن زبالة : وأدخل بقية دار عبدالله بن مسعود التى يقال لها دار القراء[3]

٤ ـ **دار المسور بن مخرمة** : وكانت دار المسور إرثا ورثها عن أبيه مخرمة بن أهيب بن نوفل وكانت فى زاوية المسجد الشمالية الشرقية فاشتراها المهدى ، وقيل اشترى بعضها فأدخله فى المسجد .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٣٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٣٩ .

وكل هذه الدور كانت فى الجهة الشمالية أى فى مؤخر المسجد ، لأن الثابت أن المهدى لم يزد فى قبلة المسجد شيئا ، وكذلك لم يزد فى شرقيه ولا غربيه شيئا ، وإنما كانت زيادته فى مؤخر المسجد أى فى الجهة الشمالية .

متى بُدىء في البناء

بدأ العمل فى توسعة المسجد النبوى الشريف فى عهد المهدى سنة إحدى وستين ومائة ، وكانت مدة العمل خمس سنوات ، يقول ابن زبالة ويحيى : وفرغ من بنيان المسجد سنة خمس وستين ومائة[١] .

ويقول ابن كثير : إن التوسعة كانت سنة ستين ومائة[٢] أى فى السنة التى حج فيها المهدى ولكن الرأى الأول أرجح لأن دخول المهدى المدينة كان بعد حجه أى فى أواخر شهر ذى الحجة فكيف تتم التوسعة أو يبدأ العمل ، والأمر يحتاج إلى شراء الدور ، واتخاذ التدابير اللازمة لمثل هذا العمل العظيم ، ولعل ابن كثير رحمه الله يقصد أن الأمر بالتوسعة كان سنة ستين ومائة .

وأما الأستاذ صالح مصطفى فيقول : وبدأت عمارة المهدى فى عام ١٦٢ هـ - ٧٧٨ م ، واستمرت حتى عام ١٦٥ هـ - ٧٨١ - ٢ م .

وقد نقل الأستاذ صالح هذا التاريخ من نص وجد بالمسجد النبوى ، ولكن هذا النص غير صحيح لأن ابن رسته راوى هذا النص نقله خطأ ، فالنص منسوب الى أبى العباس السفاح وليس لأبى عبدالله المهدى ، ولذلك نقله يحيى بن الحسن المدنى - وهو أقدم من ابن رسته ، وأسبق فى كتابته تاريخ المدينة - ونسبه إلى أبى العباس ، وقال : سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وهذا التاريخ يوافق خلافة أبى العباس ، لذلك علق الأستاذ صالح على النص مبينا صحة ما رواه يحيى بن الحسن ، وخطأ ما رواه ابن رسته[٣]

ومن هذا نتبين أن بدء العمل فى توسعة المهدى كان سنة إحدى وستين ومائة ،

---

(١) المصدر السابق .

(٢) البداية والنهاية حـ ١٠ ص ١٣٢ .

(٣) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٢٨٨ .

وأن الفراغ منه كان فى سنة خمس وستين ومائة ، وتكون مدة العمل بالمسجد خمس سنوات .

وقد هدم المهدى زيادة الوليد الشمالية وأعادها مع زيادة قدرت بخمس وخمسين ذراعا على الصحيح ، وأدخل تعديلات كثيرة على هذا الجزء من المسجد ونقشه بالفسيفساء ، وقد وجدت شواهد على ذلك فى مؤخر المسجد عند المنارة الشمالية الغربية ، وكذلك فى الحائط الغربى القريب من هذه المنارة ، حيث شوهدت بقايا الفسيفساء[١] .

وجعل المهدى للمسجد أربعة وعشرين بابا ، ثمانية منها بالحائط الغربى (ناحية السوق) وثمانية بالحائط الشرقى ، وأربعة بالحائط الشمالى ، وأربعة بحائط القبلة : باب يدخل منه الأمراء ناحية دار مروان ، وباب يسار القبلة يدخل منه إلى المقصورة وباب يمين القبلة (باب بيت القناديل) ، وباب فى قبلة المسجد يخرج منه السلطان إلى المقصورة[٢] .

وأمر المهدى بهدم المقصورة الأموية ، وخفضت الى مستوى المسجد بعد أن كانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد ، كذلك هَمَّ بسد خوخة آل عمر ، فكلمه آل عمر فى الخوخة حتى كثر الكلام بينهم ، فأذن لهم ففتحوها ، وعملوا لها درجا يؤدى الى سرداب يوصل الى الرواق الثانى ، لأن الرواق الأول وهو الذى يلى القبلة مباشرة كانت اقيمت عليه مقصورة من الخشب تكنفه طولا من غرب إلى شرق[٣] .

ويبدو أن المهدى لم يهدم مآذن المسجد ، بل تركها على ما كانت عليه ، حيث يفيد ابن جبير الرحالة الذى زار المسجد سنة ٥٨٠ هـ - ١١٨٤ م ، بأن للمسجد ثلاث صوامع إحداها فى الركن الشرقى المتصل بالقبلة ، والاثنتان فى ركنى الجهة الجوفية صغيرتان كأنهما على هيئة برجين .[٤] .

وابن النجار يؤيد كلام ابن جبير ، ويبين أن ارتفاع كل مئذنة حوالى خمس وخمسين ذراعا وقاعدتها مربعة ثمانى اذرع فى ثمانى اذرع .[٥] .

---

(١) وفاء الوفا حـ ٢ ص ٥٤٠ .
(٢) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٧٦ .
(٣) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥١٢ .
(٤) رحلة ابن جبير ص ١٠٤ .
(٥) الدرة الثمينة ص ٣٧٧ .

وهذه الذرعة للمآذن الثلاث هى الذرعة نفسها التى ذكرها ابن زبالة فى مآذن المسجد الأموى حيث قال : ولمسجد النبى ﷺ ثلاث منارات طول كل منارة ستون ذراعا ، وقال فى موضع آخر : وطول المنارة الشرقية اليمانية ـ الجنوبية ـ فى السماء خمس وخمسون ذراعا ، والمنارة الشرقية الشامية ـ الشمالية ـ خمس وخمسون ذراعا ، والمنارة الغربية الشامية ـ الشمالية ـ ثلاث وخمسون ذراعا ، وعرض المنارات ثمانى أذرع فى ثمانى أذرع[1]

وهذا يدل على أن المنارات التى بقيت فى عمارة المهدى هى المنارات الأموية ، وقد رجح ابن النجار ذلك .

توسعة المهدى : يقول المؤرخون : إن المهدى قد زاد فى المسجد مائة ذراع من ناحية الشام ولم يزد فى القبلة ، ولا فى المشرق والمغرب شيئا ، وذلك عشر أساطين فى صحن المسجد إلى سقائف النساء ، وخمس سقائف النساء الشامية[2] .

ونحن إذا أخذنا بهذا القول على عواهنه لكان طول المسجد بعد زيادة المهدى ثلاثمائة ذراع ، فقد علمنا أنه بلغ فى زيادة الوليد مائتى ذراع ، ولو زاد المهدى مائة ذراع لبلغ طوله ثلاثمائة ، ولكن السمهودى يخبرنا أنه ذرع المسجد بنفسه فبلغ طوله ثلاثا وخمسين ومائتي ذراع ـ ٢٥٣ ـ ذراعا[3] .

وأما الاستاذ صالح مصطفى فيقول : إن طول المسجد بعد زيادة المهدى حوالى ٢٥٥ ذراعا فقط[4] ، وعلى هذا فإن زيادة المهدى لم تتجاوز خمسا وخمسين ذراعا ، فكيف نوفق بين هذا القول ، وقول المؤرخين بأنه زاد فيه مائة ذراع ؟

أقول : لقد سبق وأشرت إلى أن المهدى قد هدم زيادة الوليد ، وجددها مع زيادته فبلغت بذلك مائة ذراع ، ولما بلغ طول المسجد بعد زيادة الوليد مائتى ذراع ، وكان طوله بعد زيادة عثمان رضى الله عنه مائة وستين ذراعا ، علمنا أن زيادة الوليد بلغت أربعين ذراعا ، فإذا ضممنا زيادة الوليد الى زيادة المهدى بلغت مائة

---

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٢٧ .
(٢) المصدر السابق ص ٥٣٦ ، ٥٣٧ .
(٣) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٣٧ .
(٤) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٧٦ .

ذراع تقريبا ، ولما جدد المهدى هذه الزيادة وأضاف اليها زيادته قال المؤرخون : إنه زاد فى المسجد مائة ذراع .

فالحق الواضح بعد ذرع المسجد من كثير من المؤرخين الذين ذرعوه بعد زيادة المهدي لم يزد طوله عن ٢٥٥ ذراعا[١] .

ومن ذلك نتأكد أن زيادة المهدى لم تتجاوز خمسا وخمسين ذراعا على أكبر تقدير .

مساحة زيادة المهدي

علمنا فيما مضى أن زيادة المهدى كانت خمسا وخمسين ذراعا ـ أى ٢٧ مترا ـ فى طول المسجد ، وكان عرض المسجد من الناحية الشمالية مائة وخمسا وثلاثين ذراعا ـ أى ٦٧ مترا ـ فإذا ضربنا طول الزيادة ـ ٢٧ مترا ـ فى عرض المسجد من ناحية الشمال ـ ٦٧ مترا ـ حصل لنا مقدار زيادة مساحة المهدى وهى (١٨٠٩) م٢ وباضافة زيادة المهدى العباسى الى مساحة المسجد فى عهد الوليد تكون مساحة المسجد الكلية فى عهد المهدى هى (٧٥٠٠)م مساحة المسجد فى عهد الوليد زائد (١٨٠٩)م مساحة زيادة المهدى يكون الناتج (٩٣٠٩) م٢ .

الاصلاحات التي تمت في المسجد

كانت زيادة المهدى فى المسجد النبوى هى العملية الأساسية التى حدثت فى المسجد فى ذلك العصر ، وقد ذكر المؤرخون أعمالا أخرى قام بها الخلفاء العباسيون ولكنها لم تكن بالزيادة فى المسجد ، ونحن نذكرها هنا لزيادة الفائدة :

١ ـ فى عام ١٥١هـ / ٧٦٧م وفى خلافة أبى جعفر المنصور قام والى المدينة الحسن بن زيد بن حسن بن على بن أبى طالب بنقض الرخام الذى كان عليه المنبر ، ووسعه من جوانبه كلها حتى ألحقه بالسوارى[٢] .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٨ .

(٢) وفاء الوفا جـ ١ ص ٣٤٤ .

٢ ـ فى عام ١٩٣هـ / ٨٠٩م وفى عهد الخليفة هارون الرشيد أجرى أبو البحترى بن وهب والى المدينة إصلاحا فى سقف المسجد من جهة القبر النبوى الشريف[١] .

٣ ـ فى عام ٢٠٢هـ / ٨١٧ ، ٨١٨م وفى عهد الخليفة المأمون بن هارون الرشيد أجريت عمارة فى المسجد ، ولعلها كانت ترميما لبعض الخلل وإصلاحا لبعض ما تهدم ولم تكن زيادة ولا توسعة وكلام الزين المراغى الذى قال فيه : إن المأمون زاد فيه وأتقن بنيانه فى سنة اثنتين وثلاثين أنكره السمهودى فقال : وهذا بعيد جدا ، لأن من أدرك زمن المأمون من المؤرخين لم يتعرض لشىء من ذلك ، ثم قال : لاحتمال أنه وقع فى زمنه عمارة من غير أن يزيد فيه[٢] .

٤ ـ فى عام ٢٤٦هـ / ٨٦٠م فى عهد الخليفة المتوكل على الله ، عملت وزرة رخام بارتفاع متر وخمسة وسبعين سنتيمترا ، وبلط الأرض بالرخام الأبيض ، وكسا بعض الجدران بالفسيفساء مع ترميم هذه الجدران ، وأشرف على هذه الأعمال إسحاق بن مسلمة[٣] .

٥ ـ فى عام ٢٨٢هـ / ٨٩٥م فى عهد الخليفة المعتضد أجريت بعض الإصلاحات فى الواجهة الشرقية المطلة على الصحن[٤] .

٦ ـ فى عام ٥٤٨هـ / ١١٥٣م فى عهد الخليفة المقتفى جدد وزير بنى زنكى جمال الدين الأصفهانى الوزرة الرخام التى كانت على جدران القبر الخارجية ، وكان ذلك فى ولاية قاسم بن مهْنا على المدينة[٥] .

٧ ـ فى عام ٥٦٦هـ / ٥٧٥هـ ـ ١١٧٠ / ١١٨٠م فى عهد الخليفة المستضىء أتم حسين بن أبى الهيجاء كسوة الحوائط الخارجية للقبر النبوى الشريف بالرخام[٦] .

٨ ـ فى عام ٥٧٦هـ / ١١٨٠م فى عهد الخليفة الناصر لدين الله جدد الحائط الشرقى للمئذنة الشمالية الشرقية ، وعملت قبة فى وسط الصحن لحفظ ما يتعين حفظه مثل

---

(١) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٧٨ .
(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٤٠ .
(٣) الدرة الثمينة ص ٣٩٣ .
(٤) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٧٨ .
(٥) الدرة الثمينة ص ٣٩٣ .
(٦) المصدر السابق ص ٣٩٤ .

المصحف العثمانى والكتب المهمة ، وكان تجديد الحائط الشرقى عام ٥٨٩هـ / ١١٩٣م[١] .

وفى عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦ - ١١٩٧م وفى عهد الخليفة نفسه جدد المنبر الأموى ، وظل قائما فى المسجد حتى احترق فى الحريق الأول الذى شمل كل ما فى المسجد ، وكان فى سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م[٢] .

٩ - فى عام ٥٥٧هـ / ١١٦١ - ١١٦٢م يروى المؤرخون أن نور الدين محمود بن زنكى المشهور بالشهيد قد عمل سورا من الرصاص حول قبر النبى ﷺ وكان ذلك بناء على رؤيا رآها تتلخص فى أن رجلين من النصارى حاولا سرقة الجثة الشريفة ، وأن نور الدين قد رأى فى منامه رسول الله ﷺ وطلب منه أن ينقذه من النصرانيين .

فتوجه نور الدين إلى المدينة ومعه وزيره وبعض جنوده ، وعثر هناك على الرجلين ، ووجد فى المكان الذى يسكنان فيه أثرا للحفر للوصول إلى القبر الشريف ، فأمر بالرجلين فضربت عنقاهما ، وأمر بإحضار الرصاص ، وحفر خندقا حول القبر ، وأقام فيه جدارا من الرصاص ورفعه على وجه الأرض نحو متر[٣] .

وهذه القصة شك فيها كثير من المؤرخين لما فيها من المبالغة التى تجاوزت الخيال ولكنا نرى السمهودى وهو عالم محقق ناقد يسردها دون أى تعليق عليها سوى قوله والعجيب أنى لم أقف على هذه القصة فى كلام من ترجم نور الدين الشهيد مع عظمها[٤] .

ونحن نلاحظ أن السور الرصاص المذكور موجود حول القبر الشريف يراه كل من زار القبر ، ودقق النظر إلى جدرانه الخارجية .

وأنا مع هذا لا أميل إلى تأييد هذه القصة على عواهنها ، وأتوقف فى صحة روايتها ولعل السور الرصاص قد بنى حول الحجرة الشريفة بعدما حدث لها من سقوط بعض جدرانها مرارا فأرادوا بذلك تمتين البناء وتقويته حتى لا يتعرض للهدم والله أعلم .

---

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٠٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٠٥ .

(٣) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٤٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٦٥٢ .

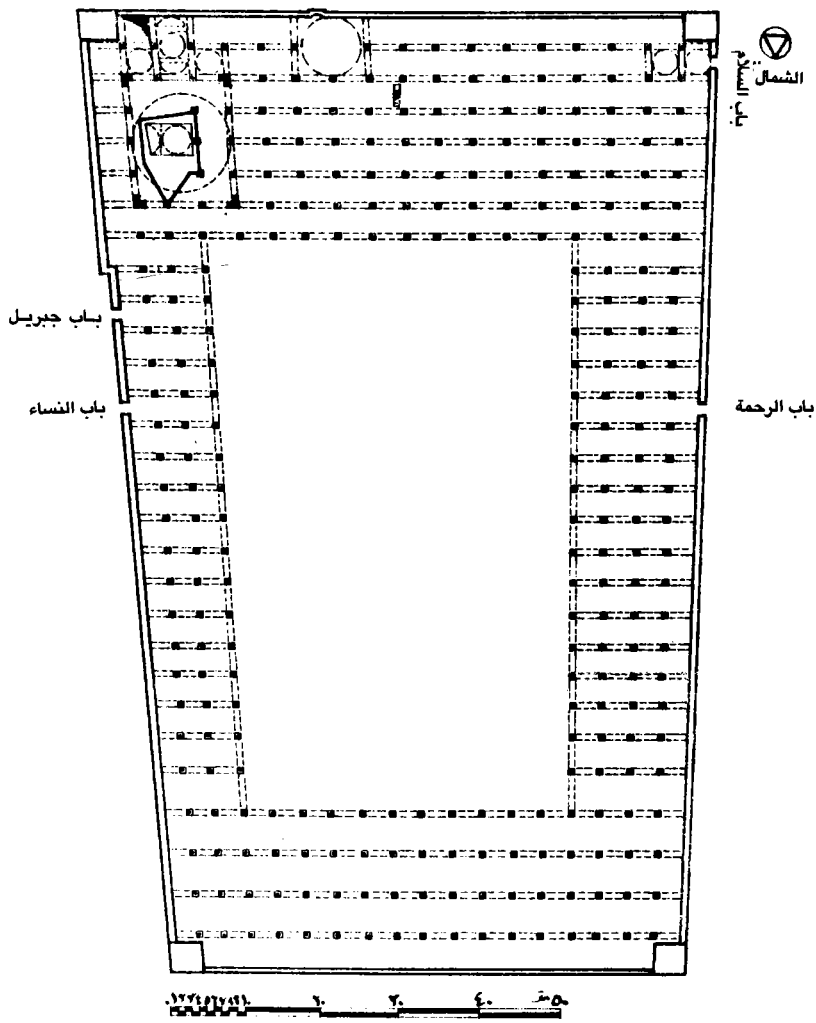

● المسجد النبوي : المسقط الأفقي في العصر المملوكي (القرن الثامن ـ التاسع الهجري/ الرابع عشر ـ الخامس عشر الميلادي)

الفصل الثالث

المسجد النبوي في عصر المماليك

حريق المسجد

استمر المسجد على حاله بعد توسعة المهدى ، حتى كانت ليلة الجمعة أول شهر رمضان من سنة ٦٥٤هـ/ ٢٢ سبتمبر سنة ١٢٥٦م فى أول الليل ، إذ شبَّ حريق لم يستطع أهل المدينة إطفاءه ، وظلت النار تلتهم المسجد حتى أتت على جميع ما فيه .

سبب الحريق

يذكر السمهودى نقلا عن المؤرخين أن أحد الفراشين ، وهو أبوبكر بن أوحد دخل إلى المخزن الجنوبى الغربى لاستخراج قناديل لمنارات المسجد بمناسبة شهر رمضان فاستخرج منها ما احتاج إليه ، ثم ترك الضوء الذى كان معه فوق قفص من أقفاص القناديل ، وكان فى القفص مشاق ، فاشتعلت فيه النار ، وبادر الخادم باطفاء الحريق فلم يقدر ، وعلقت النار بالحصر والأقفاص والبساط وغيرها مما كان فى المخزن ، ثم تزايدت النيران حتى بلغت سقف المسجد .

قال المؤرخون : ثم دبت النار فى السقف بسرعة آخذة قبلة ـ أى جهة القبلة ـ وأعجلت الناس عن إطفائها بعد أن نزل أمير المدينة ، فاجتمع معه غالب أهل المدينة ، فلم يقدروا على قطعها ، وما كان إلا أقل من القليل حتى استولى الحريق على جميع سقف المسجد الشريف ، واحترق جميعه حتى لم تبق خشبة واحدة .

وتلف جميع ما احتوى عليه المسجد الشريف من المنبر النبوى والأبواب

والخزائن والشبابيك والمقاصير والصناديق ، وما اشتملت عليه من كتب وكسوة الحجرة ، وكان عليها إحدى عشرة ستارة[١] .

وبدأ الخليفة العباسى المستعصم بالله فى عمارة المسجد سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م إلا أن هذه العمارة لم تتم بسبب غزو التتار واستيلائهم على بغداد عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م[٢] .

غير أنه فى هذه العمارة قد استصلح سقف الحجرة الشريفة ، وامتد إصلاح السقف من الشرق إلى الحائط الذى به باب جبريل ، ومن الغرب حتى المنبر ، ومن الجنوب إلى حائط القبلة[٣] .

ومنذ غارة التتار على بغداد تولى السلاطين المماليك فى مصر مسئولية إصلاح المسجد النبوى وعمارته ، فجدَّ السلاطين فى إصلاح سقف المسجد وإكمال ما نقص منه .

وأخذ بعضهم يرسل منبرا ، وبعضهم يصلح السقف ، وكان أهم الأحداث **فى المسجد فى تلك الفترة هو إقامة الظاهر بيبرس مقصورة حول الحجرة وبيت السيدة فاطمة فى سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩ ، ٧٠ م وكانت هذه المقصورة من الخشب ، وكان ارتفاعها ثلاثة أمتار ونصف المتر ، ولها ثلاثة أبواب** [٤].

كذلك أقيمت القبة لأول مرة على القبر النبوى الشريف فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م[٥] .

وفى عهد قلاوون كذلك عملت ميضأة ليتوضأ المصلون وكانت خارج المسجد عند باب السلام سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م .

وقام السلطان قلاوون بإصلاحات كثيرة فى المسجد أهمها بناء المئذنة الرابعة التى هدمت فى عهد سليمان بن عبدالملك كما بنيت فى العهد الأموى ، ويروى السمهودى عن المطرى قوله : لم يزل المسجد على ثلاث منارات إلى أن جددت المنارة الرابعة . . . . . أمر بانشائها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون[٦] .

---

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٩٨ ، ٥٩٩ .
(٢) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٧٩ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٦١١ .
(٥) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٨٠ .
(٦) وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٥٢٨ .

وأصبحت بذلك منارات الحرم أربعا ، وكانت أطوالها كما ذكر السمهودى على النحو التالى :

١ ـ المنارة الرئيسية ـ الجنوبية الشرقية ـ طولها من رأس الهلال إلى أسفلها خارج المسجد ٧٧ ذراعا فلما انهدم ثلثها بسبب الصاعقة ، هدمت جميعها ، وأعيد بناؤها فأصبح طولها أزيد من مائة ذراع ، ثم حدث بها خلل ، فأعاد بناءها السلطان الأشرف الشجاعى ، وزاد فى ارتفاعها حتى كانت زيادة على مائة وعشرين ذراعا ـ أى ٦٠ مترا ـ .

٢ ـ المنارة الجنوبية الغربية وهى التى أعادها السلطان قلاوون ، وكان طولها من أعلى هلالها إلى الأرض خمسة وتسعين ذراعا ـ أى ٤٧,٥ مترا ـ .

٣ ـ المنارة الشمالية الشرقية ، وهى المعروفة بالسنجارية ، نسبة إلى سنجر الجاولى ، وكان طولها من أعلى هلالها إلى الأرض تسعة وسبعين ذراعا ـ أى ٣٩,٥ مترا ـ .

٤ ـ المنارة الشمالية الغربية ، وهى المعروفة بالخشبية ، وطولها اثنان وسبعون ذراعا ـ أى ٣٦ مترا ـ[١] . من أعلى هلالها إلى الأرض .

واستمرت عناية السلاطين بالحرم النبوى فجددوا القبة ، ووضعوا فوقها ألوان الرصاص وقد حدث ذلك مرتين : مرة فى عهد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون عام ٧٥٥/٧٦٢هـ ـ ١٣٥٤/١٣٦١م وأما المرة الثانية فكانت فى عهد السلطان شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون عام ٧٦٥هـ / ١٣٦٣ ـ ١٣٦٤م[٢] .

وأخذ السلاطين يتنافسون فى عمل المنابر وإرسالها إلى المسجد النبوى ، وكان منبر السلطان المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى هو آخر منبر وصل قبل الحريق الثانى ، وظل قائما فى المسجد حتى احترق فى الحريق الثانى .

الحريق الثانى وأسبابه

حصل الحريق الثانى فى شهر رمضان سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م[٣] ، وسببه أن

---

(١) المصدر السابق ص ٥٢٧ ، ٥٢٩ .

(٢) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٨١ .

(٣) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤١٠ .

صاعقة ضربت المنارة الجنوبية الشرقية ، فأطاحت جزءا كبيرا منها قدره السمهودى بالثلث ، وتسبب عن ذلك احتراق المسجد ، واحتراق مافيه[1] .

ويروى السمهودى القصة فيقول : وذلك أن رئيس المؤذنين ، وصدر المدرسين الشمس شمس الدين محمد بن الخطيب قام يهلل حينئذ بالمنارة الشرقية اليمانية ـ الشمالية الشرقية ـ المعروفة بالرئيسية ، وصعد المؤذنون بقية المنائر ، وقد تراكم الغيم ، فحصل رعد قاصف أيقظ النائمين ، فسقطت صاعقة أصاب بعضها هلال المنارة المذكورة ، فسقط فى المسجد وله لهب كالنار ، وانشق رأس المنارة وتوفى الرئيس المذكور لحينه صعقا ، ففقد من كان على بقية المنائر صوته ، فنادوه فلم يجب ، فصعد اليه بعضهم فوجده ميتا .

وأصاب ما نزل من الصاعقة سقف المسجد الأعلى بين المنارة الرئيسية وقبة الحجرة النبوية فثقبه ثقبا كالترس ، وعلقت النار فيه وفى السقف الأسفل ، ففتح الخدام أبواب المسجد قبل الوقت المعتاد ، وقبل إسراجه ، ونودى بالحريق فى المسجد .

فاجتمع أمير المدينة وأهلها بالمسجد الشريف ، وصعد أهل النجدة منهم بالمياه لإطفاء النار وقد التهبت سريعا فى السقفين ، وأخذت لجهة الشمال والغرب ، فعجزوا عن إطفائها ، وكلما حاولوه لم تزدد إلا التهابا واشتعالا ، فحاولوا قطعها بهدم بعض ما أمامها من السقف فسبقتهم لسرعتها .

وتطبق المسجد بدخان عظيم ، فخرج غالب من كان به ، ولم يستطيعوا المكث فكان ذلك سبب سلامتهم ، وهرب من كان بسطح المسجد إلى شماليه ، ونزلوا بما كان معهم من حبال الدلاء التى استقوا بها بخارج المسجد على الميضأة والبيوت هناك وما حول ذلك ، وسقط بعضهم فهلك ، ونزل طائفة منهم الى المسجد من الدرج فاحترق بعضهم ولجأ بقيتهم إلى صحن المسجد مع من حالت النار بينه وبين أبواب المسجد ممن كان أسفل .

ثم قال : ومات جماعة تحت هدم الحريق من الفقراء وسودان المدينة ، وجملة من مات بسبب ذلك بضع عشرة نفسا[2] .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٢٧ .

(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٣٣ ، ٦٣٤ .

واستمر السمهودى فى وصف الحريق حتى قال : وأمر هذه النار عجيب ، وليس الخبر كالمعاينة ، وصار المسجد كالتنور ولم يمض إلا أقل من عشر درج ، وقد استولى الحريق على جميع سقف المسجد وحواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف ، غير ما وقعت المبادرة لإخراجه أولا وهو يسير ، وغير القبة التى بصحن المسجد[1] .

البدء في عمارة المسجد

وكتب أهل المدينة إلى السلطان قايتباى بعد الحريق بثلاثة أيام - أى فى اليوم السادس عشر من شهر رمضان -[2] ولم تكد أنباء ذلك الحريق المروع تصل الى السلطان فى مصر حتى عظم ذلك عليه ، وأصدر أوامره على الفور بالمبادرة فى تعمير المسجد الشريف ، وأرسل الأمير سنقر الجمالى مع الفوج الأول من الحجاج ، وأرسل معه مائة صانع من البنائين والنجارين والنشارين والدهانين ، والحجارين والنحاتين والحدادين والمرخمين وغيرهم ، وأرسل معهم كثيرا من الجمال والحمير ليستغنوا بها عن العمل ونقل المواد ، كما بعث مع الأمير مبلغا من المال قدره عشرون ألف دينار ، وشرع فى تجهيز الآلات والمؤن حتى كثرت فى الطور والينبع والمدينة الشريفة .

ثم جهز المسئول عن العمارة بالمدينة شمس الدين بن الزمن فى ربيع الأول ومعه أكثر من مائتى جمل ومائة حمار ، وأكثر من ثلاثمائة من الصناع أهل الصنائع الأولى وغيرهم من الحمالين والمبيضين والسباكين والجباسين ، وصرفوا لهم بعض أجرهم قبل سفرهم وتوالت أحمال المؤن برا وبحرا ، وبدأوا فى العمل بالعمارة بجد ونشاط .

وبدأ العمل بهدم المنارة الرئيسية التى أصابتها الصاعقة ، وكذلك هدموا جدار القبلة والحائط الشرقى إلى باب جبريل والحائط الغربى إلى باب الرحمة ، وأعادوا بناء ذلك ، وزادوا فى عرض الحوائط ، ووسعوا المحراب العثمانى ، وسقفوا مقدم المسجد سقفا واحدا ، بعد أن قصروا الأعمدة ، وبنوا عليها عقودا من الطوب المحروق (الآجر) ووضعوا فوقها أخشاب السقف ، وبلغ ارتفاع السقف من

---

(١) المصدر السابق ص ٦٣٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٣٦ .

الأرضية أحد عشر مترا .

وبنوا قبة فوق المحراب العثمانى ، وجعلوا فوق الحجرة النبوية قبة على دعائم بأرض المسجد وجعلوا لها عقودا من الآجر بدلا من القبة الزرقاء ، ووجدت أوراق المصاحف المحترقة فى الحريق الأول فى خزانة عند المئذنة الرئيسية فأخذوا هذه الأوراق فوضعوها فوق القبة فتشققت القبة .

وكأنهم سألوا عن سبب ذلك فقيل لهم : إن ذلك بسبب وضع أوراق المصحف بها لأن الله تعالى يقول : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله** ﴾ فأخرجوا الأوراق منها ، يقول السمهودى : فقضيت العجب من ذلك !

ويتكلم السمهودى عما أحدثوه من التجديدات فى المسجد فيقول : واتخذوا فيما بين الحجرة الشريفة والجدار القبلى قبة لطيفة ، وحولها ثلاث أُخر تسمى مجاريد . . . . واتخذوا أيضا قبتين أمام باب السلام من داخله ، وبنوا الباب المذكور بالرخام الأبيض والأسود ، وزخرفوه زخرفة عظيمة ، وكذلك القباب المذكورة ، ومازالت الأبواب الخشبية بالمسجد تحمل اسم السلطان قايتباى[1] .

وخفضوا أرض مقدم المسجد حتى ساوت أرض المصلى الشريف ، واتخذوا له محرابا فى محل الصندوق الذى كان هناك ، وزخرفوه بالرخام وكذلك المحراب العثمانى زخرفة عظيمة وأعادوا ترخيم الحجرة الشريفة وما حولها وترخيم الجدار القبلى .

وعملوا المنبر ودكة المؤذنين من رخام ، وأخذوا فيما أعادوه من الجدار الشرقى خزائن للكتب وطاقات كبارا كالأبواب المقنطرة فى أعالى الجدار ، وطاقات متسعة مستديرة لتكثير الهواء والضوء ، ولم يكن بأعالى الجدار المذكور أولا غير شباك واحد ، وجعلوا نظير تلك الطاقات فى الجدار القبلى .

كذلك عوض السلطان المصاحف والكتب التى احترقت وأرسل جزءا منها مع الشيخ السمهودى ، ووعد بإرسال ما يحتاج اليه .

وقد كملت سُقُف المسجد كلها فى أواخر شهر رمضان عام ثمانية وثمانين وثمانمائة ، وتمت عمارة المسجد الشريف عقب ذلك[2] .

---

(١) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٨٥ .

(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٣٩ - ٦٤٤ .

ولم تكد عمارة المسجد النبوى تتم حتى ظهرت فى القبة تشققات ومالت المئذنة الرئيسية فغضب السلطان لذلك الإهمال مع كثرة النفقة ، فعزل سنقر الجمالى ، وولى مكانه شاهين الجمالى وكان معروفا بحسن الخلق وإصابة الرأى مشهورا بالنبل والفضل ، فأسند اليه مهمة إصلاح المنارة والقبة ، وأسند إليه مشيخة الحرم .

وحضر الأمير شاهين إلى المدينة فجمع أهل الرأى واستشارهم فى أمر القبة والمنارة ، فاجتمع الرأى على هدم المنارة ، فهدمها ثم حفر أساسها حتى بلغ به الماء ، وبناها بالحجارة السود وأحكم بناءها ، وأما القبة فقد عزم على هدمها وبنائها كذلك ، فجعل تحتها سقفا من الخشب حتى لا يسقط شيء من الهدم داخل الحجرة الشريفة ، ثم بدأ فى الهدم .

وجعل للعمال طريقا من خارج المسجد إلى القبة مباشرة بعمل سقالات إلى سقف المسجد من الناحية الشرقية يمشى عليها العمال ، ويؤدون أعمالهم ، وعمل حاجزا لمحل المنارة حتى لا يكون العمل فيها من داخل المسجد ليصونه من الامتهان بعمل أرباب الصنائع[1] .

أوقاف السلطان قايتباي على أهل المدينة

لما حج السلطان الأشرف قايتباى شرع فى شراء أماكن لتكون وقفا على أهل المدينة ، فأمر بشراء دور فى غربى الحرم وقبلته ، والشروع فى بناء رباط ومدرسة ، وشرعوا كذلك فى بناء رباط آخر بدل رباط الحصن العتيق ، وفى حمام مقابل هذا الرباط ، واستأجروا أرض الحمام من ناظر الميضأة التى بباب السلام[2] .

وكذلك شرعوا فى عمارة طاحون وسبيل وفُرن ومطبخ للدشيشة وجعل ذلك وقفا يحمل ريعه إلى المدينة المنورة ليفرق على أهلها ، ويعمل منه سماط كسماط الخليل عليه السلام يمد للناس وعليه الطعام يأكل منه من يريد ، وبذل لذلك ستين ألف دينار .

---

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٤٦ ، ٦٤٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٤٤ ، ويعلق السمهودى على هذه الاعمال العظيمة بقوله : ولم يكن فى المدينة الشريفة حمام قبل ذلك من مدة مديدة وكذا الطاحون ، وانما يستعملون الارحاء التى تدار باليد .

واشترى أماكن فى مصر تدعيما لهذا الوقف ، وكان حاصل هذه الأوقاف سبعة آلاف وخمسمائة أردب من الحب فى كل سنة[1] فكان يعمل منه السماط ، ويصرف منه كفاية أهل البيوت بالمدينة ، وكان ذلك فى السنة التى انتهت فيها عمارة المسجد سنة ثمان وثمانين وثمانمائة هجرية .

وفى سنة تسع وثمانين وثمانمائة أرسل السلطان قايتباى الدهانين من مصر ليمحوا ما كان فى سقف المسجد من الدهان بالنيلة وإبداله بالأَزْورْد ، وكذلك بعث بهاء الدين أبا البقاء ابن الجيعان ، فوصل المدينة فى اليوم السابع من ذى القعدة ، ومعه احمال من كتب العلوم الشرعية موقوفة على المدرسة الأشرفية التى سبقت الاشارة إليها ، وأحمال كثيرة من الحب والدقيق والقدور والنحاس التى خصصت للسماط السابق الذكر وأحضر معه الآلات الخاصة بالعمارة لإكمال المدرسة والرباطين ، وقرر أمر السماط فصرف لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه على حسب عدة عياله ، لكل نفر سُبع أردب مصرى ، وسوّى فى ذلك بين الصغير والكبير ، والحر والعبد .

وجعل للآفاقيين ـ أى الذين يفدون إلى المدينة من نواحى الأرض ـ والمراد غير المقيمين ما يكفيهم من الخبز وطعام الجشيشة فى كل يوم[2] .

هذا وقد بلغت نفقة تلك العمارة على المسجد النبوى والمدرسة وتوابعها من الأربطة قبل أن تتم العمارة كاملة مائة وعشرين ألف دينار[3] .

وانتهت عمارة الحرم الشريف فى رمضان سنة ٨٨٨ هـ ـ أواخر اكتوبر ١٤٨٣ م هكذا كان اهتمام السلاطين المماليك بالحرم النبوى الشريف سواء كان ذلك من ناحية العمارة أم من ناحية الزخرفة والعناية .

وقد لاحظنا أن هذا الاهتمام قد أدى إلى إحداث أشياء لم تكن موجو دة فى المسجد قبل عهدهم كإحداث المقصورة حول القبر الشريف ، وإنشاء القبة فوقه وتسقيف المسجد بالقباب فى بعض نواحيه بدلا من السقف المعروف فى ذلك الحين وإدخال فنون من العمارة فى المنارات والطاقات والشرفات .

---

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٤٥ والجشيشة طعام يصنع من البر المجشوش ـ المطحون ـ

(٢) المصدر السابق ص ٦٤٥ .

(٣) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٨٥ .

ولم تكن عناية السلاطين بالحرم النبوى فحسب ، ولكنهم أولوا أهل المدينة النبوية عناية كبيرة لمجاورتهم للجناب الحبيب ﷺ فأنشأوا المدارس ، وفتحوا الأربطة ، وأجروا الصدقات ، وبعثوا الأرزاق ، وبنوا المطابخ والطواحين وأقاموا سقايات الماء ، وضاعفوا اهتمامهم بذلك حتى بلغوا به زوار المدينة من الآفاقيين وأبناء السبيل ، فجزاهم الله عن المدينة وساكنها وأهلها خير الجزاء .

إحصاء لما في المسجد من الأساطين والمرافق

وهذه إحصاءات لما كان بالمسجد الشريف من الأساطين والبالوعات والسقايات والمستودعات والقناديل ، وسنكتفى فى هذا الاحصاء بما كان عليه المسجد فى عهد السلطان الأشرف قايتباى الذى قام بعمارة المسجد والعناية به بعد الحريق الثانى ، وهى العمارة الأخيرة فى عهد دولة المماليك مع ذكر ما كان قبله بإيجاز .

الأعمدة : وكان فى المسجد الشريف ثلاثمائة وخمس اسطوانات ـ عامود ـ ، وقد وصف ابن جبير هذه الأعمدة فقال : أعمدة متصلة بالسمك ـ السقف ـ دون قسي ينعطف عليها ، فكأنها دعائم قوائم وهى من حجر منحوت قطعا ململمة مثقبة ، توضع أنثى فى ذكر ، أى بأعمدة الحديد ، ويفرغ بينها الرصاص إلى أن يتصل عمودا قائما ، ويُكسى بغلالة جيَّار ، ويبالغ فى صقلها ودلكها فتظهر كأنها رخام أبيض[1] .

وأما عدد البالوعات فقد كان به أربع وستون بالوعة لماء المطر ، ولكنه فى عهد السمهودى لم يكن به سوى بالوعة واحدة ذات فوهتين : إحداهما إلى جهة القبلة والثانية إلى جهة الشام ويجتمعان فى بئر واحدة ، وعلى كل فوهة حجر كالرحا ، وأسفل الحجرين مشبك ـ شبك ـ يدخل الماء من خلاله ليمنع نزول الحصباء[2] .

وأما السقايات فقد وردت بمعنى الميضأة وقال فيها ابن النجار : وأما الآن

---

(١) رحلة ابن جبير ص ١٧١ والجيار ـ الجير ـ النورة واخلاطها والقسى العقود .

(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٧٧ ، ٦٧٨ .

فليس فى المسجد سقاية إلا فى وسطه ، وقال : وفيه بركة كبيرة مبنية بالآجر ـ والطوب المحروق ـ والجص والخشب ينزل إليها بدرج أربع فى جوانبها ، والماء ينبع من فوارة فى وسطها تأتى من العين ، ولا يكون الماء فيها إلا فى أيام المواسم إذا جاء الحاج ، وبقية السنة تكون فارغة .

وقال أيضا : وعملت أم الخليفة الناصر لدين الله فى مؤخر المسجد سقاية كبيرة ، فيها عدة من البيوت ـ المراحيض ـ وحفرت لها بئرا ، وفتحت لها بابا إلى المسجد فى الحائط الذى يلى الشام .

وكذلك وردت السقايات بمعنى الماء الذى يخصص للشرب ، وذلك ما قصده ابن زبالة حين قال : وكان فى صحن المسجد تسع عشرة سقاية ، منها ثلاث عشرة احدثتها خالصة ـ وهى أول من أحدث ذلك ـ ومنها ثلاث سقايات لزيد البربرى مولى أمير المؤمنين ، ومنها سقاية لأبى البحترى وهب بن وهب ، ومنها سقاية لشجن أم ولد هارون أمير المؤمنين ، ومنها سقاية لسلسبيل أم ولد جعفر بن أبى جعفر .

يقول السمهودى : وليس بالمسجد اليوم شىء من السقايات إلا ما يحمل اليه من الدوارق المسبَّلة فيشرب بها الناس فى أوقات مخصوصة ، ثم جعل السلطان قايتباى سبيلا مما يلى باب الرحمة له شباك إلى المسجد[1] .

المستودعات : وكان فى المسجد المبارك اثنا عشر مستودعا سوى بعض الخزائن التى لم تكن تستعمل كمستودعات وهى القبة التى فى صحن المسجد ويوضع فيها الزيت وقود الحرم ، وأمام كل منارة من المنارات الأربع خزانة يضع فيها الخدم حوائجهم من الفرش ونحوها ، ويلى المئذنة الخشبية ـ الشمالية الغربية ـ مستودعان كبيران يوضع فيهما القناديل الزجاج وبعض آلات المسجد .

وفى جهة المشرق مما يلى المنارة السنجارية ـ الشمالية الشرقية ـ غرفة كبيرة فيها فرش الخدم ، وإلى جانبها خزانتان : إحداهما تكون لمن عليه النوبة من الفراشين يضع فيها فوانيس المسجد ونحوها ، والثانية لأحد الخدم ، وفى الجهة نفسها بين باب جبريل وباب النساء خزانة يضع فيها الخدم الماء لشربهم ، كذلك يضعون فيها فرشهم وأمتعتهم .

---

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٧٩ ، ٦٨٠ .

وقد قال ابن جبير عن خدم المسجد : وسدنته فتيان أحابيش وصقالبة ظراف الهيئة نظاف الملابس والشارات[1] .

وفى غربى المسجد بين باب الرحمة وباب السلام مستودع يوضع فيه النورة[2] .

وأما القناديل : فقد كان فى المسجد منها فى زمن ابن زبالة مائتان وتسعون قنديلا ، وفى زمن السمهودى مائتان وستة وخمسون قنديلا توقد كل ليلة ، وكان هناك مائة اخرى توقد فى المناسبات ، وكانوا يجعلون فى كل عقد من عقود صحن المسجد من المقدمة والجنبتين ثلاثة قناديل ، وفى مؤخر المسجد قنديلا واحدا .

وبصحن المسجد أربعة مشاعل : اثنان فى جهة القبلة ، والآخران فى جهة الشام ـ الشمال ـ وكل مشعل منهما يشبه الاسطوانة ، وبأعلاه شعلة توقد فى ليالى الزيارات المشهورة .

ويحتفلون بزيادة الإنارة فى شهر رمضان ، وبخاصة فى ليلة سبع وعشرين منه ، كما يسرجون فى كل ليلة من لياليه نحو أربعين شمعة ، يضعونها فوق الشمعدانات فى قبلة الروضة والحجرة وغربى المنبر ، وبعضها فى محراب الأحناف .

وللمسجد فوانيس ، يطوف بها الخدم بعد صلاة العشاء الآخرة ، ليخرجوا الناس من المسجد عند إغلاقه ، وعدة هذه الفوانيس ستة[3] .

وللمسجد النبوى الشريف إمام واحد يصلى بالناس فى محراب رسول الله ﷺ وفى أيام الموسم ـ موسم الحج ـ يتقدم فيصلى فى المحراب العثمانى الذى هو آخر زيادة عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ وظل الأمر كذلك حتى سعى رجل يسمى طوغان شيخ لاحداث محراب للأحناف ، وكان ذلك فى دولة الأشرف إينال ، ولكن أهل المدينة قاموا فى وجهه ، ومنعوه من تحقيق هدفه ، وساعدهم على ذلك ناظر الخواص الشريفة جمال الدين يوسف ، واخفقت مساعى طوغان ، ولم يتم له ما أراد .

فلما توفى جمال الدين يوسف ، بدأ طوغان يجدد سعيه حتى صدر مرسوم بعمل محراب للحنفية ، واستمر إلى زمن السمهودى ـ رحمه الله ـ فكان إمام المسجد يصلى

---

(١) المصدر السابق ص ٦٨٠ ، ٦٨١ .

(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٨١ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٨١ .

بالناس فى المحراب النبوى حتى إذا انتهى من صلاته ، صلى إمام الأحناف فى محرابه ، وكان إمام المسجد شافعيا .

كان ذلك فى صلاة الفريضة أما في التراويح فكانا يصليان معا فى وقت واحد كل فى محرابه .

مساحة المسجد في عهده

وقد أضاف السلطان قايتباى إلى مساحة مسطح المسجد حوالى مائة وعشرين مترا مربعا [1] فأصبحت بذلك مساحة المسجد الكلية ١٢٠م٢ × ٩٣٠٩م٢ مساحة المسجد فى عهد الخليفة المهدى تساوى تسعة آلاف وأربعمائة وتسعة وعشرين مترا مربعا .

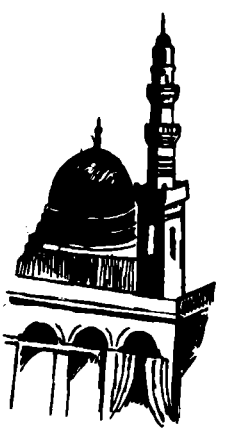

(١) آثار المدينة المنورة ص ١١١ .

الباب الرابع

الفصل الأول

المسجد النبوي في العصر العثماني

وأحب أن أشير هنا إلى أن المراد بالعصر العثمانى هو العصر التركى ، وذلك خوفا من الالتباس فكثير من المؤرخين يطلقون على المحراب الذى هو نهاية توسعة المسجد من جهة القبلة فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه المحراب العثمانى ، وحين يقال ذلك يلتبس الأمر ، ويظن بعض الناس أنه منسوب إلى الدولة العثمانية ، وهو فى الحقيقة نسبة إلى سيدنا عثمان بن عفان .

وتعتبر إصلاحات السلطان قايتباى آخر الاصلاحات التى تمت فى المسجد النبوى المبارك حتى استولى العثمانيون على مصر عام ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م ، وأنهوا بذلك حكم المماليك عندئذ آلت اليهم السلطة على بلاد الحجاز ، وتولوا هم أمر الأماكن المقدسة فيها ، وأولوها عناية فائقة ، واهتماما كبيرا .

وكان أول من عمل منهم إصلاحات فى الحرم النبوى هو السلطان سليمان القانونى ، ولم تكن العمارة كبيرة بل كانت بعض الترميمات فى المسجد وفى باب السلام ، وكان ذلك فى عام ٩٤٠ هـ - ١٥٣٤ م ، ٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م ، ويرجح أن هذه العمارة كانت أثناء تعمير سور المدينة الذى استغرق بناؤه سبع سنوات من ٩٣٩ - ٩٤٦ هـ - ١٥٣٢ - ١٥٣٩ م ،[1] .

وكانت العمارة الرئيسية فى العصر العثمانى فى عهد سليمان القانونى سنة ٩٤٧ هـ - ١٥٤٠ م ، وتناولت هذه العمارة باب الرحمة ، وباب النساء حيث أقيم على جانبيه برجان من خارج المسجد لتقويته وتدعيمه ، وهدم الجدار الغربى وأعيد بناؤه مع باب الرحمة وأما الجدار الشرقى فقد عملت فيه بعض الإصلاحات والترميمات من أسفله فقط وهدمت المنارة الشمالية الشرقية (السنجارية) وأقيمت مكانها المئذنة السليمانية وكان عمق أساسها ثلاثة عشر ذراعا بذراع العمل ، وهو

---

(١) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٨٨ .

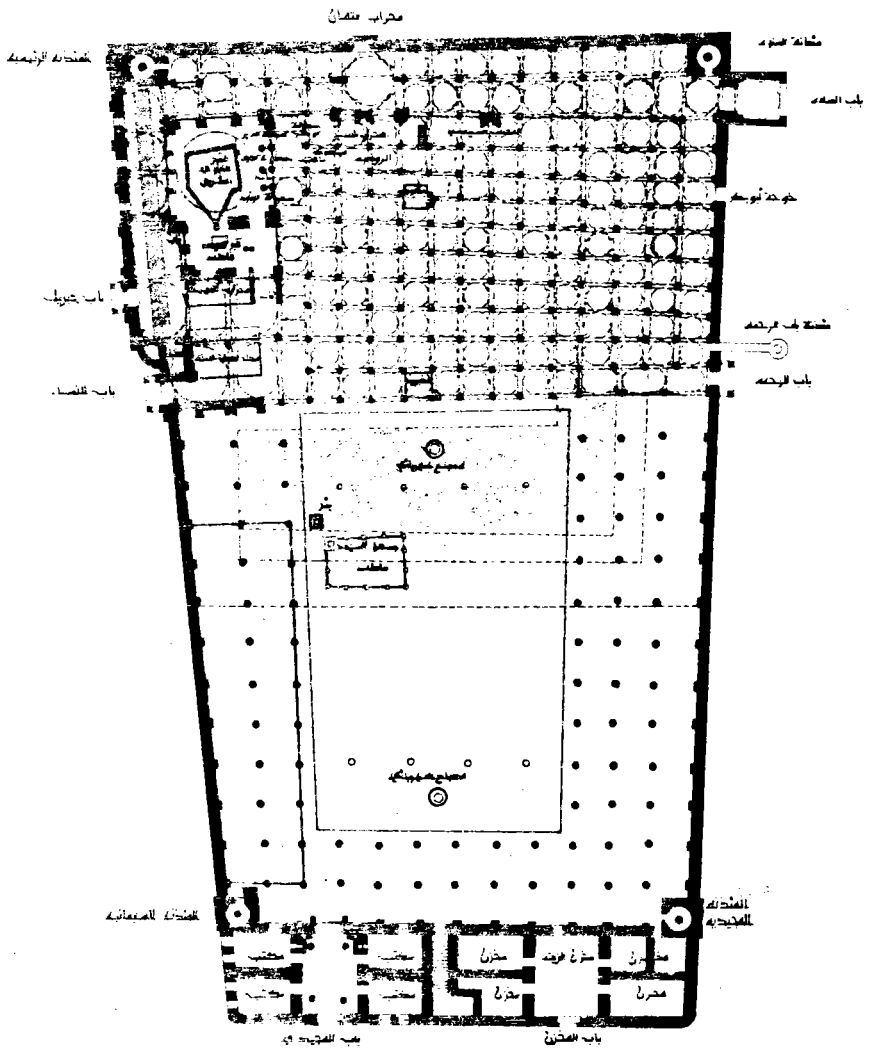

المسجد النبوى في العصر العثماني في القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى .

يساوى ذراعا وثلثا من ذراع الآدمى تقريبا حيث يبلغ طوله ٦ , ٦٥سم ، أى أن عمق الأساس يساوى ٨ , ٥٣م وأما عرضها فسبعة أذرع فى سبعة اذرع أى ٤ , ٥٩م ، وكان عرضها على سطح الأرض ٦ × ٦ أذرع أى ٤ امتار تقريبا وكتب على باب الرحمة وباب النساء تاريخ بنائهما واسم السلطان سليمان[١] .

كذلك عملت أعمال البياض للجدران والاسطوانات ، وكتب اسم السلطان على السقف المجاور للجدار الغربى[٢] .

وقد أرسل السلطان كل ما يلزم للبناء من الجمال والدواب والبنائين والحجارين والنحاتين وجهز من البحر ما يحتاج إليه من الغلال ، وبعث بالأهلة فوضع احدها على القبة فى تاسع عشر شوال المبارك سنة ست وأربعين وتسعمائة ، ومعه خمسة أهلة لكل منارة هلال وهلال للمنبر .

وهذه الأهلة من النحاس المطلى بالذهب ، يقول محمد بن خضر : ويقال إن المصروف على طلاء الأهلة من الذهب السليمانى المسكوك ألف وثمانمائة دينار ذهب[٣] .

وكان مهندس العمارة هو المعلم على بن تبك ، وأما المشرف فهو تاج الدين الخضيرى وهما مصريان ، وأحضرا معهما من مصر كل ما تقدم من لوازم العمارة ونفقاتها[٤] .

وفى ١٧ من شهر محرم عام ٩٤٨ هـ - ١٣ مايو ١٥٤١ م ، بدأوا فى بناء محراب الأحناف محل المحراب السابق الذى سعى لإنشائه طوغان شيخ قبل ٦٨٠ هـ - ١٤٥٥ م ، وأمر السلطان بتقديم المحراب ليكون محاذيا لمحراب الشافعية الذى هو فى الأصل محراب رسول الله ﷺ الذى فى الروضة الشريفة .

وصلى إمام الأحناف فى هذا المحراب فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول من السنة نفسها وكأنه تحرى أن يكون بدء الصلاة فى المحراب فى ليلة المولد النبوى الشريف[٥] .

---

(١) التحفة اللطيفة ص ٩١ تحقيق حمد الجاسر ضمن رسائل فى تاريخ المدينة .

(٢) التحفة اللطيفة ص ٩٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٩٠ .

(٤) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٨٨ ، التحفة اللطيفة ص ٩٠ .

(٥) التحفة اللطيفة ص ٩٢ .

وتم مع هذه العمارة ترخيم الروضة الشريفة ، وعملت وزرة على المحجرة النبوية ، وأصلح رصاص القبة على القبر النبوى[١] .

وفى الفترة الزمنية بين حكم السلطان سليمان الذى حكم من سنة ٩٢٦ - ٩٧٤ هـ - ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م وحكم السلطان عبد الحميد الأول الذى حكم من سنة ١١٨٧ - ١٢٠٣ هـ - ١٧٧٤ - ١٧٨٩ م ، أجريت إصلاحات فى الحرم الشريف ، ولكنها عمليات صغيرة ، أهمها وضع المنبر الرخامى البديع الصنع فى المسجد سنة ٩٨٨ هـ - ١٥٩٨ م .[٢] .

وفى عهد السلطان عبد الحميد المذكور أجريت عمارة كبيرة فى المسجد النبوى حيث عمل رخام لأرضية المسجد من باب السلام إلى مواجهة القبر الشريف ، كما عمل رخام لحائط القبلة ، ورخام على اسطوانات الصف الأول فى الروضة ، وذلك عام ١١٩١ هـ - ١٧٧٧ م ، كذلك جدد باب الرحمة وباب جبريل عام ١٢٠١ هـ - ١٧٨٦ م[٣] .

وقد ظهر فى القبة بعض التشقق ، وهى القبة التى صنعت فى عهد السلطان قايتباى فهدمت وعمل للقبر قبة جديدة ، وغطيت بألواح الرصاص ، ودهنت باللون الأخضر ، وتم ذلك عام ١٢٢٨ هـ - ١٨١٣ م ،[٤] فى عهد السلطان محمود الثانى وبإشراف إبراهيم باشا محافظ المدينة كما سنعرفه بعد .

وفى عهد السلطان المذكور عملت أرضيات رخام بالجناح الشمالى ، وأجريت بعض الإصلاحات كذلك عملت تكسية بالبورسلان لحوائط القبر[٥] .

المسجد في عهد السلطان عبد المجيد الأول

تعتبر عمارة السلطان عبد المجيد الأول الذى حكم من عام ١٢٥٥ - ١٢٧٧ هـ الموافق ١٨٣٩ - ١٨٦١ م أكبر عمارة أجريت على المسجد النبوى فى

---

(١) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٨٩ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٩٠ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٩٠ .

العصر العثمانى حيث شملت المسجد كله ما عدا الحجرة الشريفة والمحاريب الثلاثة والمنبر والمنارة الرئيسية .

وقد استغرقت فترة البناء والتعمير اثنتى عشرة سنة ، فقد بدىء العمل من عام ١٢٦٥ هـ - ١٢٧٧ هـ ، ١٨٤٨ - ١٨٦١ م ، وكان المسجد قبل تلك العمارة على بناء المرحوم الملك قايتباى من ملوك مصر المحروسة[١] .

سبب العمارة

يقول على بن موسى : إن إحدى قباب المسجد قد سقطت على بعض زوار الرسول ﷺ سنة ١٢٦٥ هـ - ١٨٤٨ م ، فقضت عليهم ، فرفعوا الأمر إلى المرحوم السلطان عبد المجيد خان أمير المؤمنين فى ذلك الوقت ، فأخذ فى أسباب تجديد الحرم الشريف بتمامه[٢] وعين المهندسين والمأمورين والمعلمين والحجارين ، وبعث معهم المهمات اللازمة والنقود الكافية وأراد المهندسون أن يغيروا أماكن الاسطوانات عما كانت عليه فى زمن الرسول ﷺ فعارضهم فى ذلك وجوه الناس فى المدينة حذرا من ضياع الآثار واندسارها ، فتركوا ذلك وعدلوا عنه .

وبدأوا فى العمل من الجهة الشرقية ، وزادوا فى هذه الجهة من المنارة الرئيسية إلى جدار مخزن الأغوات إلى جهة الشرق أربعة أذرع بذراع العمل - أى ما يعادل ٢,٦٣ م - والغرض من ذلك توسيع المساحة بين المقصورة والجدار الشرقى الذى به باب جبريل وباب النساء كذلك وسعوا من جهة الشمال بقدر ما أقيمت فيه مكاتب - كتاتيب - عرف باسم المكاتب المجيدية ، وكذلك أضافوا إلى هذه التوسعة جزءا من ميضأة الأغوات التى كانت تقع فى الشمال وكان بابها من داخل الحرم ، ولم يزيدوا شيئا فى الحرم سوى ذلك ، وأما الأساطين فأعادوها فى مواضعها الأولى من غير تغيير[٣] وفى قول آخر لعلي بن موسى أن الزيادة فى الجهة الشرقية كانت خمسة أذرع .

---

(١) وصف المدينة المنورة لعلى بن موسى رسالة ضمن رسائل فى تاريخ المدينة تحقيق حمد الجاسر ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) وصف المدينة ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) المصدر السابق .

كيف بني المسجد ؟

بنى المسجد بالحجر الأسود المأخوذ من الحرة ، وأما الاسطوانات والعقود فكلها من الحجر الأحمر لأنه أسهل فى النحت ، وأجمل فى اللون ، وأوفق لما عمل به من غرائب الصناعة[٥] وغطيت الأعمدة بطبقة من الرخام المزخرف المزين بماء الذهب ، كما عملت أعمدة جديدة من قطعة واحدة ، عليها عقود تحمل أعلاها قبابا ، ودعمت الحوائط بالأكتاف لمقاومة الدفع الخارجى للعقود[١] .

وهذه الأعمدة المغطاة بالرخام والمزينة بماء الذهب هى أعمدة الروضة الشريفة ، لأن هذا هو المشاهد ، حيث بقية الأعمدة ليست مغطاة بالرخام ، وفى هذا يقول على بن موسى : وعدد الأساطين التى فى الحرم الشريف النبوى مائتان وتسع وعشرون اسطوانة ، ما عدا النصف اللاصق من تحت رجل كل عقد على جدران الجهات الأربع .

قال : ومن الأساطين المذكورة وسط الروضة المطهرة وما حولها خمس وعشرون نحو الثلث منها ملبس بالمرمر المموه بماء الذهب ، وخمس لا رخام عليها ، وإنما هى مموهة بماء الذهب ، وكذا رؤوس الأساطين مموه بالذهب[٢] .

وقد نقلت حجارة الأعمدة على عربات من جبل بعيد عن المدينة المنورة فى الجهة الغربية من وراء الجماوات ، وكانت العربات تنقل الحجارة إلى المدينة مسافة أربع ساعات ، ولهذا يرجح أن تكون هذه الحجارة قد جلبت من وادى العقيق[٤] .

أرضية المسجد وسقفه

قبل الكلام على أرضية المسجد وسقفه ينبغى أن أنبه إلى أن الذين قاموا ببناء المسجد فى عهد السلطان عبد المجيد قد وضعوا علامات يحددون بها المسجد على ما كان عليه فى عهد الرسول ﷺ وهذه العلامات هى :

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٩٥ .
(٣) وصف المدينة ص ٥٨ ، ٥٩ .
(٤) المصدر السابق ، المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٩٥ .

حدود المسجد

١ ـ من جهة القبلة الدرابزين المصنوع من النحاس الأصفر فى نهاية الروضة الشريفة والذى عنده خزانات من الألمنيوم الأصفر توضع فيها المصاحف الآن .

٢ ـ من جهة الشمال بداية الصحن الأول الذى يلى المسجد المسقف ، وهناك اسطوانة تطل على الجهة الشمالية للصحن كتب عليها (حد مسجد النبى ﷺ) وهذه الجهة التى كتب أعلاها الحديث الشريف (صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) .

٣ ـ من الجهة الشرقية جدار الحجرة الشريفة على يسار المتجه إلى القبلة وهو واقف بالروضة ، والجدار الذى بالروضة هذا ليس هو جدار الحجرة ، وإنما هو جدار المقصورة التى ضربت حول القبر الشريف فى عهد السلطان قايتباى ، وبداخلها حائط الجدار الذى بناه عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ ويليه ملاصقا له جدار الحجرة النبوية ، ولهذا يقول المؤرخون : إن جزءا كبيرا من الروضة قد أدخل فى المقصورة .

٤ ـ من الجهة الغربية الاسطوانة الخامسة قبل الجدار الغربى للمسجد ، وقد كتب عليها فى أعلاها داخل عقد مموه بماء الذهب (حد مسجد النبى ﷺ) ويليها إلى الغرب اسطوانتان توسعة سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ ثم اسطوانة توسعة سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ ثم اسطوانة وعقد إلى جدار المسجد توسعة الوليد رحمه الله .

بعد هذا التنبيه أقول : إن أرضية المسجد المحدود بالحدود السابقة ما عدا الرواق الأخير الموازى لدكة الأغوات من شمال المسجد كانت مفروشة بالحجارة السود الحراوية ، ومكحول بين هذه الحجارة بالنورة (الجير) .

وأما التوسعات التى طرأت على المسجد ، مثل الرواقين الأماميين ـ توسعة سيدنا عمر وسيدنا عثمان ـ أى من باب السلام إلى المنارة الرئيسة ، ومن المنارة الرئيسة إلى دكة الأغوات ـ أى المكان المعروف بالصفة فى عصر الرسول ﷺ ومنها إلى باب الرحمة ، ومنه إلى باب السلام ، كل ذلك كان مفروشا بالرخام المربع .

وأما مؤخر الحرم فمفروش كذلك بالرخام ، ما عدا جهة باب التوسل ـ أى

باب عبد المجيد ـ ومنه إلى جهة الشرق ـ أى إلى المنارة السليمانية ـ فكان مفروشا بالحجر الأحمر[1] .

وكان سطح المسجد كله قد غطى بالقباب بدلا من السقف العادى ، وقد لبست القباب بألواح الرصاص حتى لا يتأثر السقف بماء المطر ، وليسهل جريان الماء ، وكان ارتفاع السقف من داخل الحرم على سمت واحد ، وأما من فوق السقف فكانت القباب متفاوتة ، أعلاها القبة التى فوق القبر ، ثم تليها قبة المحراب العثمانى ، ثم قبة باب السلام ، وباقى القباب على ارتفاع واحد[1] .

وبعض هذه القباب كانت لها شبابيك ذات زجاج ملون ، ومركب لها سلك يمنع دخول ماء المطر ، والغبار ، وبعضها لم يكن له شبابيك ، وكلها مبنية بالطوب المربع والنورة الصافية ، والطين الحلو المصفى[1] .

وفى داخل القباب نقشت نقوش بديعة ، وكتبت آيات قرآنية بالخط الثلث الجميل ؛ كذلك كتبت أبيات من بردة البوصيرى ، وأما قباب المؤخرة فكانت نقوشا ولا كتابة فيها[1] وهذه القباب قد أزيلت فى التوسعة السعودية .

وكان جدار القبلة ملبسا بالصينى الملون (البورسلان) أو القيشانى ، وقد كتب عليه أربعة أسطر بالخط الثلث ـ الإسلامبولى ـ ثلاثة منها آيات من القرآن الكريم من سورة آل عمران والتوبة (**إنا فتحنا لك فتحا مبينا**) والسطر الرابع كتب فيه أسماء وصفات ـ النبى ﷺ ـ وعددها مائتان وواحد[2] كذلك كتب فى بعضها قصيدة شعرية . والكتابة التى على جدار القبلة كتبت بماء الذهب ، وأما التى فى القباب فكانت بالكتابة البيضاء ، وكلها بخط الخطاط عبدالله أفندى زهدى[3] وكان الخطاط يتقاضى راتبا شهريا ذكره على بن موسى وقدره بسبعة آلاف وخمسمائة قرش ـ أى ما يساوى ٧٥ جنيها مصريا ـ وأعتقد أن هذا المبلغ مبالغ فيه ، وبخاصة إذا عرفنا أن الكتابة قد استمرت عشر سنوات كما ذكر البتنونى ، أو ثلاث سنوات كما ذكر الأستاذ صالح مصطفى[4] .

---

(١) وصف المدينة ص ٥٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٠ .

(٣) مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ابراهيم رفعت .

(٤) البتنونى الرحلة الحجازية ص ٢٤٥ ، المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٩٦

المحاريب

كان فى المسجد الشريف ثلاثة محاريب أحدها المحراب النبوى ، وعندما أقول المحراب النبوى لا أعنى أنه كان هناك محراب مجوف بهذه الصفة فى عهد الرسول ﷺ ولكن المقصود هو المحراب الذى أقيم حيث كان رسول الله يقف للصلاة بأصحابه ، وهو الذى فى الروضة الشريفة ، وفى ظهر هذا المحراب من جهة الغرب تقع الأسطوانة المخلقة ، وهى التى فى المكان الذى كان يصلى اليه الرسول ﷺ[1] .

والذى يصلى إلى هذا المحراب الآن ـ كما يقول على بن موسى ـ يضع جبهته فى محل جلوس الحضرة الشريفة ، والمقتدى بالإمام الذى يصلى فى هذا المحراب ، ويكون فى الصف الأمامى خلف الإمام يكون فى موقف الصديق الأعظم رضى الله عنه[1] .

وأما المحراب الثانى فهو المحراب الذى على حذاء المحراب النبوى إلى جهة القبلة ، وهو المحراب المقام حيث كان سيدنا عثمان رضى الله عنه يصلى بالمسلمين ، وذلك حين زاد فى المسجد الزيادة الجنوبية ـ المعروفة بالمواجهة[1] ـ ولم يكن فى عهد سيدنا عثمان محراب مجوف كذلك ، لأن هذه المحاريب لم تعرف إلا فى عهد الوليد بن عبدالملك كما قدمنا .

وأما المحراب الثالث ويقع خارج الروضة ، غربى المنبر ، على يمين المتجه الى القبلة فهو المحراب الذى أحدثه السلطان سليمان بن سليم المعروف بالقانونى سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م وعرف بمحراب الحنفية[2] .

وكانت الإمامة فى الحرم للمالكية ، فلما كان القرن السابع ، وبواسطة بعض ملوك مصر عين إمام شافعي ، وكان يصلى الصبح فى العتمة قبل المالكية ، وأما بقية الأوقات فكان الإمام المالكى يصلى أولا ثم يصلى بعده الإمام الشافعى ، يقول على بن موسى : وفى زماننا بالعكس بسبب تخصيص المعاش ، صار المتقدم والجماعة الكبرى للأحناف ، ومن بعدهم الشافعى إلا فى الصبح فالأول جماعة الشافعى ، ثم المالكى ، ثم الحنفى بإقامة مخصوصة[3] .

---

(١) وصف المدينة ص ٦٠ .
(٢) التحفة اللطيفة ص ٩٢ .
(٣) وصف المدينة ص ٦١ .

ويبدو أن المحراب النبوى والمحراب العثمانى على حالهما منذ بناهما السلطان الأشرف قايتباى وأما المحراب السليمانى فهو من أعمال السلطان سليمان ، لهذا يقول على بن موسى : والمحاريب اثنان على بناء المرحوم الملك الأشرف قايتباى ، والسليمانى حدث بعده ، وجميعهم لم يتغير منهم شيء ، وإنما مموه بماء الذهب ، وعملوا فى جوانبهم درجا من الصفر لقيادة الشمع الكبار[١] .

وكان فى كل محراب شمعتان كبيرتان لا تغيران إلا كل سنة فى ليلة النصف من شهر شعبان وشمعتان أخريان من الشمع الكافورى توقدان قبل إقامة الصلاة ، وكان أكبر هذه الشمعات الشمعتين اللتين فى المحراب النبوى[٢] .

وكان لكل محراب شمعدنات توضع فيه الشموع ليضاء بها ، فأما شمعدانات المحراب النبوى فكانت من الفضة هدية من السلطان مصطفى جان الغازى ، والآخران كانا هدية من عم شاه العجم ، وأما المحراب العثمانى والسليمانى فشمعداناتهم من الصفر ـ النحاس ـ لكل منهما اثنان من الكبار ، واثنان من الصغار[٣] .

أبواب الحرم والمنبر والمنارات

احتفظ الحرم بأبوابه الأربعة وهى : باب السلام ، وباب الرحمة وهذان البابان يقعان غربى المسجد ، وباب النساء وباب جبريل وهما يقعان شرقى المسجد ، وأوسع هذه الأبواب وأجملها باب السلام ، ولهذه الأبواب الأربعة مصاريع من خشب الجوز ، ومنقوشة نقوشا بديعة بالنحاس الأصفر[٤] .

وزاد السلطان عبدالمجيد فى عمارته بابا خامسا فى شمال المسجد ، وهو الباب المعروف بباب عبدالمجيد (باب التوسل)[٥] .

وأما المنبر فهو من الأشياء التى لم تغير فى عمارة السلطان عبدالمجيد ، وهو من عهد السلطان مراد خان الثالث وهو مصنوع من الرخام البديع الصنع ، وقد وضع

---

(١) المصدر السابق ص ٦١ والصفر هو النحاس ويقصد بقيادة الشمع إيقاده .

(٢) المصدر السابق .

(٣) وصف المدينة ص ٦١ .

(٤) المصدر نفسه ص ٦٠ .

(٥) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٩٥ .

فى المسجد عام ٩٨٨هـ / ١٥٩٨م[١] ويصفه على بن موسى فيقول : وهو من أجمل المنابر المعمولة من الرخام فى أعلى درجة من الزينة ، بيارقه الاثنان من المخمل الأخضر (القطيفة) مموه بماء الذهب ، وأعلامه من الذهب والفضة ، وفرشه من الخوخ الأحمر ، وستارة باب من جنس البيارق[٢] .

وكان فى المسجد فى تلك الفترة مكبريتان اتخذتا لإقامة الصلاة ، إحداهما فى الروضة الشريفة وهى مصنوعة من الرخام ، والثانية فى آخر المسجد المسقف ، وهى مصنوعة من الخشب ولها درابزين من الحديد مصبوغ باللون الأخضر ، وإقامة الصلاة دائما تكون من مكبرية الروضة لقربها من المحراب ، وأما فى أيام الأعياد والحج فينتقل المكبرون إلى المكبرية الخلفية لإسماع الناس إذا امتلأ المسجد[٣] .

كذلك كان للمسجد خمس منارات : ١ ـ المنارة الرئيسية وتقع فى الركن الجنوبى الشرقى من المسجد وهى الجهة المعروفة قديما بالملائكة ، والتى يقول عنها الناس اليوم مهبط الوحى ، وبناؤها على الوضع القديم منذ عهد السلطان قايتباى .

٢ ـ المنارة الشرقية الشمالية ، وتعرف بالسليمانية ، وهى التى أقامها السلطان سليمان القانونى بدلا من المنارة السنجارية ، وهذه المنارة اختل بناؤها فهدمت فى زمن السلطان عبدالعزيز خان بن محمود ، وبنيت على نمط المنارة المجيدية ، وجعل لها ثلاث شرفات .

٣ ـ المنارة الغربية الشمالية ، وتعرف بالمجيدية ، وكانت من قبل تعرف بالخشبية أو بالشكيلية وقد جددها السلطان عبدالمجيد فى عمارته فنسبت إليه وجعلها على رسم منائر الآستانة بثلاث شرفات ، وبعد تجديد السليمانية صارتا على نمط واحد .

٤ ـ منارة باب الرحمة وهى أقصر المنائر الخمس ، وبنيت فى عهد قايتباى ، وفى عمارة السلطان عبدالمجيد هدم نصفها الأعلى ، وجعلوا لها شرفتين ، وسميت منارة باب الرحمة لأنها كانت فى جهته ، وهى تقع بين المنارة المجيدية ، ومنارة باب السلام .

٥ ـ المنارة الغربية الجنوبية ، وتعرف بمنارة باب السلام ، وهى أطول من منارة باب الرحمة وهدم نصفها كذلك فى العمارة المجيدية ، وأعادوا بناءها ، وجعلوا لها شرفتين .

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٩ .

(٢) وصف المدينة ص ٦٢ .

(٣) المصدر نفسه .

وقد وضع فوق كل منارة من المنارات الأربع : السليمانية والمجيدية ، ومنارة باب الرحمة ، ومنارة باب السلام علم مموه بالذهب .

وأما المنارة الرئيسية فقد بنى فوقها مجمرة من جنس بناء المنارة ، ووضع فوق المجمرة العلم ، ومن دون العلم بكرات ثلاث لرفع القناديل الثلاثة وانزالها ، وهذه القناديل ترفع على المئذنة إشارة إلى أن وقت السحور لايزال باقيا ، فإذا أنزلت أطلقت مدافع الإمساك فى رمضان[١] .

الإضافات التي أحدثت في المسجد

فى عمارة السلطان عبدالمجيد أضيفت الى المسجد إضافات لم تكن فيه من قبل ، وقد سبق وأشرت إلى أن المسجد قد زيد خمسة أذرع من جهته الشرقية وذلك يعادل ٢٨ ,٣م تقريبا بقصد توسعة المسافة بين جدار الحجرة والجدار الشرقى ، وفى هذه الجهة عملت ميضأة خارج المسجد بين بابى جبريل والنساء[٢] .

ومن الناحية الجنوبية (جهة القبلة) عمل درابزين من النحاس الأصفر له أبواب للدخول منها إلى الروضة الشريفة ، وكذلك إلى بقية نواحى المسجد ، وهذا الدرابزين هو الحد الجنوبى للمسجد فى عهد الرسول ﷺ[٢] .

ومن الناحية الشمالية هدمت قبة الزيت التى كانت فى صحن المسجد ، وبنى بدلا منها مخزن جوار المئذنة الشمالية الغربية (المجيدية)[٣] ، كذلك فتح باب فى الزيادة الشمالية عرف بباب عبدالمجيد (باب التوسل) والجزء الشمالى الذى أضيف إلى المسجد به صالتان فى كل صالة أربع حجرات ، وبين الصالتين درج يصعد عليه إلى ميضأة بالطابق الأول ، وعمل تحت المسجد ميضأتان[٤] .

فأما الصالة الشرقية من الصالتين ففيها مدرسة لتعليم الصبيان تتكون من طابقين ، وأطلق عليها المكاتب المجيدية ، والأروقة التى فى شرقى الصحن خصصت للنساء ، وعمل حولها مقصورة من الخشب ، وأما الصالة الغربية فكانت

---

(١) وصف المدينة ص ٦١ ، ٦٢ .

(٢) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٩٦ .

(٣) وصف المدينة ص ٦١ .

(٤) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ٩٥ .

بدون سقف ، وبها مخازن الزيت والقناديل والحصر ، وهى المخازن التى بنيت بدل قبة الزيت .

وجعلت أرضية المسجد كلها فى منسوب واحد ، وذلك بتسوية أرضية جناح القبلة التى كانت منخفضة عن بقية أرض المسجد ، وعملت الأرضيات كلها بالرخام ، وكذلك رخم النصف السفلى لحائط القبلة ونقشت القباب من الداخل بنقوش بديعة ذات ألوان جميلة ، كذلك تم تذهيب المنبر والمحاريب الثلاثة[1] وكسيت قواعد الأعمدة بالنحاس الأصفر[2] .

فرش المسجد والحجرة

كان المسجد فى فصل الصيف يفرش بالحصير الذى كان يجلب من مصر ، وعدد الحصير أربعمائة حصيرة تأتى فى كل عام ، فيفرش المسجد ، وما يزيد عن حاجته تفرش به بقية المساجد والزوايا ، ويعطى منه لبعض الوجهاء ، فأما فى الشتاء فكان يفرش بالسجاد القطيفة الكبير المثمن ـ أى الثمين .

وقد صنعت مفارش من القطن الأزرق فى بلاد الهند بمعرفة رجل يعرف باسم عبدالواحد الميمنى تفرش فوق الحصير فى فصل الصيف[3] .

وأما الحجرة الشريفة فقد حظيت بعناية جميع السلاطين منذ ولايتهم أمور المسلمين ففى عهد السلطان سليمان القانونى عملت وزرة على الحجرة النبوية ، وأصلح رصاص القبة على القبر النبوى ووضع عليها هلال ، وفى عهد السلطان أحمد الثالث أجريت إصلاحات فى غرفة القبر النبوى ، وفى عهد السلطان محمود الثانى هدمت القبة التى أقامها السلطان قايتباى ، وذلك حين شوهدت شروخ بها وعملت قبة جديدة باشر العمل بها إبراهيم باشا بن محمد علي باشا والى مصر ، وذلك حين كان إبراهيم باشا واليا على جدة ومحافظا على المدينة المنورة عام ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م ، وتلك القبة هى الموجودة حتى يومنا هذا .

وأحب قبل أن اتكلم عن الحجرة أن أقول إن كلمة الحجرة إذا اطلقت فالمراد

---

(١) المصدر السابق ص ٩٦ .

(٢) مرآة الحرمين جـ ١ ص ٥١ .

(٣) وصف المدينة ص ٦٥ .

بها كل ما أحاطت به الشبكة الحديد المصبوغة باللون الأخضر من الشرق والغرب والشمال .

أرسل إبراهيم باشا إلى السلطان محمود خان يستأذنه فى بناء القبة فوق القبر الشريف ، وكذلك فى إعادة بناء قباب البقيع ومسجد المصلى ، فلما جاءه الإذن بذلك بدأ فى العمل فبنى غرفة من الخشب ، ووضع لها سقفا من الخشب ، ووضع عليه طبقة من اللَّبد (الصوف المتلبد) حتى لا يسقط شيء من التراب على القبر الشريف ، ثم هدم القبة القديمة ، وبناها بالطوب الكبير المربع ، فبنيت فى أسرع وقت على وضعها الحالى ، وألبسها صفائح من الرصاص ، ووضع فوقها العلم الذهب ، ثم رفع الغرفة الخشبية ، وجيء بالستائر المزركشة المكتوبة بالخط الجميل ، وألبست للجدار الحائط بالقبة الأصلية التى على بيت السيدة عائشة رضي الله عنها وكتب اسمه واسم أبيه واسم السلطان محمود فى دائرة القبة الشريفة عام ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م ، ثم بنى قباب البقيع ، وكتب اسمه واسم أبيه واسم السلطان محمود فى قبة آل البيت رضى الله عنهم وأعاد إبراهيم باشا ، الصينى (القيشانى) الأخضر الذى كان فوق القبة وركبه فى بعض الأساطين ، وفى جدار القبلة حتى لا يضيع .

والمراقد الثلاثة الشريفة مسنمة بالرمل الأحمر ، وعلى جدار عمر بن عبدالعزيز ركبت الستائر الخضر المكتوب عليها بالحواشى ، ولها حزام من القماش الثقيل الأحمر ، وحولها ستار من الحديد الأخضر ، وستائر كبار بصجق ؟ من القصب معلقة من الخارج ، وفوق القبة شبكة حديد تعلق بها الهدايا من الذهب والفضة والجواهر .

والمكان الذى يدخل منه الأغوات إلى الحجرة مفروش بالرخام ، ولا يدخلون إلا لحاجة ضرورية وبين بيت السيدة عائشة ، وبيت السيدة فاطمة الزهراء شبك من الحديد فيه باب يدخل منه شيخ الحرم ونائبه لوضع الشمعدانين المصنوعين من الذهب ، وفيهما الشمع ، وذلك كل ليلة قبل المغرب بثلث ساعة ، فأما شيخ الحرم فيضع الشمعدان عند الرأس الشريف ، وأما نائبه فيضع الشمعدان عند قدميه ﷺ وعند الوجه الشريف يوضع شمعدانان من الذهب كبيران مرصعان بالألماس ، ويضاءان بالشمع الكافورى ، وهما هدية السلطان عبدالمجيد صاحب العمارة[1]

(١) المصدر السابق بتصرف ص ٦٦ ، ٦٧ .

للحجرة الشريفة بعد تلك الشمعدانات مائة قنديل بسلاسل ذهبية ، وفى بيت السيدة فاطمة الزهراء شمعدانات من الفضة توضع عند التابوت ، وبه أربعون قنديلا معلقة بسلاسل الذهب وكسوة التابوت مثل كسوة الحجرة الشريفة ، وللتابوت الذى بغرفة السيدة فاطمة أربعة أركان لكل ركن منها علم من ذهب ، وهذه الأعلام هدية من والدة السلطان عبدالعزيز خان ، ولكل علم هلال من الجواهر ، ويوضع فوق كسوة التابوت شيلان كشميريه ، وبعضها مشغول بالقصب ، وهذه الكسوة تغير دائما[1] . .

هذا هو وصف الحجرة ومحتوياتها فى غير شهر رمضان ، فأما فى رمضان فيزداد على ذلك عشرون شمعدانا بها عشرون شمعة من الشمع الكبير ، وهذه هدية عباس بك والى مصر ، الذى أرسل الأشجار الفضة الكبار ، والنخلات البلور ، والشجرة البلور الكبيرة هدية الى الحرم[1] .

ويوجد محراب التهجد الذى كان يتهجد فيه الرسول ﷺ داخل حجرة السيدة فاطمة ملاصقا للتابوت الموجود بالحجرة[2] .

وأما ستائر الحجرة التى كانت تعلق فى شهر رجب كل عام ، وكذلك فى أيام موسم الحج من ٢٠ ذى القعدة إلى ٢٠ من شهر محرم فإنها من الأطلس الأخضر المزركش والمموه بالذهب ، مكتوبة بأنواع الرسوم الغريبة[2] .

وستائر الحجرة هذه وكذلك ستائر المحاريب الثلاثة ، وطاقات جدار القبلة ، وباب المنارة الرئيسية وطاقات الجدار الشرقى ، وأبواب المسجد الخمسة كلها من جنس واحد ، وهذه الستائر فى غير شهر رجب وأيام الموسم تحفظ فى دواليب داخل الحجرة المعطرة[2] .

وأما واجهة الحجرة وهى التى يقف عندها الزوار فمغطاة بشبك من النحاس الأصفر المتين عليها سلك ومن خارجها شبابيك ثانية من النحاس كذلك مكتوب عليها (لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، سيدنا محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين) ، ولهذه الشبابيك حلوق من فضة ، وفيها الباب الصغير الذى لا يفتح بسبب الشبابيك التى وراءه ، وأعلى الباب من فضة مموه بالذهب ، وأما الأبواب

(١) وصف المدينة بتصرف ص ٦٧ .
(٢) المصدر السابق ص ٦٨ .

الشرقية والغربية والشمالية فلها ضباب متعددة ، ومفاتيحها كلها من الفضة[1] .

وفى حجرة السيدة فاطمة مجوهرات ثمينة يزين بها التابوت ، يضعون كل شهر شيئا منها ، ويرفعون ما قبله من الزينة وهكذا[1] .

ولا يدخل أحد الحجرة غير الأغوات فى سائر الأوقات ، ومن أراد الدخول يدخل مع الأغوات وقت اضاءة الشمعدانات ـ أى قبل المغرب بثلث ساعة ـ[1] .

ذكرنا من قبل أن الستار الأخضر كان يعلق على جدار عمر بن عبدالعزيز المحيط بالقبة الشريفة المحيطة بالمراقد الثلاثة الشريفة التى ليس لها منفس إلا كوة صغيرة فى أعلاها فوق القبر الشريف النبوى حتى لا يكون بين القبر الشريف وبين السماء حائل ، وفوق هذه الكوة سلك خفيف يمنع سقوط الحمام فى داخل القبة ، ويحاذى هذه الكوة كوة فى القبة الخضراء ، إذا توسطت الشمس كبد السماء نفذت من هذه الكوة ، ومنها نفذت إلى كوة القبر الشريف .

وأما المطر فإنه يسقط دائما فوق القبر من الكوتين المذكورتين ، ولا يعرف أحد ما بين الستائر والقبة إلا قدماء الأغوات ، فإذا جاءت الكسوة المعطرة من طرف الدولة العلية العثمانية ، وكانت ترسل إلى القبر الشريف كل ثلاثين أو أربعين سنة ، دخل الأغوات لتعليقها ، ولا يدخل منهم إلا كبير السن ، وتربط عيناه حتى لا يرى شيئا ، فيضعون الستارة الجديدة فوق القديمة ، ثم يفكون أزرار الستارة القديمة فتسقط .

ثم ينزل هؤلاء الأغوات من درج فى جهة الشمال بين القبر الشريف وجدار سيدنا عمر بن عبدالعزيز الذى عليه الستار .

ويستخرج الأغوات من الحجرة ترابا ناعما يتجمع من الغبار والأهوية على طول السنين الثلاثين أو الأربعين ، ويسمون هذا التراب الجوهر الشريف ، ويعطونه لزوار القبر من غير أهل المدينة للتبرك به ، وتلك ولاشك بدعة وضلال .

فأما الذين وكل اليهم تعليق الستارة الجديدة فإنهم يعتبرون ذلك شرفا عظيما حباهم الله به ، ولهذا عندما يتم أحدهم مهمته ، ويخرج يعتق من الرقيق ما يقدر

---

(١) المصدر السابق .

عليه ، ومن لا يستطيع العتق منهم يذبح من الضأن ما يقدر عليه ويفرقه على الفقراء شكرا لله[1] .

وصف عام للحرم النبوي الشريف من الداخل

يوجد فى صحن الحرم حديقة صغيرة فيها نخيلات وسدرة وحُمَرَة ، ولهذه الحديقة سور من الحديد مدهون باللون الأحمر ، والغرض منه منع الناس من الدخول إلى الحديقة ، ويوجد بجانب الحديقة بئر صغيرة يشرب منها الأغراب ، ويظنون أنها بئر بيت السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وليس الأمر كذلك ، لأن بئر الزهراء وجدت عند باب حجرتها فى زمن العمارة الأخيرة ، وأراد الأمراء تركها ليشرب منها الناس ، فخافوا أن يوسخ العوام عند باب الحجرة ، ويترتب على ذلك ما يخل بالآداب بقرب الحجرة النبوية كذلك نبعت عين من تحت اسطوانة السيدة عائشة رضى الله عنها حين حفروا أساسها ، واقتتل الناس على هذا الماء فسدت العين كما سد بئر السيدة فاطمة . [2]

والحديقة المذكورة حديثة العهد بالمسجد ، فعلي بن موسى يقول : إنها أحدثت من نحو ستين عاما لاغير . ويقول عن تمر نخل الحديقة : إن الأغوات يقتسمونه ، ويبعثون منه فى علبة كل سنة طعمة للسلطان كائنا من كان[2] . وعلي بن موسى ـ رحمه الله ـ مات فى أوائل العقد الثالث من القرن الرابع عشر .

وقد زين الحرم بأجمل التعاليق من الثريات الكرستال (البلور) فكان فى مقدمة باب السلام إلى المواجهة الشريفة فى كل قبة شجرة (ثريا) من البلور الأبيض يوقد فى كل واحدة خمس شمعات أو خمسة قناديل ، وفى المحراب العثمانى شجرة معلقة كبيرة مصنوعة من الفضة توقد بأربعين شمعة ، وشجرة أخرى دونها من فضة ، وتجاه الوجه الشريف يوجد ثلاثون شمعة ، وحولها أشجار من فضة ، وفانوس من فضة وكذلك يوجد عدة أطباق كل طبق منها به خمس شمعات وخمسة

---

(١) كل ما ذكر عن الحجرة مأخوذ من كتاب وصف المدينة لعلى بن موسى ، وهناك كلمات لم أعرفها فى العامية ولم أجد لها أصلا فى المعجمات العربية مثل : الجَر ، صَجَق .

(٢) وصف المدينة ص ٦٢ ، ٦٣ .

قناديل ، وفى الجهة الشرقية من الحجرة عدة شجرات ، وعند باب السيدة فاطمة شجرة واحدة ، وبين الحجرة ودكة الأغوات واحدة وكلها توقد فى كل ليلة[1] .

وفى الروضة المطهرة ، وأمام المحراب النبوى جملة ثريات من البلور الثمين ومن الفضة يوقد فيها الشمع وفى الجهة الغربية من باب السلام إلى باب الرحمة ثريات توقد بالقناديل ، وأكبر هذه الثريات الثريا التى قرب بيت السيدة فاطمة رضى الله عنها فإنها تشتمل على نحو سبعين شمعة توقد فى كل ليلة ، وهناك ثريتان كبيرتان لهما تنانير حمر مموهة بماء الذهب لا يوقدان إلا فى ليالى الأعياد[2] .

ويوجد بالحرم كذلك غير هذه الثريات وتلك الأشجار برم من الزجاج (والبرمة القِدْر من الحجارة واستعيرت هنا للقناديل الزجاجية) موزعة على مساحات الحرم فمن باب السلام إلى المواجهة ومنه إلى باب الرحمة ، والجهة الشرقية وداخل الحرم ومؤخره كلها معلقة بسلاسل من الفضة البيضاء بين كل عقد ثلاثة قناديل ومجموع ما يوقد كل ليلة فى الحرم النبوى الشريف ، وعلى أبوابه داخلا وخارجا نحو ستمائة قنديل ، وثلاثمائة شمعة هذا عدا شمع الفوانيس الملاصقة للدرابزين الصفر ، وشمع المحاريب ، والشمع الذى يوقد لمن يقرأ فى مصاحف الروضة وغيرها ، وقناديل الحجرة المعطرة وشمعها[2] .

وبعض شمع الحرم من الشمع الكافور ، وبعضه من دهون الحوت ، وشمع الحجرة المباركة من الشمع الكافورى وهو أحسن أنواع الشمع ، وأما الزيت الذى توقد به القناديل فكله زيت زيتون ، وكان الحرم النبوى الشريف يزود بكل ما يحتاج إليه من هذه اللوازم من جهات ثلاث : من الآستانة (تركيا) القناديل والمكانس والسفنج وشمع الحوت وشمع الكافورى ، وشمع اسكندرى والتنانير والزيت الأخضر[2] .

ومن مصر : الحصير وبعض المهمات والزيت والشمع الكافورى وشمع الحوت ، ومن الشام : يأتى زيت وشمع[2] والكوكب الدرى من أنفس ما احتوت عليه الحجرة الشريفة مع أن كل مافيها نفائس ، والكوكب الدرى هذا عبارة عن قطع كبيرات من أحجار الماس ، وأطرافها مرصعة بقطع من الألماس (البرلانت)

---

(١) وصف المدينة بتصرف ص ٦٣ .

(٢) وصف المدينة ص ٦٤ .

وهو أنقى أنواع الماس كل قطعة مثل البندقة ، وكلها مركبة على عامود بمقدار ذراع ، وموضوعة تجاه الوجه الشريف ، وقد كان من قبل يعرف محل الوجه النبوى الكريم بمسمار من الفضة فى المقصورة المضروبة حول الحجرة ، فحل الكوكب الدرى محل المسمار المذكور[1] .

كلمة حق

وأحب أن أنبه هنا إلى أن الرُسول ﷺ كان يرفض فى حياته زخارف الدنيا وزينتها حتى انه غضب لما رأى السيدة أم سلمة ـ أم المؤمنين ـ قد زينت حجرتها ولم يدخل بيت السيدة فاطمة حين رآها علقت ستائر على جدرانه ، وقال فى مثل هذا : « **إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين** » ، ولما فتحت الفتوح وجاءت الأموال لم يأخذ منها إلا قدر حاجته .

لهذا فإن كل ما كان يجلب للحجرة الشريفة من أنواع الجواهر والذهب والفضة لم يكن يعجبه ﷺ ولو كان حيا لرفضه ولم يقبله ، وبخاصة وقد كان فى المسلمين من يحتاجون إلى أقل القليل من هذه النفائس ليسدوا به جوعهم ، ويستروا به عوراتهم .

والحق الذى أدين الله به أن وضع هذه النفائس فى القبور مهما كان أصحابها غير جائز شرعا ، وكان الأولى أن يوضع فى مصالح المسلمين العامة ، ونكون حينئذ قد نهجنا نهج نبينا ، وسرنا على درب أسلافنا ونزداد بذلك قربة عند ربنا ، وحبا عند نبينا باتباع نهجه وطاعته : إن المحب لمن يحب مطيع .

زيادة السلطان عبد المجيد ومساحة المسجد في عهده

عرفنا أن السلطان ـ رحمه الله ـ قد زاد فى المسجد من جهته الشرقية ما يساوى خمسة أذرع بقصد توسعة المسافة بين جدار الحجرة الشريفة وبين الجدار الشرقى وخمسة الأذرع هذه تساوى ٢٨ ,٣م وحيث أن المسافة من المئذنة الرئيسية إلى مخزن الأغوات المجاور لدكتهم (الصُّفة) وهى طول الجهة التى زاد فيها السلطان

---

(١) المصدر السابق ص ٦٥ . ، وقد نقل الكوكب الدرى مع بقية ذخائر الحجرة الى استنبول إبان الحرب العالمية الأولى ، ولم يعد شيء منها الى كتابة هذه السطور .

عبدالمجيد ذلك تساوى ٣٧م تقريبا ، فتكـون الزيـادة فى الجهة الشـرقية تسـاوى ١٢١م٢ تقريبا .

كذلك أحدث السلطان زيادة فى الجهة الشمالية ، وهذه الزيادة هى التى كان بها المكاتب المجيدية ، ومخازن اللوازم ، وهذه لا تزيد غالبا على اثنى عشر مترا إلى الشمال فى عرض المسجد البالغ قبل زيادة السلطان ستة وستين مترا .

وبذلك تكون الزيادة فى هذه الجهة تساوى ٦٦م عرض المسجد من الشمال × ١٢م زيادة السلطان عبدالمجيد = ٧٩٢ مترا مربعا .

وبجمع الزيادة الشرقيـة على هـذه الزيـادة يكون مجمـوع ما زاده السلطان عبدالمجيد فى المسجد = ٧٩٢م٢ + ١٢١م٢ = ٩١٣م٢ .

وحيئنذ تبلغ مساحة المسجد فى عهد السلطان عبدالمجيد ما يأتى :

٩٤٢٩ م٢ مساحة المسجد فى عهد السلطان قايتباى

+ ٩١٣ م٢ **زيادة مساحة المسجد فى عهد السلطان عبدالمجيد**

١٠٣٤٢ م٢ (عشرة آلاف وثلاثمائة واثنين وأربعين مترا مربعا) .

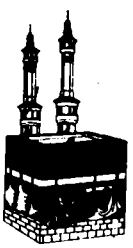

وظائف الحرم وعادات وتقاليد

منذ أن آلت أمور المسلمين إلى الدولة العثمانية ، وهى توالى اهتمامها بالحرمين الشريفين ، وهذا الاهتمام كان وليد عاطفة جياشة تفيض بحب المقدسات الإسلامية ، والرغبة فى تخليد الآثار التى خلفها المسلمون الأولون ، ولكن تلك العاطفة ، وهذه الرغبة كانت خالية تماما من الوعى الدينى الذى كان لا بد أن يتحكم فى كل عمل له صلة بالأمور الشرعية .

فكثيرا ما تنزع العاطفة إلى أمور يحسبها الانسان من الدين ، بل قد يغلب على ظنه أنها من أقرب القربات إلى الله عز وجل وهي ليست كذلك وذلك عادة يحصل عند فقد الوعى الدينى ، وعجز الذين فى مقدورهم التذكير به ، أو مجاملتهم لمن فى أيديهم مقاليد الأمور خوفا على مناصبهم ، ورغبة فى التقرب إليهم وتلك نكسة أصيب بها المسلمون منذ تطلعت قلوبهم إلى الدنيا ، ونسوا حظهم عند الله عز وجل وهؤلاء وأولئك ليس لهم عذر عند الله عز وجل فقد كان من واجب الذين لا يعرفون أن يسألوا ، وكان على الذين يعرفون أن يذكروا ويحذروا ، على كل حال كان فى المسجد من الوظائف والعادات ما لا يقره الإسلام ، إما لأنه بدعة بعيدة عن روح الاسلام مجافية لتعاليمه ، وإما لأنه من الإسراف الذى نهى عنه الدين .

وسأتناول فى هذه السطور تلك الوظائف ، وهذه العادات ليقف القارىء الكريم على مدى مجانبة هذه الوظائف للواقع الذى يحتاج إليه الحرم النبوى الشريف ، وأما العادات فلو لم تكن فى الحرم لكان منها المقبول ، ومنها المرفوض .

فأما الوظائف فهى حسب ترتيبها فى المنزلة كالآتى :

١ ـ شيخ الحرم ، وكان يختار من رجال السراية الذين ترقوا إلى رتبة قزلار اغاس (أي مسئول عن الحريم فى القصر) ثم عدل عن ذلك وأصبح يختار من الوزراء الذين من العائلة السلطانية ، وأحيانا يكون من السلك العسكرى برتبة مشير أو فريق ، ووظيفته إدخال الشمعدان الذى يوضع عند الرأس الشريف قبل الغروب .

٢ ـ نائب شيخ الحرم وهو من الأغوات ، ولكنه يكون دائما من رجال السراية

الهمايونية (السلطانية) ووظيفته إدخال الشمعدان الذى يوضع عند قدمى الرسول الكريم مع شمعدان الشيخ قبل الغروب بثلث ساعة ، ثم يخرجانها بعد صلاة الفجر .

٣ ـ الخازندار وهو كذلك من أغوات السراية ، ووظيفته حمل المبخرة والدخول بها مع الشيخ ونائبه عند إدخال الشمعدانين وإسراجهما ، ويتناوب هذه المبخرة الخازندار والمدير والقاضى كل واحد ليلة ، والخازندار هو أمين الصندوق .

٤ ـ المستسلم وهو شيخ الأغوات ، ويكون من الوجاق ـ وهو نسق عسكرى مخصوص ـ ويترقى فى هذا النسق حتى يصل إلى رتبة المستسلم ، والمستسلم هو المسئول عن الحرم الشريف وتكون مفاتيح الحجرة المعطرة معه .

٥ ـ النقيب وهو من الأغوات ، وهو عريفهم ، وينوب عن المستسلم عند غيابه .

٦ ـ رئيس بوابى الحجرة الشريفة وعددهم أربعة عشر أغا .

٧ ـ الجنزى وعددهم أربعة عشر أغا وهم الذين يتولون شئون الموتى .

٨ ـ البطالين وعددهم كذلك أربعة عشر أغا والمراد بالبطالين الأقوياء الشجعان .

٩ ـ ويأتى بعد هؤلاء جميعا الملازمون ، وهم المعاونون لمن سبقهم ، وجميع هؤلاء من الأغوات ماعدا شيخ الحرم ، وهؤلاء الأغوات كانوا يلبسون قواويق على رؤوسهم ، على الوضع الذى رتبهم عليه السلطان سليمان القانونى[1] .

سبق وأشرت إلى ان المستسلم يكون من الوجاق ، ويترقى حتى يصل إلى رتبة المستسلم والوجاق المذكور نسق عسكرى ، ويتكون من ستين إلى ثمانين رجلا أى ما يقرب من عدد السرية وكلهم من الأغوات ، وكان لهم حى يعرف بهم يسمى حارة الأغوات ، ولهم فيه مساكن نحو الأربعين بيتا وهى من أنظم وأحسن البيوت ، وعمارة هذه البيوت على خزينة الدولة ، ولهؤلاء الأغوات معاتيق ومواليد كثيرون ، ولهم شيخ مخصوص ونقباء وكلهم يسكنون الحارة الخاصة بهم[1] .

١٠ ـ الخطباء والأئمة ومنهم الأحناف والشافعيون والمالكيون وعددهم مائة وسبعون وجلهم من الأحناف ، ووظيفتهم مباشرة المحاريب الثلاثة بالتناوب ، ولهم شيخ مخصوص ونقيب ، ويصلى الأحناف منهم والشافعيون فى المحراب النبوى والسليمانى بالتناوب ، يصلى الشافعى فى المحراب النبوى خمسة اوقات ، وفى هذه الأوقات

---

(١) كل ما سبق من الوظائف منقول عن رسالة وصف المدينة ص ٧١ ، ٧٣ ، بتصرف وترتيب والقواويق جمع قاووق وهو القلنسوة «غطاء الرأس» .

الخمسة يصلى الحنفى فى المحراب السليمانى ثم يتبادلون المحرابين ، وأما المالكيون فمحرابهم دائما هو المحراب العثمانى الذى فى جدار القبلة ، ولا يغير هذا النظام إلا فى الموسم وقت الزحام ، عندئذ يتقدم الحنفى إلى المحراب العثمانى ، ويتناوب الشافعيون والمالكيون المحرابين : النبوى والسليمانى[1] .

١١ ـ المؤذنون وعددهم مائة ولهم كذلك شيخ ونقيب ، ويبدأون عملهم وقت السحر ، يأتى الرئيس ، ويقف عند باب جبريل : ويصيح (لا إله إلا الله) فيجاوبه الأغا صاحب النوبة (محمد رسول الله) ويفتح له فيدخل ، ويصعد إلى المنارة الرئيسية التى فى الجنوب الشرقى على يسار المتجه إلى المنارات الأخريات ، فإذا أذّنوا الأذان الأول ، ويكون قبل الفجر بساعة نزل المجاوبون وبقى الرئيس[2] .

فإذا شرع فى التسليم على النبى ﷺ فتحت أبواب المسجد ، وقام الأغوات بإسراج قناديل وأشجار شمع الحرم ، ودخل الناس لانتظار صلاة الفجر والمكبرون من المؤذنين وعددهم سبعة فإذا كان رمضان رقى المؤذنون المآذن بعد صلاة التراويح ، ولا يزالون يهللون إلى الصباح ولهم قدر ساعة تعرف بوقت السكنة وذلك قبل السحر ، يسكنون فيها ثم يعودون إلى التسليم بعد الأذان الأول ، ولعل هذه الساعة هى ساعة السحور .

١٢ ـ الفراشون ، ولهم رئيس يدخل الحجرة الشريفة مع الشيخ ونائبه والخازندار وقت إدخال الشمعدانات وإسراجها كل ليلة ، والفراشون نحو ألف فراش

وهناك فراشون من الهنود عددهم عشرون فراشا ووظيفتهم تعمير القناديل ، ووضع الشمع فى الأشجار ، وأما الكناسون فستون رجلا .

١٣ ـ وظائف أخرى وهى :

أ ـ المشدون أو حرس الحجرة الشريفة وعددهم أربعة عشر رجلا والمراد الرجال الأشداء .

ب ـ خدم المخزن الذى فيه المهمات ولهم شيخ وعددهم عشرة .

جـ ـ البوابون الذين على أبواب الحرم الخمسة ، ولهم ملازمون (معاونون) وعددهم عشرون .

---

(١) وصف المدينة ص ٧١ ، ٧٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٤ .

د ـ شيخ الروضة واحد وله معاون .
هـ ـ حافظ الكتب ومقره جهة باب السلام ، والمراد أمين المكتبة .
و ـ المرقى وهو من المؤذنين ، وهى كلمة تحمل معنى الرئاسة الدينية ، وهو الذى يؤذن الأذان الثانى قبل خطبة الجمعة ، ويتلو حديث الإنصات ، ويصلى ويسلم حتى يصعد الإمام المنبر .
ز ـ ساعاتى ، وجوهرجى ، وصائغ **وجبَّاد** ـ وهو الذى ينزع الماء من البئر للحديقة ـ ووقاد لأطراف الحرم الخارجية ، وعشرة ساقين بالدوارق ، ومرنقوز (نجار) ومرمرجى لإصلاح ما يخرب من الرخام ، ومجوزجى (موزع المصاحف) ، ودكمجى (صباب) ، وقرشنجى (المرصص) قائد كمجى يصب الرصاص والقرشنجى يرصه فى مكانه ونقاش ، وأدلاء ، ولهم رئيس يسمى (ديل باش) وهم نحو أربعمائة دليل . وهؤلاء جميعا برواتب شهرية ماعدا وكلاء الفراشات والأدلاء فلا شىء لأكثرهم[1] .

والأغوات يقومون على خدمة الحجرة الشريفة ، وإضاءة المسجد قبل الغروب ووقت السحر ، والبوابون لحراسة الأبواب ليلا ونهارا ، والكناسون لنظافة الحرم ، وهناك موظفون آخرون لنظافة الستائر وخياط لخياطة فتوق الستائر ، والجوهرجى لإصلاح هدايا الحرم من شمعدانات ومباخر و غيرها والصائغ لجلاء وإصلاح الأشجار الفضة وما شابهها[2] والمراد بالأشجار الثريات .

الإفطار في رمضان وصلاة التراويح

دأب أهل المدينة والمجاورون فيها أن يفطروا فى المسجد النبوى ويأتى كل واحد بسفرة من بيته ويضع عليها ألوان الطعام والمآكل النفيسة ، ويأتى الفقراء بالتمر فإذا حان وقت الإفطار تناول الحاضرون من تلك الأطعمة ، وفائدتها أن كثيرا من الفقراء أو الذين يحضرون الصلاة وليس معهم ما يفطرون عليه يجدون فى هذه الموائد ما يفطرون به ، وهى من العادات الإسلامية التى فيها مواساة للمحتاجين ، وتؤلف بين القلوب ، ولا زالت هذه العادة معمولا بها فى الحرمين حتى يومنا هذا أدامها الله تعالى على المسلمين[2] .

---

(١) وصف المدينة ص ٧٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٧٢ .

وأما صلاة التراويح فهى على الرسم الآتى :

يؤذن المؤذنون لصلاة العشاء الساعة الثانية وعشر دقائق بالتوقيت الغروبى ، فإذا صارت الساعة الثالثة إلا ثلثا يصلى إمام الحنفية ـ وهى الجماعة الكبيرة ـ فاذا انتهى من صلاته قامت التراويح فى الحرم ، ويظهر المصلون فى مجموعات تصل الى خمسين جماعة ، كل جماعة على إمام بين يدى كل إمام شمعدانان كبيران يوقدان بشمعتين ، وأئمة الحكام مع الشمعدانين فوانيس تضاء بشمع السَّمك ، وتعلق القناديل بالمنائر والأشجار المنصوبة فى الرملة وجوانب الحديقة ، وكل هذه الإضاءة من مخزن الزيت دون أن يُكلف أحد شيئا[1] .

وهذه الجماعات الخمسون منهم من يصلى التراويح بختم المصحف ، ومنهم من يصلى بسور من القرآن ، ومنهم من يصلى بآيات منه ، وأئمة المحاريب الثلاثة يصلون بختم القرآن وكلما صلى إمام منهم الفرض انتظر حتى يصلى الآخر ، فإذا انتهى الأئمة الثلاثة من صلاة العشاء قامت التراويح فى كل محراب ، ويختم إمام المالكية القرآن ليلة خمس وعشرين من رمضان والشافعى يختم ليلة سبع وعشرين ، والحنفى يختم ليلة تسع وعشرين[1] .

وبعد الانتهاء من صلاة التراويح تطفأ الشمعات الكبار التى فى الحجرة ، وتبقى الشموع العشر الأخريات ولا تخرج إلا بمراسم خاصة ، يخرجها كل جماعة فى ليلة من ليالى الشهر ويستمر ذلك حتى تمام الشهر ويكون إخراجها بعد صلاة التراويح ، وهكذا يكون الأمر دائما حتى نهاية الشهر ، ويبقى الحرم الشريف مفتوحا ، وتظل قناديله مضيئة حتى صبح يوم العيد ، وصلاة العيدين : الفطر والأضحى تكون فى الحرم الشريف ، حتى إن الحرم يزدحم بأهل المدينة وقراها[1] .

تطييب الحجرة وغسيلها

وفى ليلة تسع عشرة من ذى القعدة فى كل عام تُطيَّب الحجرة الشريفة ، فَيُؤتى بالصندل ـ وهو نوع من الطيب جيد الرائحة ـ فيُدق ، ويعجن بماء الورد والعنبر وعطور الورد ، **ويوضع فى تباسٍ من الذهب** والفضة ، وله مكبات ـ أغطية ـ من ذهب وفضة ، وغرابيل من ذهب وفضة ويخمر كالعجين فى دار شيخ الحرم ، ويقوم

---

(١) وصف المدينة ص ٧٤ .

بإصلاح هذا الطيب معاتيق الأغوات من الجوارى ويجتمع لأجله وجوه نساء المدينة ، ويعمل لذلك حفل كبير[1] .

وفى صباح ذلك اليوم تغسل الحجرة الشريفة ، ويستخرج الصندل القديم بالكريك من الطاقة التى تحت الصندوق المركب بركن جدار سيدنا عمر بن عبد العزيز المعلق عليه الستر الكبير ويفرقونه ثم يدخلون الصندل بمراسيم مخصوصة الى الحجرة المعطرة ، ولا يدخل به إلا شيخ الحرم ونائبه والخازندار وكبار الأغوات ، ويضعونه عند جدار القبة الشريفة من جهة الرأس الشريف[1] .

وأما التعطير فإنه يكون فى كل جمعة مرة ، وله قدر معين من عطر الورد وماء الورد ويدخلون به بعد صلاة المغرب ، ومعهم مبخرة العود والعنبر ويعطرون الستار من جوانبه المختلفة[1] .

وأما الند الذى هو أشبه برائحة العنبر إذا فاح ، وكذلك التبخير بالعود فإنه يكون فى كل ليلة وفى صلاة الجمعة يوضع عودان من الند فى المحراب ، فإذا انتهت الصلاة يطفىء الإمام العودين ، ويأخذ ما بقى منهما[1] .

وكل أنواع الطيب المذكورة يأتى من الأوقاف الهمايونية (السلطانية) من الآستانة (استنبول) إلا العود فإنه يشترى من جدة ، وماء الورد يؤتى به من الشام كل سنة فى اوعية من النحاس .

خطبة الجمعة

يأتى الخطيب يوم الجمعة ، وهو يلبس فوق رأسه قاووقا ، وقبل أن يرقى المنبر ، يقف عند باب المنارة الرئيسية ، ويستأذن المرقى ، فيقف عند باب المواجهة الشريفة ، ويقرأ سبع آيات من القرآن الكريم : خمسا أمام الرسول ﷺ وواحدة أمام الصديق ، وواحدة أمام الفاروق ثم يقرأ قوله تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبى الآية**) ويتقدم ويزور .

عندئذ يقوم المرقى ـ وهو رئيس المحفل فى المكبرية ـ ويصلى ويسلم حتى يرقى الخطيب المنبر ، ثم يؤذن الأذان الثانى ، ويقرأ حديث الإنصات ، وهو (إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت) ثم يجلس ، ويبدأ الخطيب الخطبة .

(١) المصدر السابق ص ٧٤ ، ٧٥ .

فإذا انتهى من الخطبة ونزل قام الأغا الموكل بالمنبر ، وأغلق بابه ، وأرخى ستاره ، حتى إذا تمت الصلاة ، حضر السنجقدار ـ وهو الموكل بأعلام المنبر وستائره وفرشه ـ فينزل البيارق والستارة ، ويجمع فرش الدرج ، ويذهب بذلك كله إلى باب الحجرة هو ومن معه ، ويأخذه بواب الحجرة ويضعه فى موضعه بالحجرة الشريفة .

وخوفا على الهدايا الثمينة التى تهدى للحرم الشريف من الجواهر والذهب والفضة وغيرها ترتب حراسة على الحرم ، فيبيت فى داخله اثنان من البوابين ، وأربعة من الجنزية (الموكلين بالجنائز) وعشرة من البطالين (الشجعان) وجميع الملازمين من الأغوات ومعهم غلمانهم ومواليدهم ، وهم نحو عشرين وجميعهم مسلحون ، ولا يفتح الحرم إلا عند حضور المؤذن الرئيس كما قدمنا ، فإذا صلى الامام الشافعى ثم صلى الإمام المالكى ، ثم الإمام الحنفى فتحت الحجرة المعطرة ، ودخل شيخ الحرم ونائبه لإطفاء القناديل وإخراج الشمعدانين الذهبيين اللذين يدخلانهما كل ليلة قبل الغروب .

وعلى شيخ الحرم ونائبه والأغوات الذين معهما أن يقفوا للدعاء عند تعمير قناديل الحجرة وكذلك يقفون للدعاء عند إسراجها ، فإذا خرجوا من الحجرة ، بدأ الأغوات فى تعمير قناديل المسجد ، وهم ينزلون القناديل ويعمّرونها ويرفعونها إلى أماكنها بسرعة فائقة لا يقدر عليها غيرهم .

والأغوات ينقسمون للقيام بهذا العمل قسمين : قسم يقال له (سنديس) والآخر يقال له (مكاده) ولكل قسم منهم جهة محددة من الحرم وقت التعمير ووقت التسريج ، بحيث لا يعتدى فريق على جهة الآخر[1] .

كان من عادة أهل المدينة فى تلك الفترة من الزمان أن يحتفلوا بالمولد النبوى وليلة الإسراء والمعراج فى داخل الحرم النبوى .

فأما المولد فكانوا يحتفلون به بعد طلوع شمس صبح اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول من كل عام ، والموظفون لقراءته أربعة من أئمة الحرم ، ويجتمع الناس لذلك فى صحن الحرم قبلى الحديقة التى فى الصحن المذكور .

فيصعد الأول على الكرسى الخاص بقراءة المولد ، ويقرأ الحديث ، ويدعو للسلطان ، وينزل ثم يصعد الثانى فيقرأ من المولد الولادة ، ويدعو للسلطان ،

---

(١) يراجع فى ذلك كله رسالة وصف المدينة ص ٧٦ ، ٧٧ وقد نقلته بتصرف وترتيب .

وينزل ، ثم يصعد الثالث ويقرأ الرضاع ثم يدعو للسلطان ، وينـزل ، ثم يرقى الرابع ، فيقرأ الهجرة ، ويدعو وينـزل وبعد ذلـك يوزع الشـراب والحلوى على الحاضرين ، وينصرفون .

وأما المعراج فيحتفل به فى صحن المسجد كذلك ، غير أنه يكون فى الجهة الغربية من الحديقة ويكون بعد صلاة العصر فى اليوم السادس والعشرين من شهر رجب من كل عام .

ويشتد فيه زحام الناس أكثر من ازدحامهم فى المـولد النبـوى ، لأن الزوار يكثرون من مكة وجدة وينبع وغيرها من البوادى فى شهر رجب .

ويقرأ قصة المعراج رجل واحد من بيت الخليفة العباسى ، وتحيط به الجنود من كل جانب خوفا عليه من عوام الناس ، حتى لا يمزقوا ثيابه إذا نزل للتبرك بها .

وتقوم الخزينة السلطانية فى احتفال المولد والمعراج بتقسيم شراب السكر فى قوارير يبلغ عددها الألفين لأشخاص معلومين ، يأخذ بعضهم قارورة ، وبعضهم قارورتين وبعضهم ثلاث قوارير ، وبعضهم أربع قوارير .

وتربط أفواه القوارير بشاش نظيف جديد ، ويكون الشراب مصبوغا باللون الأحمر وينقله السقاؤون إلى بيوت الذين يقسم عليهم .

وأما شيخ الحرم ونائبه والأغوات والجنود ، فترسل لهم قرب مملوءة بالشراب إلى بيوتهم وأما حاضرو الاحتفال بالمولد والمعراج فإنه ينصب لهم خيمة فيها جملة قرب مملوءة , فيملأون منها الكاسات ، ويدور بها موظفو الحجرة الشريفـة ، ويسقون الوجهاء الحاضرين ، ولا ترفع الخيمة إلا بعد تفرق الحاضرين[1] .

من عادات أهل المدينة

كان لأهل المدينة فى تلك الفترة عادات وتقاليد سائدة لا يتخلون عنها قدمنا منها عادة الإفطار فى رمضان ، فى الحرم الشريف ونقدم منها ما يأتى :

أ ـ رمى الحب : لقد اعتاد الناس فى المدينة المنورة إذا كانت ليلة سبع وعشرين من شهر ذى القعدة من كل سنة أن يرموا بالحب قاصدين سداد الدين ، ودفع الهم ، والحب الذى يرميه الناس يكون من نصيب صاحب النوبة من الأغوات ، وهو الذى

---

(١) وصف المدينة المنورة ص ٧٧ ، ٧٨ .

يكون معه المفتاح فى تلك الليلة ونهارها ، وبعد أن يجمع الحب يعطى منه من يشاء ، وينقل الباقى إلى البيت .

وصباح يوم رمى الحب يصعد الحكام والأغوات لكنس سطح الحرم بتمامه ، وينثرون تمرا ودراهم على الواقفين فى صحن المسجد .

ب ـ التهنئة بالعيد :

جرت العادة أن يصلى الناس العيدين فى الحرم برغم مخالفة ذلك لسنَّة الرسول ﷺ فقد كان يصلى العيدين فى الخلاء فى المكان الذى فيه الآن مسجد المصلى (الغمامة) وبعد الانتهاء من الصلاة يزورون قبر الحبيب المصطفى ﷺ وصاحبيه رضى الله عنهما ثم يخرجون من باب الجبر (باب جبريل) ويأخذون الريحان والجريد الأخضر ، ويذهبون إلى البقيع لزيارة أمواتهم وأسلافهم ، ومن فى البقيع من آل البيت والصحابة .

فإذا انتهوا من زيارة البقيع توجهوا إلى بيوت أقاربهم وكذلك بيوت الحكام وذوى المناصب وتستمر المعايدة إلى غروب الشمس ، وفى صباح اليوم الثانى من أيام العيد إلى وقت العصر يذهب الناس إلى محلة الساحة ومنها القلعة السلطانية لتهنئة أهلها بالعيد ، واليوم الثالث يكون لأهل المناخة وباب المصرى إلى داخل المدينة .

وأما اليوم الرابع فإن الأغوات يزينون الدكة الرسمية الكائنة بحارتهم والتى يجلسون عليها دائما ، ويلبسون أعمدتها وجدرانها أستار الحرير الأخضر المأخوذة من داخل شبكة الحجرة المعطرة ويلعب معاتيقهم ومواليدهم عندها بالسيف والدرق ، والطياس تضرب لمن جاء لتهنئتهم بالعيد ويجلسون إلى وقت الظهر وقد لبسوا أجمل الملابس ، وهذا اليوم هو يوم عيدهم ، وعيد من يكون قريبا منهم ممن يكونون حول الحرم كأهل محلة ذروان ، وديار العشرة ، وجهة المديرية ، وزقاق الحنابلة ، وزقاق البدور ، ودار الضيافة ، وسقيفة رصاص ، وزقاق الزرندى ، وكل هذه الأماكن اندثرت الآن ودخل أكثرها فى توسعة الحرم ، وهذا اليوم الرابع هو آخر أيام العيد .

هذا كله بالنسبة لعيد الفطر ، أما عيد الأضحى فيكون أغلب الناس فى الحج ، والذين لم يحجوا يصلون المشهد (العيد) ويذهبون إلى البقيع بعد الصلاة والسلام على رسول الله وصاحبيه ، ثم يعايدون الحكام ويهنئونهم بالعيد ، ثم يذهب كل واحد إلى بيته ليذبح أضحيته ، وليس فى عيد الأضحى معايدة للحارات كما مر فى عيد الفطر ، وإنما يؤجلون التهنئة حتى يعود وفد الحجاج من مكة .

وعند وصول الوفد إلى المدينة يستقبله الأهالى عند باب السلام ، ويصطفون من باب السلام إلى المواجهة الشريفة ، وينيخ الحجاج إبلهم ، وينـزلون لـزيارة الرسول ﷺ فيتلقاهم الواقفون لاستقبالهم ويلتزمونهم ويهنئونهم ، ويطلبون منهم الدعاء بالمغفرة ، فيدعون لمن سألهم ، فإذا خرج أهل الركب من الحرم وذهبوا إلى بيوتهم تبعهم الناس ، وهنأوهم بسلامة الوصول ، وهكذا يفعلون فى كل عام .

كذلك كان من عادة أهل المدينة أنهم كانوا إذا ولد لهم مولود جاءوا به بعد أن يمضى عليه أربعون يوما ، ويعطونه للأغوات الموكلين بالحجرة الشريفة فيدخله هؤلاء فى المقصورة ، ويضعونه تحت الستارة التى على الجدار ، ثم يخرجونه ، يقول على بن موسى : وعلى وجه الطفل أنوار فيعطيه الأغا لأمه[1] .

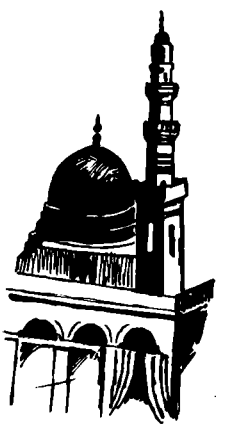

(١) وصف المدينة المنورة ص ٦٥ .

الفصل الثانى

المسجد النبوي في العصر السعودي

منذ أن استولى المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود على الحجاز عام ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م جعل من أول اهتماماته العناية بالحرمين الشريفين ، بل إن من أكبر الدوافع التى جعلته يسرع بالاستيلاء على الحجاز هذه المظالم التى كانت تقع على الناس فى عهد الشريف حسين الذى كان يدعى أنه الوريث الشرعى للخليفة العثمانى ، وقد تطاول الشريف حتى منع الحجاج النجديين من أداء فريضة الحج مما حدا بأهل نجد أن يذهبوا إلى الملك عبد العزيز ، ويطلبوا منه تأمين الطريق لهم ليؤدوا نسكهم ، فكانت الحملة السعودية لتخليص الحجاز ، وتأمين طريق الحج لكل من يريد الحج .

ففى عام ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م أجريت إصلاحات فى أرضية الأروقة المحيطة بالصحن ، كذلك أصلحت بعض الأعمدة التى بالأروقة[١] وذلك حين ظهر بها تصدع خشى من جرائه سقوط هذه الاعمدة التى كانت بالجهتين الشرقية والغربية ، وكان ذلك فى عام ١٣٥٠ - - ١٩٣١ م ، وذلك بإحاطة الأعمدة المتصدعة بأطواق من الحديد[٢] .

وفى عهد المغفور له الملك عبد العزيز قامت الحكومة المصرية سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م بترميم المسجد واستمر العمل مدة ثلاث سنوات وقد شملت هذه الترميمات الأرضيات والأروقة والمآذن والمداخل[٣] وفى يوم ١٢ من شهر شعبان سنة ١٣٦٨ هـ - حزيران سنة ١٩٤٩ م أعلن المغفور له الملك عبد العزيز فى خطاب

---

(١) المدينة المنورة تطورها العمرانى ٩٩ .

(٢) آثار المدينة المنورة لعبد القدوس الأنصارى ص ١٠٧ .

(٣) المدينة المنورة تطورها العمرانى ١٠١ .

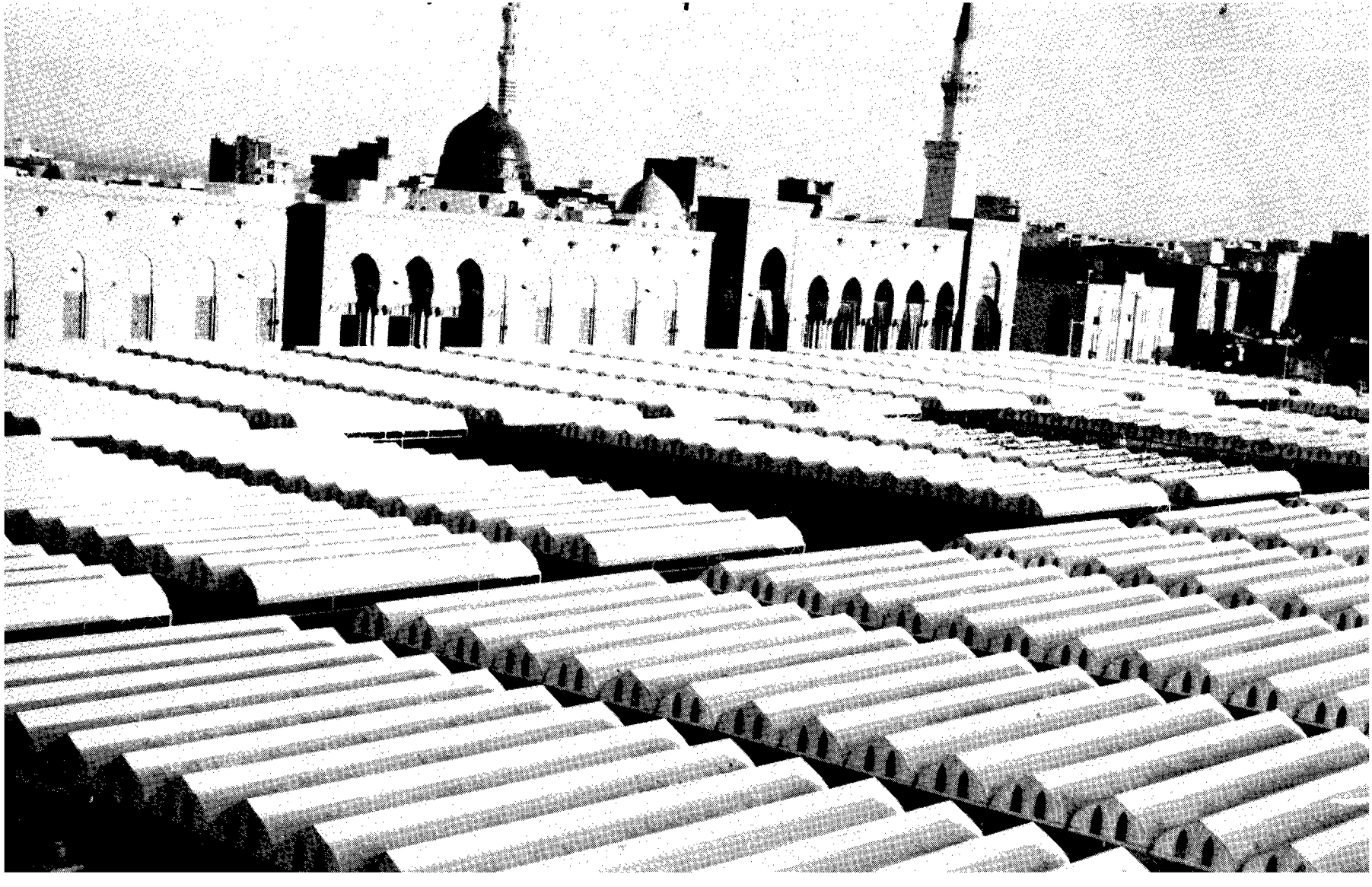

وجهه إلى المسلمين فى كل مكان عزمه على توسعة المسجد النبوى ، وفى ٥ شوال عام ١٣٧٠ هـ ١٠ من تموز (يوليو) ١٩٥١ م بدىء فى هدم المبانى المحيطة بالحرم ، وفى ربيع الأول عام ١٣٧٢هـ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٢ م وضع حجر الأساس ، وفى ١٤ شعبان عام ١٣٧٢ هـ ٢٩ نيسان (ابريل) ١٩٥٣ م بدأوا فى حفر الأساس فى الجهة الغربية بمنطقة باب الرحمة[١] .

وفى ربيع الأول ١٣٧٣ هـ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٣ م وضعت أربعة أحجار من الرخام البنى والأبيض فى إحدى زوايا الجدار الغربى بالمسجد ، وكتب عليها (بنى بيده هذه الأحجار الأربعة جلالة الملك سعود تأسيا بالنبى ﷺ وذلك فى شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣ هـ) وقد استمر العمل فى هذه العمارة ما يقرب من عامين ونصف عام ، حيث افتتح المسجد بعد التوسعة فى ٥ ربيع الأول عام ١٣٧٥ هـ ـ ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٥ م[٢]

وأنشىء لمشروع التوسعة مكتب خاص يضم أكثر من خمسين موظفا يقومون بالأعمال الإدارية والحسابية والهندسية ، وغيرها مما يلزم لإنجاز المشروع على أحسن وجه .

ويتألف المكتب من الأقسام الآتية :

١ ـ المكتب الرئيسى .
٢ ـ قسم التحرير .
٣ ـ قسم الحسابات .
٤ ـ قسم خزانة المال .
٥ ـ القسم الفنى .
٦ ـ قسم المستودعات .

وألفت لجنة من وجهاء المدينة لتقدير قيمة العقارات التى دخلت فى التوسعة ، وروعى فى تقدير الأثمان مصلحة المالكين .

وفى آبار عليّ الواقعة غربى المدينة المنورة ، وعلى بعد عشرة كيلو مترات تقريبا ، أقامت الحكومة السعودية مصنعا لعمل الأحجار الصناعية اللازمة للبناء ، وزودته بالمهندسين والمتخصصين وقد بلغ عمال المصنع أربعمائة عامل .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .

وأما المهندسون الذين كانوا يباشرون العمل فى المسجد النبوى فكانوا أربعة عشر مهندسا ، وكان يعمل معهم فى البناء ألف وخمسمائة عامل سعودى ، علاوة على مائتى صانع فنى من المصريين والسوريين والسودانيين والحضارمة واليمنيين والباكستانيين .

كذلك أحضرت الحكومة كل ما يلزم لإنجاز المشروع من السيارات والآلات الثقيلة والخفيفة ونقلت بالبواخر مواد البناء اللازمة ، وكان ميناء ينبع هو الذى يستقبل هذه البواخر التى بلغ عددها ما ينيف على ثلاثين باخرة وكان مجموع ما حملته من المواد أكثر من ثلاثين ألف طن ونقلت هذه المواد عن طريق البر بواسطة السيارات الكبيرة التى أعدت لذلك إلى مقر العمل بالمسجد النبوى الشريف .

وللمحافظة على سلامة السيارات ، وإمكان استمرار العمل بها ، أقيم مصنع بالمدينة المنورة وعين فيه المهندسون والفنيون الذين يصلحون ما يطرأ من خلل أو خراب على السيارات والآلات العاملة فى المشروع[1] .

وتمتاز العمارة السعودية بأنها أقيمت على شكل هيكل من الخرسانة المسلحة مكون من أعمدة تحمل على رؤوسها عقودا مدببة ، وأما السقف فقد قسم إلى مربعات على هيئة السقوف الخشبية وزخرفت بأنواع الزخارف المختلفة ، وكانت تيجان الأعمدة من النحاس الأصفر المنقوش المفرغ بأنواع بديعة من الزخرفة ، وأما قواعد الأعمدة فقد كسيت بالرخام الأسمر المجزع ، ودهنت الأعمدة باللون الأبيض الناصع ، ويغلب على لون العمارة السعودية اللون الأبيض المطعم بقليل من اللونين الأحمر والأسود .

وأما العمارة المجيدية الباقية إلى الآن ، فيغلب عليها اللون الأحمر ، وكانت تيجان الأعمدة مصنوعة من الحجر الأحمر المنقوشة بنقوش جميلة ، وقواعد الأعمدة ملفوفة بأطواق من النحاس الأصفر .

وقد أمرت الحكومة السعودية بتطويق هذه الأعمدة بطبقة من الخرسانة المسلحة إلى النصف ، ولفت أعلاها بأطواق من النحاس الأصفر فبدت جميلة الشكل بديعة المنظر .

وفى العمارة السعودية التى شملت النصف الشمالى من المسجد من جهاته

---

(١) آثار المدينة ص ١٠٩ ، ١١٠ .

الثلاث الشرقية والغربية والشمالية ، هدمت المئذنة السليمانية ، وكذلك المئذنة المجيدية ، وأقيم مكانها مئذنتان جديدتان تتناسبان مع العمارة الجديدة .

وتتكون كل واحدة من المئذنتين من أربعة طوابق : الأول مربع الشكل ، والثانى مثمن والثالث مستدير ، وهذه الطوابق الثلاثة متساوية الارتفاع ، وأما الطابق الرابع فقد ارتفع عن بقية الطوابق بشكل يلفت نظر المتأمل .

وقد حاول المهندس الارتفاع عن الوضع المألوف فعمل شبه طابق خامس بشكل خوذة مضلعة تنتهى بشكل شبه مخروطى يعلوه قبة بصلية ، وقد تسبب ذلك فى اختلال نسب الجزء العلوى ، إلا أن المئذنة بشكلها العام تتقارب مع المئذنة الرئيسية وتظهر تأثير المئذنة المملوكية المصرية بشكل عام[1] .

مساحة التوسعة السعودية

والعمارة السعودية قد أضافت إلى المسجد الشريف مساحة قدرها ستة آلاف وأربعة وعشرون مترا مربعا ٦٠٢٤ م٢ فأصبحت بذلك مساحة المسجد الكلية كما يلى :

١٠٣٤٢ م٢ مساحة المسجد فى عهد السلطان عبد المجيد .

٦٠٢٤ م٢ مساحة الزيادة فى المسجد فى العهد السعودى .

١٦٣٦٦م٢ ستة عشر ألف متر مربع وثلاثمائة وستة وستين مترا مربعا .

وليست هذه الزيادة هى كل العمارة السعودية ، ولكنها شملت أجزاء من العمارة المجيدية هدمت ، وأعيد بناؤها ضمن العمارة السعودية ، وتلك الأجزاء تبدأ من باب الرحمة غربا إلى باب عمر رضى الله عنه شمالا ، ومن باب النساء شرقا إلى باب عثمان رضى الله عنه شمالا ، ومساحة هذه الأجزاء من الجهات الثلاث الشرق والغرب والشمال تبلغ ٦٢٤٧ م٢ .

وبذلك يكون إجمالى المساحة التى عمرت فى العهد السعودى = ١٢٢٧١ م٢ وبهذه العمارة تغير شكل المسجد ، فقد بقى مقدم المسجد العثمانى على ما كان عليه فى العهد المجيدى ، وألحق بهذه المقدمة مبنى مستطيل الشكل طوله ١٢٨ م ، وعرضه ٩١ مترا[2] وهو طول الواجهة الشمالية .

---

(١) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ١٠٤ .

(٢) آثار المدينة المنورة ص ١١١ .

وهذا المستطيل الجديد يتكون من صحن شمال الجزء الباقى من العمارة المجيدية ، وقد غطيت أرض هذا الصحن بالرخام المبرد الذى لا يمتص حرارة الشمس ، ويحتفظ بدرجة حرارة لطيفة لا تؤذى المارين عليه .

وفى هذا الصحن نصبت ثمانية أعمدة من الرخام الإيطالى الممتاز الأبيض اللون ، وصنعت لها تيجان من البرنز الأصفر المنقوش بالتفريغ ، وفوق هذه التيجان نصبت اسطوانات مزخرفة من البرنز وبداخلها لمبات لإضاءة الصحن ، وهى مبطنة بالزجاج .

وفى الجانبين الشرقى والغربى للصحن توجد ثلاثة أروقة فى كل جانب ، وفوق هذه وضعت كشافات كهربية عظيمة الإضاءة تبهر الأبصار ، وتجعل الصحن فى الظلام الدامس وكأنه لم تغب عنه الشمس .

وخلف هذا الصحن يمتد من الشرق إلى الغرب جناح يضم ثلاثة أروقة ، وقد فتح فى الجهة الشرقية من هذا الجناح باب مكون من ثلاث فتحات سمى باب الملك عبد العزيز ، وكذلك فى الجهة الغربية منه فتح باب مماثل للباب السابق سمى باب الملك سعود .

وفى الجهة الشمالية لهذا الجناح يوجد صحن آخر مماثل للصحن الأول تماما بكل ما فيه ، ثم يكون الجناح الشمالى والأخير للمسجد ، ويتكون من خمسة أروقة ، وبالجدار الشمالى لهذا الجناح ثلاثة أبواب من الغرب إلى الشرق كما يلى ، باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وباب عبد المجيد ثم باب عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وفى الركنين الشمالى الشرقى والشمالى الغربى أقيمت مئذنتان ، ارتفاع كل منهما سبعون مترا ، وقد غطت العمارة السعودية الجدار الغربى بأكمله من باب السلام إلى باب عمر حتى اختفت الواجهة الغربية للعمارة العثمانية من باب السلام إلى باب الرحمة .

إحصاءات عن العمارة السعودية

١ ـ عدد الأعمدة المستديرة ٢٣٢ عمودا مستديرا .
٢ ـ عدد الأعمدة المحيطة بالجدار ٤٧٤ عمودا مربعا .
٣ ـ طول الجدار الشرقى ١٢٨ مترا .
٤ ـ طول الجدار الغربى ١٢٨ مترا .
٥ ـ طول الجدار الشمالى ٩١ مترا .
٦ ـ عدد الأروقة الشمالية « ٥ » وهى مؤخر المسجد .
٧ ـ عدد الأروقة الوسطى « ٣ » وهى الجناح الذى بين الصحنين .
٨ ـ عدد الأروقة الشرقية « ٣ » .
٩ ـ عدد الأروقة الغربية « ٣ » .
١٠ من الأبواب الجديدة « ٩ » ومنها الفتحتان المتلاصقتان .
١١ ـ عدد الصحون « ٢ » .
١٢ ـ عدد العقود ٦٨٩ .
١٣ ـ عدد النوافذ ٤٤ .
١٤ ـ عمق أساسات الجدران والأعمدة « ٥ » أمتار .
١٥ ـ عمق اساسات المآذن ١٧ مترا .
١٦ ـ عدد المآذن « ٢ »[١] .

إحصاءات عن الحرم القديم

وهذه الإحصاءات عن العمارة السعودية ، أما عن مقدمة المسجد وهو الجزء الباقى من عمارة السلطان عبد المجيد رحمه الله فإن الإحصاءات فيه كما يلى :
١ ـ عدد الأعمدة المستديرة ١٧٣ عامودا منها واحد وثلاثون مرخما كُسى نصفها الأسفل بالرخام ، ومن هذه الأعمدة المرخمة خمسة عشر عامودا فى الروضة الشريفة واثنان فى جدار الحجرة الشريفة الجنوبى المعروف بالمواجهة ، واثنان فى جدارها الشرقى ، وواحد فى الجدار الغربى خارج الروضة ، واحد عشر فى الرواق القبلى فى مواجهة الروضة المباركة والحجرة الشريفة .

(١) آثار المدينة المنورة ص ١١١ ، ١١٢ .

وهناك أعمدة تحيط بالروضة من جانبيها الشمالى والغربى ، وعددها فى كل جانب ستة اعمدة ، وهى مميزة بخطوط طولية ومستديرة ، وبينها نقوش ، وكلها مموهة بماء الذهب وتلك الأعمدة هى حدود المسجد المسقف فى عهد الرسول ﷺ .

٢ ـ عدد المكيفات الهوائية ٣٠ مكيفا منها اثنان كبيران أحدهما بجوار الجدار الشرقى للمئذنة الجنوبية الغربية ، والثانى بجوار الجدار الغربى للمئذنة الجنوبية الشرقية (المئذنة الرئيسية) أى متقابلان ، وباقى المكيفات ملاصق لجدار القبلة .

٣ ـ عدد الثريات ٦٦ وهى مختلفة الأشكال والأحجام ومنها القديم والجديد ، وأكبرها ثلاث يراها الداخل من خوخة الصديق ، اثنتان حمراوان وواحدة بيضاء ، وأحيطت الثريات الحديثة بقناديل من نوعها وعددها ١٧ وكتب عليها (**الله نور السموات والأرض**) ومن هذه الثريات أربعون ثريا أهديت للحرم من الملك فيصل رحمه الله .

٤ ـ لوحة للتوقيت مصنوعة من النحاس الأصفر ، وتضبط عليها مواعيد الصلاة كل يوم وهى معلقة بالجدار الغربى للحرم بجوار باب الرحمة .

٥ ـ المكبرية ـ وهى دكة مرتفعة مصنوعة من الرخام الأبيض المصقول والمنقوش ـ وهى موجودة منذ العصر العثمانى ، وكانتا مكبرتين كما سبق ، استغنى عن احداهما بمكبرات الصوت الكهربية ، وهى موجودة فى طرف الروضة الشمالى الغربى ، ومقابل المنبر ، وقد وضعت فى هذا المكان لتبليغ المصلين بحركات الامام من قبل المؤذنين وذلك قبل وجود المكبرات الكهربية ، ولم يستغن عنها لأن الكهرباء كانت تنقطع وعندئذ يقوم المؤذنون بالتبليغ ليستطيع المصلون متابعة الإمام.

وقد أحسنت الحكومة السعودية صنعا حين وسعت المكبرية ، فأضافت جزءا كبيرا إليها مصنوعا من الرخام الايطالى الأبيض المصقول والمنقوش على غرار المكبرية القديمة ، وجهزتها بمكبزات الصوت الكهربية الحديثة .

كذلك قامت الحكومة السعودية بإعادة تأزير بعض الأعمدة بالرخام حين خيف سقوط الرخام الذى عليها .

إحصاءات أخرى عن الحرم بأجمعه

١ ـ عدد المراوح المعلقة بالسقف والمركبة فى الجدران ٤٥٤ مروحة .

٢ ـ عدد الساعات ٤٠ وهى موزعة فى أنحاء الحرم .

٣ ـ وهناك عدد كثير من خزانات المصاحف المصنوعة من الألمنيوم الأصفر منها الصغير والكبير وهى موزعة كذلك فى أنحاء الحرم المختلفة .

وهذه الإحصاءات كلها عدا الأعمدة قابلة للنقص والزيادة حيث يضاف اليها الجديد ، ويستبعد التالف .

وقد خصص الجناح الشرقى من العمارة السعودية للنساء ، وضرب عليه بسور من خزانات المصاحف للحيلولة بين اختلاط الرجال بالنساء[1] .

كما شكلت الحكومة هيئة لشئون الحرمين فى مستوى الوزارة لتتابع الإصلاحات وكل ما يجب عمله فى الحرمين الشريفين بالقدر الذى يتناسب مع مكانتهما فى قلوب المسلمين ، وقد بذلت الرئاسة العامة لشئون الحرمين كل جهدها فى سبيل تحقيق الغاية التى أنشئت من أجلها ، حتى أصبحنا ونحن فى المدينة المنورة نتمتع بشرب ماء زمزم الذى تجلبه الرئاسة من مكة لسقاية أهل المدينة وكل من يفد إليها من زوار مسجد رسول الله ﷺ .

وقد عنيت الحكومة السعودية ـ وفقها الله تعالى ـ بالحرم النبوى عناية فائقة ، ففرشته كله بالسجاد العجمى الفاخر ، وأسندت نظافته إلى شركة متخصصة تقوم بكل ما يلزم للحرم من النظافة ، وفرش السجاد ، وجمعه بعد صلاة العشاء ، وصف أوعية الماء فى أماكنها وتنظيفها ، وكذلك خزانات المصاحف ، ومتابعة نظام السجاد ، وتنظيمه إذا اختل بسبب المشى عليه .

كما اهتمت الحكومة بالبث الإعلامى من الحرمين الشريفين لنقل الصلاة منهما على الهواء مباشرة وجهزت الحرم النبوى بما يحتاج إليه من آلات التصوير الحديثة ، ونشرتها فى أنحاء الحرم المختلفة لتساعد على البث التليفزيونى ، وأنشأت محطة إذاعية خاصة بالحرم وجعلت نقل الصلوات بالتبادل بين الحرمين : الحرم المكى والحرم المدنى ، وبخاصة فى صلاة الجمعة ، وصلاة التراويح فى رمضان .

وكما اهتمت الحكومة بالجانب الإعلامى ، اهتمت كذلك بالجانب الجمالى فأحضرت النقاشين والخطاطين من بلاد الهند ومصر ، وأعادوا النقوش والخطوط التى فى القباب العثمانية كما كانت من قبل بجمالها ورونقها ، حتى لكأنك وأنت تراها كأنها لم يمر عليها هذا الدهر الطويل .

---

(١) ما كتب عن احصاءات الحرم العثمانى والحرم بأجمعه دراسة ميدانية قمت بها بنفسى .

وهذه القباب التى سقف بها الحرم القديم مزينة من أعلاها ومن أسفلها بنقوش نباتية جميلة ، وبين هذه النقوش حزام مطلى باللون الأبيض ، ومكتوب فى وسطه بالخط الثلث الجميل ، وباللون الأسود سور من القرآن الكريم على النحو التالى :

فى الصف الأول من القباب ، وهو الذى يلى القبلة مباشرة ، كتبت آيات من سورة الأنعام وأما الصف الثانى فإن محل الكتابة مطموس بالأسود ، وكانت أبياتا من بردة البوصيرى مما فيه استغاثة أو توسل بالرسول ﷺ وهو شيء يتعارض مع عقيدة السلف ، ولهذا مُحيَ أثره .

وفى الثالث والرابع والخامس كتبت سورة الكهف ، وفى الصف السادس كتبت سورة المنافقون ، وفى الصف السابع كتبت سورة المزمل ، وفى الثامن سورة المدثر ، وفى التاسع سورة يَسن ، وفى الصف العاشر سورة النجم ، وفى الحادى عشر سورة مريم ، وأما الصف الثانى عشر والأخير فقد كتبت فيه سورة محمد (القتال) .

كذلك اعاد الخطاطون طلاء الآيات القرآنية الموجودة فى جدار القبلة بماء الذهب كما كانت وجدار القبلة قد حظى بعناية كبيرة منذ أن بنى الوليد بن عبد الملك المسجد سنة ثمان وثمانين من الهجرة فقد زخرف البناءون فى عهده جدار القبلة بالفسيفساء التى جلبت من بلاد الروم ، وأزر أسفله بالمرمر ، وفى عهد المماليك زين الجدار القبلى بالمرمر والقيشانى ، وزاد الاهتمام فى العصر العثمانى فزين بالقيشانى والمرمر من أسفله ثم كتبت أسماء النبى ﷺ وصفاته ، ومن فوقها كتبت سورة الفتح ثم آيات من سورة التوبة ، وفوق هذا كله آيات من سورة آل عمران .

هذا فى الجهة التى على يمين المتجه إلى المحراب ، وأما الجهة التى على يسار المتجه الى المحراب فقد كتب عليها فوق الرخام والبورسلان (القيشانى) بقية اسماء النبى ﷺ وصفاته ، ومن فوقها بقية سورة الفتح ، ثم آيات من سورة البقرة وفوقها آيات من سورة الاحزاب ، وقصيدة من الشعر .

وفى بقية الجدار وهو الجزء الواقع شمال المئذنة الرئيسية ، ومقابل مخزن الأغوات كتب عليه بقية أسماء النبى وصفاته ثم الآية الكريمة (**إن الله وملائكته يصلون على النبى** . . . .) ثم آية من سورة النساء (**وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع**

بإذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) .

وهذه الكتابة كلها مكتوبة بقلم الثلث الجميل ، وبالحروف النافرة الرائعة ، ما عدا أسماء النبى ﷺ فإنها مكتوبة بالحرف العادى .

مكتبة المصحف

تعتبر مكتبة المصحف نوعا جديدا فريدا من المكتبات حيث إنها لا تضم غير المصحف الشريف ، وقد يخيل إلى بعض القراء أن المصحف الشريف لا يكوِّن مكتبة فهو مهما اختلفت أنواعه كتاب واحد هو كتاب الله ـ عز وجل ـ فكيف تكون له مكتبة خاصة ؟

لقد وجدت بالفعل تلك المكتبة ، وضمت بين جناحيها عددا ضخما من المصاحف الشريفة ولعل الذى دعا إلى انشاء تلك المكتبة هو وجود مجموعة نادرة من المصاحف المخطوطة تختلف فى نسختها ، وفيما كتبت عليه ، وفى تاريخ كتابتها ، بل وفى أحجامها وشكلها العام .

ومشروع المكتبة مشروع قائم بنفسه ، دعا إلى إنشائه جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله فاختار لها المسئولون ان تكون فى الحرم النبوى ، حيث كانت هذه النسخ المختلفة من المصحف تهدى إلى مسجد رسول الله ﷺ واستقر الرأى على أن يكون مقرها فى الجدار الغربى من التوسعة السعودية ، فوق خوخة الصديق ـ رضى الله عنه ـ بحيث يكون الباب الموصل إليها على يسار الداخل من باب الصديق ، ويصعد إليها بدرج .

والمكتبة بهو مستطيل يمتد من الشمال إلى الجنوب ولها طاقات تطل على المسجد بحيث يرى الجالس فيها كل ما فى المسجد ، ويستطيع أن يصلى مع الامام ويسمع قراءته وتحركاته بواسطة مكبرات الصوت وهى مكونة من غرفتين واحدة فوق الأخرى ، فأما الغرفة السفلى فهى التى تضم المصاحف الشريفة ، وأما العليا فبها بعض الآثار التى تتصل بالمصحف .

والمكتبة بها نوعان من الخزائن : النوع الأول من خشب الأبنوس الأسمر المرصع بالعاج الأبيض الناصع ، وقد كتب عليها بالعاج والفضة آيات كريمة من

القرآن المجيد ، كما رسمت عليها بالعاج كذلك بعض النقوش الجميلة ، وهذه الخزانات هدية من والدة خديو مصر عباس الثانى للمسجد النبوى ، أهدتها إليه سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م .

وزينت هذه الخزانات بشرفات فى أعلاها مما زادها جمالا وروعة ، وكانت قبل أن تضم إلى مكتبة المصحف مصفوفة إلى جوار الجدار الغربى للمسجد ، وقد تركت فترة من الزمن بغير اهتمام حتى إذا ظهر مشروع مكتبة المصحف رأى المسئولون أن هذه الخزانات هى أنسب شىء يضم المصاحف الشريفة ، فاعتنوا بها ، وأرسلت إلى جدة لإصلاح ما تلف منها ، وتجديد ما سقط من العاج والفضة وبعض المواضع التالفة .

وأما النوع الثانى من خزائن المكتبة فهو من الطراز الحديث الذى صنع للمكتبة ، ولها أبواب من الزجاج ، وقد اعتنى بتصنيعها حتى ظهرت فى صورة جميلة أخاذة .

تنسيق المكتبة

رتبت المصاحف فى المكتبة بحسب أقدميتها ثم جمال خطها وأحجامها ، والمكتبة تضم ١٧٧٤[1] ألفا وسبعمائة وأربعة وسبعين مصحفا كلها مخطوطة ، ومنها ما يعود خطه إلى القرن السادس الهجرى ، كذلك يوجد بها ٨٤ أربع وثمانون ريعة .

وما يثير الإعجاب فى نفوس الزائرين وجود مصحف ضخم مكتوب على رق الغزال بخط جميل كتبه غلام محيي الدين سنة ١٢٤٠ هـ وأهداه إلى الحرم النبوى ليضم إلى العديد من المصاحف المهداة للحرم ، وغلاف المصحف سميك جدا ، **ومطرز من حافاته الأربع بمعدن أبيض** ، ويزن هذا المصحف حوالى (١٥٥) مائة وخمسة وخمسين كيلو جراما .

وتضم المكتبة إلى جانب العدد الهائل من المصاحف لوحات أثرية كتبت عليها آيات من القرآن الكريم ، وكذلك بعض السجاجيد مكتوب عليها آيات من القرآن الحكيم ، وكلها مهداة إلى الحرم الشريف ، وقد زينت جدران المكتبة بتلك الهدايا

(١) نشرة وزارة الحج والأوقاف للتعريف بالمكتبة .

الثمينة ، منها لوحات كتبت بخط بعض السلاطين العثمانيين مثل السلطان محمود ، والسلطان عبد المجيد بن محمود .

وكان فى المسجد نخلتان من النحاس الأصفر منذ العهد العثمانى ، وقد رفعت النخلتان من المسجد لأن بعض العوام من الناس كانوا يتبركون بهما ، فلما فتحت مكتبة المصحف نقلت النخلتان إليها ، حيث يؤمن من ارتكاب ما يخالف العقيدة من فعل العامة ، ونظفتا حتى عادتا كما كانتا قبل نقلهما .

ومكتبة المصحف تتبع وزارة الحج والأوقاف ، وافتتحت فى عهد جلالة الملك فيصل ، وكان ذلك فى أواخر شهر ذى الحجة ـ أى بعد آداء فريضة الحج ـ افتتحها سمو الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة عام ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م وحضر الافتتاح شخصيات كثيرة من الحجاج كما حضره معالى وزير الأوقاف .

والمكتبة مجهزة تجهيزا جيدا ، ومضاءة بالأنوار التى تمكن المرتادين من الاطلاع والقراءة ومفروشة بالسجاد العجمى الثمين ، وتعتبر المكتبة من أكبر المكتبات العالمية التى تضم هذا العدد الكثير من المصاحف المخطوطة والمهداة من انحاء العالم الإسلامى إلى المسجد النبوى الشريف .

هذا وقد نقلت المكتبة الآن إلى مكتبة الملك عبد العزيز يرحمه الله حيث خصص لها جناح فى المكتبة ، وحلت محلها المكتبة الصوتية التابعة لوزارة الإعلام .

مكتبة الحرم

لعل السبب فى إنشاء هذه المكتبة هو التنافس فى الخبرات بين أهل مكة بلد الله الحرام وأهل المدينة المنورة مثوى رسول الله ﷺ فلم يكن أهل المدينة ليسمحوا أن تمتاز مكة على المدينة بشىء يستطيعون القيام به ، فما دام فى استطاعتهم التنافس فيها والإتيان بمثلها فهم لا يقعدون دون ذلك .

ولما كان للحرم المكى الشريف مكتبة ضخمة تضم الكثير والكثير من كتب العلم النافعة فى فنونه المتباينة كان لا بد أن يكون للحرم النبوى الشريف مكتبة كذلك تضارع مكتبة الحرم المكى إذا لم تزد عليها .

كان هذا التنافس فى الخبرات هو الذى حدا بالسيد عبيد مدنى من أهل المدينة

المنورة ، ومدير الأوقاف بها لأن يقترح إنشاء مكتبة للحرم المدنى لتكون مرجعا لطلاب العلم .

ورفع السيد عبيد مدنى اقتراحه للمسئولين فلم يترددوا فى الموافقة عليه ، ووضع المشروع موضع التنفيذ فى فترة إدارته للأوقاف بالمدينة عام ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م[١] .

وافتتحت المكتبة أول ما أنشئت فى توسعة السلطان عبد المجيد - أى فى مؤخرة المسجد - فى الجهة الشمالية الغربية للحرم على يسار الداخل من باب عمر رضى الله عنه فى الطابق العلوى فلما كانت التوسعة السعودية ، بنى لها قسم خاص من التوسعة فى مكانها السابق فهى حتى الآن فى الجهة الشمالية الغربية ، وعليها لوحة كتب عليها : (وكالة الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين) وأسفل هذه العبارة وبخط كبير ، وعلى اللوحة نفسها كتب (مكتبة الحرم النبوى) .

وهذه العبارة تدل على أن المكتبة تابعة لرئاسة شئون الحرمين ، وليست تابعة لوزارة الأوقاف كما كانت من قبل .

وأول من تولى إدارة هذه المكتبة الشيخ أحمد الخيارى ، وهو من علماء المدينة وفقهائها وكان بيته مفتوحا للزوار يقصدونه للتمتع بالجلوس معه والاستفادة من الحديث معه ، وقد بذل الشيخ الخيارى رحمه الله جهودا جبارة فى تنمية المكتبة ، وزيادة محتوياتها ، فقد استطاع بجهوده أن يضم إليها بعض المكتبات الخاصة مثل مكتبة الدكتور محمد حسين الهندى ، كما أهدى الشيخ الخيارى للمكتبة كثيرا من كتب مكتبته الخاصة كذلك أهدى لمكتبة الحرم النبوى بعض الخزانات لحفظ الكتب .

كما بذل الشيخ رحمه الله جهدا مشكورا فى ترتيب المكتبة وفهرستها ، وحاول ضم المكتبات الأخرى إليها لتكون نواة للمكتبة العامة بالمدينة المنورة .

وقد نقلت مكتبة الحرم المدنى إلى مبنى مكتبة المدينة العامة التى أنشأتها وزارة الحج والأوقاف حينا من الدهر ، وكان مدير المكتبة الشيخ جعفر فقيه ، ولكنها عادت وانتقلت إلى مكانها الأول فى مبنى الحرم .

---

(١) آثار المدينة المنورة ص ١١٩ .

وتضم المكتبة أكثر من ١٢٠٠٠ اثنى عشر ألف كتاب مطبوع ، وما يقرب من ٦٠٠ ستمائة مخطوط ، وعدد من المصورات والدوريات .

وأما المكتبة المحمودية التى كانت بالحرم قبل مكتبة المصحف فقد ضمت بكل محتوياتها إلى المكتبة العامة بالمدينة المنورة المعروفة بمكتبة الملك عبد العزيز .

التوسعة السعودية الجديدة

كانت زيادة الحجاج المضطردة فى الأعوام السابقة داعيا حثيثا إلى اتخاذ إجراء حاسم لمواجهة هذه الزيادة ، فقد تزايدت نسبة الحجاج بشكل لم يكن متوقعا ولا شك أن سهولة المواصلات ، والوسائل المريحة التى تقدمها الحكومة السعودية ـ وفقها الله لما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين ـ فهى تقدم فى كل عام المزيد من سبل الراحة لضيوف الرحمن بما يغريهم بالإقدام على فريضة الحج ، فالشوارع الفسيحة ، والميادين الكثيرة ، والمياه الوفيرة ، والرعاية الصحية الفائقة ، ووفرة ما يحتاج اليه الحجاج من المأكل والمشرب ، ووجود الهدايا الثمينة التى يرغب فيها الوافدون إلى هذا البلد ، كل ذلك من الأسباب التى ضاعفت عدد الحجاج بشكل مضطرد .

وإذا أضفنا إلى ذلك كله المتعة الروحية الغامرة التى يجدها كل حاج أثناء تأدية الفريضة والمثوبة العظيمة التى يرجوها الحاج من وراء القيام بها ، حيث يطمع كل امرىء منهم أن يعود من حجه كيوم ولدته أمه ، لا ذنب يؤاخذ به ، ولا جريرة يحاسب عليها .

إذا كان هذا هو ما يجده الحاج من الراحة البدنية ، والمتعة الروحية ، والمثوبة الربانية أفيشك أحد فى كثرة الحجاج ، وإقبال الناس القاصى منهم والدانى على الاتجاه إلى هذه البلاد المقدسة ليؤدوا واجبا فرضه الله عليهم ؟

أدرك هذا الوضع القائم جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله فأصدر أمره بتوسعة الحرم المدنى ، وكانت وجهة هذه التوسعة الجهة الغربية من الحرم ، فشملت سوق القماشة ، وشارع العينية ، والمياضىء التى كانت أمام الحرم من الجهة الغربية ، وكل المساكن والشوارع التى فى هذا الاتجاه ، فقد امتدت من الجنوب إلى الشمال حتى شارع الساحة ، كما امتدت من جدار الحرم الغربى إلى المناخة وهى

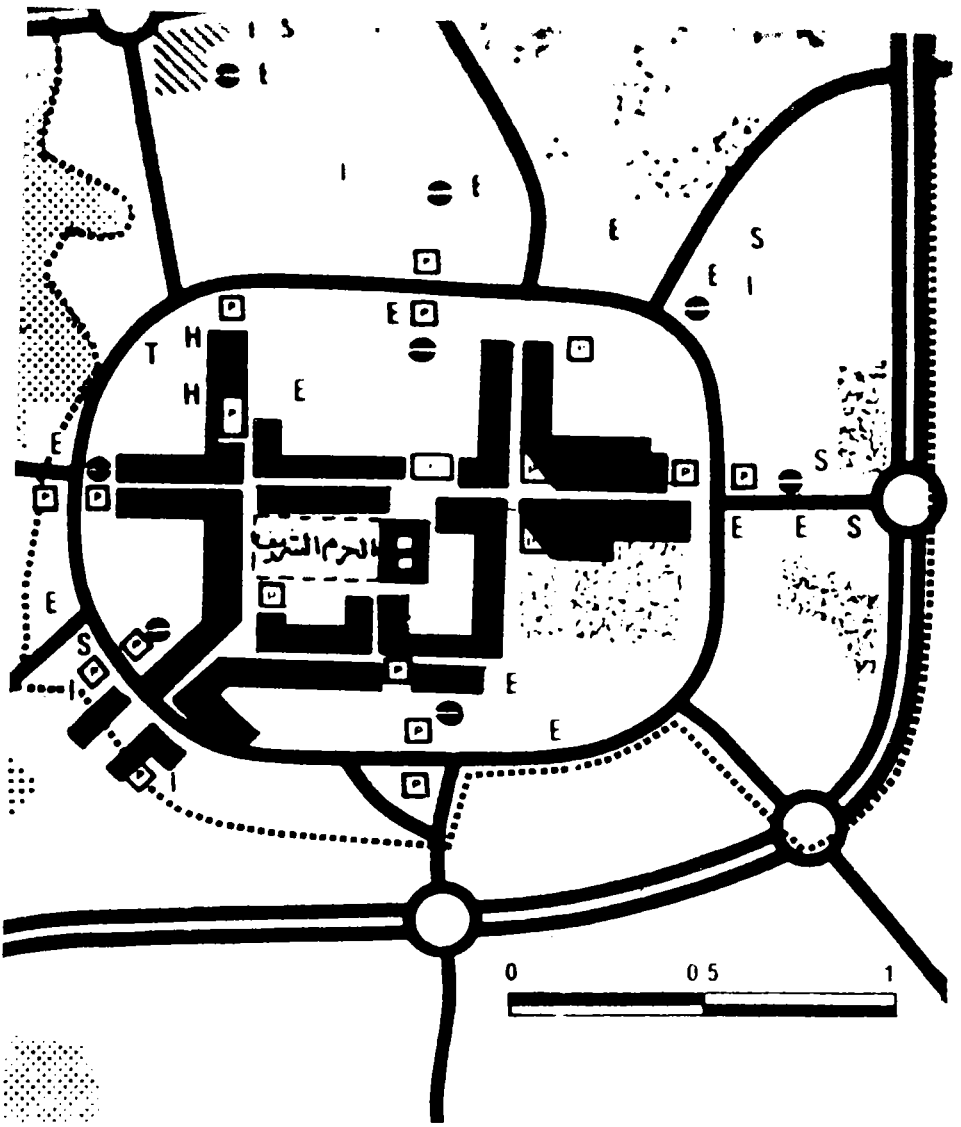

● الزيادة المقترحة لتوسعة الحرم النبوي من ناحية الغرب كما اقترحها روبرت ماثيوز .

Extension of the Holy Mosque of the Prophet as suggested by Robert Matthews.

مساحة تبلغ حوالى ٩٤٠٠٠ أربعة وتسعين ألف متر مسطح[١] وليست كلها داخلة فى مشروع البناء .

وقد أقيم فى هذه المساحة الضخمة التى تبلغ ستة أمثال الحرم الحالى تقريبا إنشاءات مؤقتة على هيئة مظلات ، وجهزت بالاضواء اللازمة والمراوح الكثيرة ، ومكبرات الصوت ، كما فرشت أرضها بالرخام ، وغطى الرخام بالسجاد العجمى الفاخر ، وقد وسعت هذه التوسعة الجديدة على زوار المدينة المنورة ، وسع الله على كل من وسع على المسلمين فى الدنيا والآخرة .

وبالرغم من أن هذه التوسعة قد حققت لزوار المسجد المبارك كثيرا من الراحة والاطمئنان النفسى ، وأفسحت لهم الأماكن التى يستطيعون تأدية الصلاة فيها بغير مشقة ، وبعيدا عن حرارة الشمس المحرقة فإنها لم يمض عليها سوى اعوام قلائل حتى ضاقت بالمصلين ، ولم تعد تتسع لقاصدى المسجد الكريم حتى إننا فى أيام الجمعة وفى غير الموسم لا نستطيع الصلاة تحت ظل هذه المظلات ، وكثير من المصلين يصلون اضطرارا تحت لفحة الشمس ، وحرارة الجو .

وقد لاحظ هذا الوضع جلالة الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله وأيده بنصره فأصدر أمره بتوسعة جديدة تشمل الجهة الشرقية من الحرم وهى حارة الأغوات ، وشارع الملك عبد العزيز وشارع السنبلية ، وجميع المحلات والبيوت الواقعة فى هذه المنطقة ، وتمتد من الجنوب إلى الشمال حتى شارع السحيمى والشارع الجديد الذى على امتداده ، كما تمتد من جدار الحرم الشرقى الذى به باب جبريل وباب النساء ، وباب عبد العزيز حتى تصل إلى شارع أبى ذر الغفارى فالبقيع ، وتبلغ مساحة العمارة فى الحرم من جهتيه الغربية والشرقية/ ٥٦٥ و٧٩/م٢ .

وقد علمت أن العمارة ستبدأ من الجهة الغربية من محاذاة باب الرحمة حتى نهاية التوسعة من الشمال ، وكذلك فى الجهة الشرقية من محاذاة باب النساء إلى نهاية التوسعة شمالا ، وسيترك مقدم الحرم على وضعه كعمل جمالى حيث تظهر المآذن والقبة ، ومن جانب آخر حتى لا يتوسط القبر الشريف المسجد .

---

(١) المدينة المنورة تطورها العمرانى ص ١٠٤ .

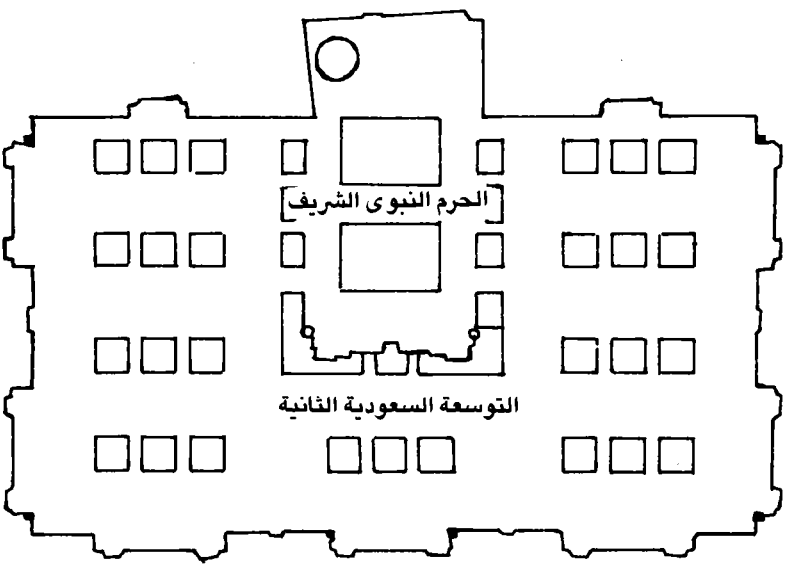

نموذج للحرم النبوى بعد التوسعة السعودية الجديدة

وقد أمر جلالة الملك فهد بن عبد العزيز رعاه الله بسرعة الإنجاز ، وضرورة التنفيذ وقد بدىء العمل فى التوسعة من جهتيها الشرقية والغربية فى شهر محرم عام ١٤٠٦ هـ الموافق لشهر سبتمبر عام ١٩٨٥ م ، والعمل منذ ذلك الحين قائم على قدم وساق بالليل والنهار حيث سيتم الانتهاء من المرحلة الأولى منه قبل موسم الحج القادم إن شاء الله تعالى .

ملاحظة : ستكون تكاليف هذه التوسعة على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز الخاصة ـ جزاه الله خيرا ـ .

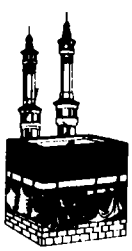

خاتمة

وبعد : فهذه خلاصة تاريخية لمسجد رسول الله ﷺ ، قصدت فيها إلى تحرير الروايات ، واستخلاص الحقائق ، وكتابة تاريخ هذا المسجد العظيم متناولا الأطوار التى مر بها من بداية اختيار المكان إلى طريقة البناء إلى تحديد مساحته ثم تسقيفه وفرشه حتى كانت التوسعة الجديدة فى عام سبعة من الهجرة بعد غزوة خيبر .

وكانت هذه التوسعة إيذانا بعهد جديد للمسجد المبارك ، حيث اتخذ رسول الله ﷺ فيه المنبر وتطور حتى كان على ما كان عليه آخر الأمر ، ثم أضيء المسجد ، وفى هذا الطور تحددت الروضة الشريفة ، وعرف المسلمون الأساطين التى لها ميزاتها وخصائصها ، وبلغت مساحة المسجد فى عهده ﷺ ٣٨٧٦ م٢ .

وفى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر المسجد بطور ثالث ، فكانت التوسعة الهائلة فى سنة سبع عشرة من الهجرة مع المحافظة على الهيئة الأصيلة للمسجد ، وفرش عمر المسجد ، وأكثر الإضاءة فيه ، وجمع الناس على إمام واحد فى صلاة التراويح ، وزاد عدد أبوابه لتتناسب مع توسعته وكثرة المسلمين ومنع إنشاد الشعر فيه ، وبنى مكانا خاصا سماه بالبطيحاء لمن يريد أن يلغط أو ينشد شعرا ، أو يتكلم بكلام لا يستفيد منه المسلمون فى عباداتهم .

ثم كانت الفائدة العظمى التى أفادها المسلمون من هذه التوسعة وهى معرفتهم أن كل ما يزاد فى المسجد له حكم المسجد من حيث الحرمة ومضاعفة الأجر ، عرف ذلك من قول أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه بعد ما انتهى من زيادة المسجد قال : (لو مددناه إلى الجبانة لكان مسجد رسول الله ﷺ) وبلغت مساحة المسجد فى عهده رضى الله عنه ٤٩٧٧ م٢ ثم كانت خلافة عثمان رضى الله عنه وشكا المسلمون إليه ضيق المسجد وحاجتهم إلى توسعته ، فاستشار رضى الله عنه المسلمين ، فاستحسنوا ما عرض عليهم ، فأمر بهدم المسجد وطور بناءه ، فبناه بالحجارة والقصة ، وجعل عمده الحجارة بداخلها عيدان الحديد والرصاص ، وكان ذلك سنة تسع وعشرين من الهجرة ، وأشرف على البناء بنفسه .

وكان رضى الله عنه لا يبرح المسجد ، يصلى بالعمال إذا حضرت الصلاة ، وربما نام فى المسجد ، ولم يكد ينتهى من بنائه حتى شنت عليه حملة نقد شديدة قاسية ، قابلها بصدر رحب ، وبين للمنتقدين وجهة نظره ، ودافع عنها حسب اعتقاده ، واتخذ المقصورة حتى لا تتكرر مأساة الخليفة الثانى رضى الله عنه وبلغت مساحة المسجد فى عهده رضى الله عنه ٥٤٩٢ م٢ .

وفى عهد الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموى بنى المسجد من جديد ، وأحدث فيه ما لم يحدثه أحد قبله ، وذلك حيث أمر بهدم حجرات أمهات المؤمنين وإدخالها فى المسجد ، وبذلك يكون قد أحدث التوسعة فى الجهات الثلاث الشرق والغرب والشمال ، وزين المسجد وزخرفه ، وكسا جدار القبلة بالفسيفساء ، وأتى فيه الصناع بفنون من الصنعة بديعة ورائعة ، وبلغت مساحة المسجد فى عهده ٧٥٠٠ م٢ .

فلما كانت الدولة العباسية هَمَّ المنصور بتعمير المسجد ، ولكنه لم يفعل ، فلما ولى المهدى أمر بتوسعة المسجد وكانت توسعته من الجهة الشمالية ـ أى مؤخرة المسجد ـ وبلغت مساحة المسجد فى عهده ٩٣٠٩ م٢ .

واحترق المسجد مرتين فى عهد المماليك فاعادوا بناءه وإصلاح ما خرب منه ، واحدثوا فيه أمورا لم تعرف فيه قبل ذلك فأقام الظاهر بيبرس مقصورة حول القبر الشريف ، وعمل الناصر محمد بن قلاوون قبة فوق القبر ، وأنشأ ميضأة عند باب السلام ، وأما السلطان قايتباى فقد بنى المسجد كله بعد الحريق ، وأوقف على المسجد وأهل المدينة أوقافا عظيمة ، وبلغت مساحة المسجد فى عهده ٩٤٢٩ م٢ .

وفى العصر العثمانى توالت اهتمامات الخلفاء بالمسجد ، وفى عهد السلطان عبدالمجيد جدد المسجد ووسعه من الجهة الشمالية، وبنى فى مؤخره كتاتيب لتعليم الصبيان القرآن الكريم ، ومبادىء القراءة والكتابة ، وزخرف جدار القبلة بالمرمر والبورسلان ، وكتب عليه بالخط النافر آيات من القرآن المجيد ، واهتم السلاطين بالحجرة الشريفة ، وأهدى إليها الأمراء والولاة الهدايا الثمينة ؛ وجلبت إليه القناديل والثريات بأنواعها المختلفة ، وبلغت مساحة المسجد فى عهد السلطان عبد المجيد خان رحمه الله ـ ١٠٣٤٢ م٢ .

وفى العصر السعودى هدم مؤخر المسجد وأعيد بناؤه وأضيف إليه إضافات من الشرق ومن الغرب ومن الشمال ، وعملت له مئذنتان جديدتان ، وأضيء بالكهرباء ، وزود بالمراوح ، وفرش بالسجاد العجمى الفاخر ، وقد بلغت مساحة المسجد فى العصر السعودى ١٦,٣٦٦ م٢ هذا عدا التوسعة الجديدة التى ستضاعف مساحة المسجد عشرات المرات .

ذلكم هو المسجد النبوى الشريف عبر التاريخ ، لقد كان المسجد مركز إشعاع ، ومصدر إلهام ، ومحل اهتمام من الخلفاء والسلاطين والملوك ، أرجو أن أكون قد وفقت فى عرض تاريخه والكتابة عنه ، وسأعقب عليه إن شاء الله تعالى ـ بكتابة معالم المدينة التاريخية ، وهو الجزء الخامس والأخير من هذه الموسوعة .

أسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ، ويتقبل منا أعمالنا ، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة فى ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٦ هـ ـ مارس سنة ١٩٨٦ م .

ملاحظة

بينما كان الكتاب ماثلا للطبع حدثت فى الحرم النبوى الشريف مستجدات استدعت كتابة هذه الملاحظة ، فأحببت ألا يفوتنى تسجيلها فى تلك الطبعة ، حتى يقف القارىء الكريم عليها .

ففى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ـ وفقه الله لما يحبه ويرضاه ـ أمر بتغيير كل ما فى (البناية العثمانية) من الحرم النبوى الشريف ، من القناديل والثريات .

وفى مطلع عام سبعة وأربعمائة وألف (١٤٠٧هـ) من الهجرة النبوية الشريفة جلبت إلى الحرم القناديل والثريات التى أمر خادم الحرمين الشريفين بإحلالها محل القناديل والثريات القديمة حيث كانت القناديل القديمة وبعض الثريات لا تضاء ، إما لأنها كانت تضاء بالزيت ، وإما لأنها كانت معلقة للزينة وأخذ المهندسون فى تركيب القناديل والثريات الجديدة .

والقناديل الجديدة نوعان : النوع الأول قناديل مدلاة بين سرايا الحرم بحيث يكون بين كل ساريتين قنديلان ، وتتدلى هذه القناديل بواسطة أنابيب من معدن مطلى بالذهب ، ولكل قنديل غطاء من المعدن نفسه ، وركبت بين السرايا باتجاه الشرق الى جهة الحجرة الشريفة ، وقد نقش زجاج القناديل بنقوش جميلة باللون الأزرق ، وكتب على كل قنديل عبارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، وعدد هذه القناديل ثلاثمائة وسبعة عشر قنديلا ٣١٧ قنديلا .

والنوع الثانى من القناديل قناديل مستطيلة مثبتة فى قضبان الحديد الممتدة بين السرايا، بحيث يكون بين كل ساريتين قنديلان وقد رُكبت هذه القناديل تجاه القبلة وتنتشر فى الحرم من الشمال إلى الجنوب ، ويحيط بكل قنديل إطار من المعدن المذهب ، وقد نقش زجاج هذه القناديل بنقوش جميلة ، ولونت باللون الأزرق وكتب على كل قنديل بين النقوش التى تملأ زجاجه عبارة (الله أكبر) ، وعدد هذه القناديل ثلاثمائة وواحد وستون ٣٦١ قنديلا .

وأما الثريات فعددها مائة وتسع ١٠٩ ثريات منتشرة فى أرجاء الحرم منها واحدة ضخمة جدا معلقة بالقبة التى تقع بين البناء المحيط بالقبر الشريف ، وبين مكان الصفة المعروف الآن بدكة الأغوات ، وفى أسفلها يوجد قنديل ضخم يحيط به إطار من المعدن المذهب به عشرون قنديلا ، ويتفرع من الدائرة المذهبة التى تلف القناديل العشرين عشرة فروع يخرج من كل فرع منها قنديلان يتدليان من أنابيب من المعدن المذهب ، وفوق هذه الفروع دائرة أخرى يخرج منها عشرة فروع يحمل كل فرع منها قنديلا ، وبذلك يصبح عدد قناديل هذه الثرية واحدا وخمسين قنديلا .

وهناك ثريات ثلاث دون هذه فى الضخامة ، ولكنها أضخم من بقية الثريات ، حيث تتكون كل منها من خمسة وعشرين قنديلا ، وفى أسفل كل منها قنديل كبير تحيط به اسطوانة من المعدن المذهب يخرج منها ثمانية قناديل ، ويحيط بهذه القناديل إطار مذهب يخرج منه ثمانية فروع ، يتدلى من كل فرع قنديلان بواسطة أنابيب من المعدن نفسه .

وهذه الثريات الثلاث توجد واحدة منها أمام الحجرة الشريفة والثانية بالروضة أمام المحراب الذى كان يصلى فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والثالثة معلقة بالقبة الكبيرة التى بين الروضة والمحراب الذى يصلى فيه الإمام اليوم .

وأما باقى الثريات فكل واحدة منها يوجد فى أسفلها قنديل مستدير يحيط به طوق من المعدن المذكور ، ويتفرع من هذا الطوق ثمانية فروع يتدلى من كل فرع قنديل ، وبذلك تضم كل واحدة من الثريات تسعة قناديل .

وزجاج قناديل الثريات منقوش بنقوش جميلة يغلب عليها اللون الأزرق ، ومكتوب على كل قنديل عبارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وكذلك على الأطر المحيطة بالقناديل مكتوبة العبارة نفسها بالخط النافر .

والثريات كلها مدلاة من سقف الحرم المكون من قباب حسب فن العمارة العثمانية بواسطة أنابيب معدنية مذهبة ، وينتهى كل أنبوب برمانة من المعدن نفسه ، وهذه الرمانة هى رأس الثرية ، وتحت الرمانة تاج بشكل زخرفى على شكل أوراق الشجر من المعدن نفسه .

ويتدلى من التاج صفوف من زجاج الكرستال ، وقضبان من المعدن المذهب تتصل جميعها بالدائرة المعدنية المذهبة التى تحمل القناديل .

وقد استدعى هذا التغيير تغييرا آخر فى رؤوس السرايا وقضبان الحديد الممتدة بين السرايا ، حيث كسيت رؤوس الأعمدة باطارات من المعدن المذهب ، ولُفَّت القضبان كذلك بصفائح من المعدن المذهب ، وذلك لكى يتناسق شكل الثريات والقناديل الجديدة مع الحوامل التى تعلق بها وقد أضيئت الثريات والقناديل بالضوء الأبيض الناصع المعروف (بالنيون) وأصبح الحرم الآن وكأنه بعد أن أضىء لؤلؤة مبطنة بصفائح الذهب .

المدينة المنورة فى ١/٥/١٤٠٧هـ
الموافق ١/١/١٩٨٧ م

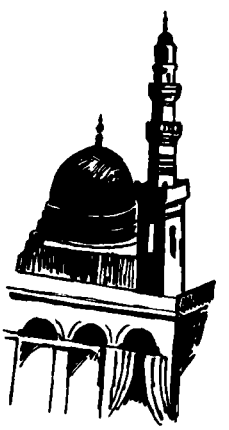

أهـم المراجع حسب الترتيب الهجائى للكتاب

رقم	الكتاب	المؤلف
١ -	القرآن الكريم	
٢ -	آثار المدينة المنورة	عبد القدوس الأنصارى
٣ -	أخبار مدينة الرسول (الدرة الثمينة)	محمد بن محمود النجار
٤ -	أمراء المدينة	عمر بن شبة
٥ -	إنسان العيون (السيرة الحلبية)	برهان الدين الحلبى
٦ -	البداية والنهاية	اسماعيل بن كثير
٧ -	تاريخ الرسل والملوك	محمد بن جرير الطبرى
٨ -	التحفة اللطيفة	محمد بن خضر الرومى
٩ -	الترغيب والترهيب	عبد العظيم المنذرى
١٠ -	رحلة بن بطوطه	
١١ -	رحلة بن جبير	
١٢ -	الرحلة الحجازية	
١٣ -	سمط النجوم العوالى	عبد الملك بن حسين العصامى
١٤ -	سنن ابى داود	سليمان الأشعث بن شداد
١٥ -	السيرة النبوية	محمد بن عبد الملك بن هشام
١٦ -	شرح السنة	الحسن بن مسعود البغوى
١٧ -	صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج القشيرى
١٨ -	العقد الفريد	لابن عبدربه
١٩ -	عمدة الأخبار	احمد عبد الحميد العباسى
٢٠ -	فتح البارى	احمد بن على بن حجر
٢١ -	فصول من تاريخ المدينة	على حافظ
٢٢ -	القاموس المحيط	مجدى الدين الفيروز آبادى
٢٣ -	مختصر صحيح مسلم	عبد العظيم المنذرى
٢٤ -	مختصر سيرة الرسول ﷺ	محمد بن عبد الوهاب
٢٥ -	مختصر سيرة الرسول ﷺ	عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
٢٦ -	المدينة المنورو تطورها العمرانى	صالح لمعى مصطفى
٢٧ -	مرآة الحرمين	ابراهيم رفعت
٢٨ -	المساجد	حسين مؤنس
٢٩ -	المواهب اللدنية	احمد بن محمد القسطلانى
٣٠ -	وصف المدينة المنورة	على بن موسى
٣١ -	وفاء الوفا	على بن احمد السمهودى

فهرس الموضوعات

المقدمة ..... ١ - ٥
● **الباب الأول** ٧
تمهيد الباب ٨
رسالة المسجد ١٠
هل أدى المسجد رسالته ؟ ١٢
○ الفصل الأول ١٧
خلوا سبيلها إنها مأمورة ١٧
فضائل المسجد النبوى الشريف
واداب الزيارة ١٩
تخطيط المسجد ومساحته ٢٠
الشروع فى بناء المسجد ٢٤
الصفة ٢٧
مدة البناء ٢٨
فرش المسجد ٣١
تحويل القبلة ٣٣
○ الفصل الثانى ٣٥
توسعة المسجد ٣٥
إضاءة المسجد ٤١
المنبر ٤١
الروضة الشريفة ٤٩
الأساطين المشهورة ٥٠
الأسطوانة المخلقة ٥٠
اسطوانة القرعة ٥١
اسطوانة التوبة ٥٢
اسطوانة السرير ٥٣
اسطوانة الحرس ٥٤
اسطوانة الوفود ٥٥
اسطوانة مربعة القبر ٥٥
اسطوانة التهجد ٥٥
● **الباب الثاني** ٥٩
المسجد فى عهد الخلفاء الراشدين . ٥٩
فى عهد أبى بكر رضى الله عنه ٦١
○ الفصل الأول ٦٣
فى عهد عمر رضى الله عنه ٦٣
أسباب زيادة عمر فى المسجد ٦٣
فى أى سنة وسع عمر المسجد ٦٥
مساحة زيادة عمر ٦٧
الدور التى وسع بها عمر المسجد .. ٧٣
أ - دار العباس رضى الله عنه ٧٣
ب - دار أبى بكر الصديق
رضى الله عنه ٧٧
جـ - دار جعفر بن أبى طالب
رضى الله عنه ٧٨
كيف بنى عمر المسجد ؟ ٧٩
فرش المسجد ٨١
إضاءة المسجد ٨٢
تجمير المسجد ٨٣
البطيحاء الى جوار المسجد ٨٤

هل للزيادة فى المسجد حكم الشرفات ـ المنارات ١٢٦
المسجد ؟ ..... ٨٦ المحراب ١٢٧
○ الفصل الثانى ..... ٩١ ○ الفصل الثانى ١٣١
الزيادة فى عهد عثمان رضى الله عنه . ٩١ المسجد الشريف فى عهد المهدى . . ١٣١
أسباب الزيادة ..... ٩١ زيادة المهدى ١٣٣
تاريخ زيادة عثمان فى المسجد ... ٩٤ أ ـ دار مليكة ١٣٣
عثمان يشاور فى توسيع المسجد .. ٩٧ ب ـ دار شرحبيل بن حسنة ١٣٣
بدء العمل فى المسجد ..... ٩٨ حـ ـ دار عبد الله بن مسعود ١٣٣
اعتراض المسلمين على التغيير .... ٩٩ د ـ دار المسور بن مخرمة ١٣٣
موقف عثمان من المعارضة ..... ١٠٠ متى بدىء فى البناء ١٣٤
مساحةالزيادة فى عهد عثمان ..... ١٠١ توسعة المهدى ١٣٦
الدور التى ادخلها عثمان فى المسجد ١٠٤ مساحة زيادة المهدى ١٣٧
أ ـ دار حفصة ..... ١٠٤ الإصلاحات التى تمت فى المسجد ١٣٧
ب ـ جزء من دار مروان ..... ١٠٤ ○ الفصل الثالث ١٤١
جـ ـ جزء من دار جعفر بن أبى طالب ١٠٤ المسجد فى العصر المملوكى ١٤١
اتخاذ المقصورة ..... ١٠٥ حريق المسجد ١٤١
المسجد فى عهد على كرم الله وجهه . ١٠٧ سبب الحريق الأول ١٤١
● الباب الثالث ..... ١٠٩ الحريق الثانى وأسبابه ١٤٣
○ الفصل الأول ..... ١١١ البدء فى عمارة المسجد ١٤٥
المسجد فى عهد الوليد بن عبد الملك ١١١ أوقاف السلطان قايتباى على المدينة ١٤٧
أسباب البناء والتوسعة ..... ١١١ إحصاء لما فى المسجد من
تاريخ العمل فى المسجد ..... ١١٥ الأساطين والمرافق ١٤٩
الدور التى وسع بها المسجد ..... ١١٦ أ ـ الأعمدة ١٤٩
كيف بنى المسجد ؟ ..... ١١٩ ب ـ البالوعات ١٤٩
مساحة المسجد فى عهد الوليد ... ١٢١ حـ ـ السقايات ١٤٩
وصف عام للمسجد فى عهد الوليد ١٢٣ د ـ المستودعات ١٥٠
المحراب والمنارات والشرفات ... ١٢٦ هـ ـ القناديل ١٥١

مساحة المسجد فى عهد قايتباى ... ١٥٢
● الباب الرابع ... ١٥٣
○ الفصل الأول ... ١٥٥
المسجد فى العصر العثمانى ... ١٥٥
المسجد فى عهد السلطان عبد المجيد الأول ... ١٥٨
سبب العمارة ـ ... ١٥٩
كيف بنى المسجد ؟ ... ١٦٠
أرضية المسجد وسقفه ... ١٦٠
حدود المسجد النبوى ... ١٦١
المحاريب ... ١٦٣
أبواب الحرم والمنبر والمنارات ... ١٦٤
الإضافات التى أحدثت فى المسجد ... ١٦٦
فرش المسجد والحجرة ... ١٦٧
وصف عام للحرم النبوى الشريف من الداخل ... ١٧١
كلمة حق ... ١٧٣
زيادة السلطان عبد المجيد ومساحة المسجد فى عهده ... ١٧٣
وظائف الحرم وعادات وتقاليد ... ١٧٥
١ ـ شيخ الحرم ... ١٧٥
٢ ـ نائب الشيخ ... ١٧٥
٣ ـ الخازندار ... ١٧٦
٤ ـ المستسلم ... ١٧٦
٥ ـ النقيب ... ١٧٦
٦ ـ رئيس بوابى الحجرة ... ١٧٦
٧ ـ الجنزى ... ١٧٦
٨ ـ البطالون ... ١٧٦
٩ ـ الملازمون ... ١٧٦
١٠ ـ الخطباء ... ١٧٦
١١ ـ المؤذنون ... ١٧٧
١٢ ـ الفراشون ... ١٧٧
١٣ ـ وظائف اخرى ... ١٧٧
الإفطار فى رمضان وصلاة التراويح ١٧٨
تطيّب الحجرة وغسيلها ... ١٧٩
خطبة الجمعة ... ١٨٠
الاحتفال بالمولد النبوى ، تولد ج ١٨١
من عادات اهل المدينة ... ١٨٢
أ ـ رمى الحب ... ١٨٢
ب ـ التهنئة بالعيد ... ١٨٣
○ الفصل الثانى ... ١٨٥
المسجد النبوى فى العصر السعودى ١٨٥
مساحة التوسعة السعودية ... ١٨٩
إحصاءات عن العمارة السعودية ... ١٩١
إحصاءات عن الحرم القديم ... ١٩١
إحصاءات أخرى عن الحرم بأجمعه ١٩٢
مكتبة المصحف ... ١٩٥
تنسيق المكتبة ... ١٩٦
مكتبة الحرم ... ١٩٧
التوسعة السعودية الجديدة ... ١٩٩
● خاتمة ... ٢٠٥
ملاحظة ... ٢٠٨
المراجع حسب الترتيب الهجائى للكتاب ٢١١
الفهرس ... ٢١٣-٢١٥
كتب للمؤلف ... ٢١٦

كتب للمؤلف

١ ـ هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه ـ الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة) .
٢ ـ الحج الميسر ـ الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة) .
٣ ـ أسس الدعوة وآداب الدعاة : ـ الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة)
٤ ـ القيادة والجندية في الإسلام (جزءان): ـ الطبعة الثانية .
٥ ـ عناية الإسلام بتخطيط المدن وعمارتها :
٦ ـ الترويح في المجتمع الإسلامي :
٧ ـ جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين : ـ الطبعة الثانية (مجلد) .
٨ ـ موسوعة المدينة المنورة التاريخية في أجزاء : ـ (صدر منها ثلاثة أجزاء) .
٩ ـ كبرى الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر :
١٠ ـ موسوعة المدينة المنورة التاريخية (٤ أجزاء) .
١١ ـ الأوائل لأبي هلال العسكري ـ الطبعة الثانية تحقيق وتعليق .

كتب تحت الطبع

١ ـ معالم المدينة المنورة (الجزء الخامس)
من موسوعة المدينة المنورة التاريخية .
٢ ـ لمحات من تاريخ الدعوة .
٣ ـ قواعد البناء في المجتمع الإسلامي .
٤ ـ المستشرقون والإسلام .
٥ ـ الأمويون بين الشرق والغرب .

دار الرياد للطباعة والنشر
جدة